شعاع

من المحراب

الجزء الخامس

إعداد

سليمان بن حمد العودة


بسم الله الرحمن الرحيم

شعاع من المحراب

(ح) سليمان بن حمد العودة، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العودة، سليمان بن حمد

شعاع من المحراب .. خطب / سليمان بن حمد

الرياض، ١٤٣٣ هـ

١٠ مج

١- خطبة الجمعة ٢- الخطب الدينية ٣- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٣ / ٩٣١٥

رقم الإيداع: ٩٣١٥ / ١٤٣٣

ردمك: ٢ - ١١٥٧ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

٦ - ١١٦٢ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ٥)

رقم الإيداع: ٩٣١٥ / ١٤٣٣

ردمك: ٢ - ١١٥٧ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

٣ - ١١٦٣ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ٦)

الطبعة الثانية

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

دار المغني للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية

dar_almoghny@hotmail.com

هاتف ناسوخ: ٠٠٩٦٦١٤٩١٦٩١٥ - ٠٠٩٦٦١٤٢٥٧٠١٩

زلزلة الساعة(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾(٣).

عباد الله ما أعظم الهول.. وما أشدَّ الفزعَ لأحداثِ الساعة، والنداءُ هنا شاملٌ للناس جميعًا يُخوفون بحادثٍ سيقع.. ولا نجاةَ من الفزعِ إلا بالتقوى.. إنه الأمرُ العظيم، والخطبُ الجلل والطارقُ المفظع، والكائن العجيب؛ والشيء العظيم:

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٢/ ١/ ١٤١٩هـ.

(٢) سورة لقمان، آية: ٣٣.

(٣) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[١].

وما تذهل المرضعةُ عن طفلها وفي فمه ثديُها إلا للهول الذي لا يدع بقيةً من وعي.. كيف لا والمشهدُ يصورها لذهولها وكأنها تنظر ولا ترى، وتتحركُ ولا تعي، وهذا الذي ذُهلت عنه أحبُّ الناس إليها، وهي أشفق الناس عليه.

أما الحوامل فتُسقط حَملها قبل تمام مدتها لشدة الهول، والناسُ كلُّهم لهولِ الصدمة وشدة الأمر كالسكارى قد دهشت عقولُهم، وغابت أذهانُهم .. وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

روى الترمذيُّ بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[٢] قال: أُنزلت عليه هذه الآية وهو في سفر، فقال: **«أتدرون أي يومٍ ذلك؟»** قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: **«ذاك يوم يقول اللهُ لآدم: ابعث بعثَ النار قال: يا ربِّ وما بعثُ النار؟ قال: تسعمائة وتسعةٌ وتسعون إلى النار، وواحدٌ إلى الجنة»** فأنشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله ﷺ: **«قاربوا وسددوا، فإنها لم تكن نبوةٌ قطُّ إلا كان بين يديها جاهليةٌ»**، قال: **«فيُؤخذ العددُ من الجاهلية، فإن تمَّت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكُم ومثلُ الأمم إلا كمثلِ الرقمةِ في ذراع الدابة وكالشامةِ في جنب البعير»**[٣]، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا ربعَ أهل الجنة»** فكبروا، ثم قال: **«إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»**،

---

(١) سورة الحج، آية: ١.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

(٣) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فكبروا، ثم قال: «**إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»، فكبروا قال: ولا أدري قال الثلثين أم لا[(١)].

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يقول الله تعالى يا آدمُ، فيقول لبيك وسعديك والخيرُ في يديك، قال يقول: أخرج بعثَ النار، قال: وما بعثُ النار؟ قال: من كلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك حين يشيبُ الصغيرُ وتضعُ كلُّ ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذابَ الله شديد**»، قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسولَ الله أينا ذلك الرجل؟ فقال: «**أبشروا، فإن من يأجوجَ ومأجوجَ ألفًا ومنكم رجل**».. ثم ذكر الحديث.

أيها المسلمون، الساعةُ غيبٌ لا يعلمها إلا علاَّمُ الغيوب -وهي آتيةٌ لا ريب فيها- ولكن مجيئها بغتةً وذلك يستدعي الحذرَ والحيطة، والتأهبَ الدائمَ والاستعدادَ بالعملِ الصالح.

وإذا كان أولو العزم من الرسلِ لا يعلمون وقتَ مجيئها، فغيرُهم من باب أولى، روى الإمام أحمدُ وابنُ ماجه، والحاكم -بإسناد صحيح- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لقيتُ ليلة أسري بي إبراهيمَ وموسى وعيسى، فتذاكروا أمرَ الساعة يردُّوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها، فردوا الأمر إلى موسى فقال: لا علم لي بها، فردوا الأمر إلى عيسى، فقال: أما وجْبتُها فلا يعلمها أحدٌ إلا اللهُ عز وجل، وفيما عَهِد إليَّ ربي أن الدجالَ خارجٌ. قال: ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال: فيهلكه الله**»[(٢)].

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٧).

(٢) المسند (٥/ ١٨٩) حديث ٣٥٥٦، وانظر: أشراط الساعة. يوسف الوابل ص٥٨، ٥٩.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فهؤلاء أكابرُ أولي العزم من الرسل ليس عندهم علم بوقت الساعةِ على التعيين، وإنما ردُّوا الأمر إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتكلم على أشراطها؛ لأنه ينزلُ في آخر هذه الأمة مُنفِّذًا لأحكام رسول الله ﷺ ويقتلُ المسيحَ الدجال، ويجعلُ اللهُ هلاكَ يأجوج ومأجوج ببركة دعائه، فأخبر بما أعلمه اللهُ به»[1].

بل أن علمَ الساعة ثقل على أهل السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

واختار ذلك التفسير ابنُ جرير ووافقه ابنُ كثير[3].

وهذا كلُّه مبطل لأي تقولٍ بعلم الغيب عمومًا، وخبر الساعة خصوصًا، وهو كذلك مبطلٌ لأي زعم بالعلم بنهاية الدنيا.. فلا يعلم ذلك كلَّه إلا الله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾[4].

أيها المسلمون لقد أخبر الصادقُ المصدوق ﷺ: «**أن الساعةَ تقوم حين تقوم، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعان ولا يطويانه، ولتقومن الساعةُ وقد انصرف الرجلُ بلبن لقحته فلا يطعمُه، ولتقومن الساعةُ وهو يليط حوضه فلا يسقي**

(١) تفسير ابن كثير لآية الأعراف (١٨٧) (٣/ ٥٢٥).

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٣) السابق (٣/ ٥٢١).

(٤) سورة النمل، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

فيه، ولتقومن الساعة، والرجلُ قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمُها»[١].

وأخبر تعالى أن الساعة أدهى وأمر، وبها توعد اللهُ المجرمين ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[٢].

فهي أعظم وأشق، وأكبر من كل ما يُتوهم، أو يدور في الخيال[٣].

والساعةُ موعدُ الجزاء والعدل ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[٤].

وهي واحدةٌ من خمسٍ اختص اللهُ بعلمها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٥].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري، في الرقاق (٨/ ١٣٢)، والفتن (٩/ ٧٤).

(٢) سورة القمر، آية: ٤٦.

(٣) تفسير السعدي (٧/ ٢٤٠).

(٤) سورة طه، آية: ١٥.

(٥) سورة لقمان، آية: ٣٤.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين يقص الحقَّ وهو خيرُ الفاصلين، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له بيده المقاديرُ والآجال، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبرَ إلا في كتاب مبين، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله بعثه اللهُ بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فمن اتبعه فقد رشد ونجى، ومن عصاه فقد خاب وخسر خسرانًا مبينًا. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين، وما من نبي إلا وذكَّر أمته بالآخرةِ وأهوالِ يوم القيامة.

أيها المسلمون: إذا كانت الساعةُ حقًّا لا مرية فيها، وأن اللهَ يبعث من في القبور، ودلائلُ قدرةِ الله على ذلك ظاهرةٌ للعيان لمن تأمل في أحداثِ الحياةِ الدنيا، من ابتداء الخلق وأطوار الجنين، وإحياءِ الأرض بعد موتها.. مما لا تخطئه العين ولا يخفى على ذي عقل، وما يكابر في ذلك إلا كلُّ كفارٍ عنيد.

وحجةُ اللهِ في القرآن دامغةٌ، وآياتهُ ظاهرة والعلاقة بين هذه الآيات الباهرة والبعثِ والنشور ظاهرة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[1]، وأعجبُ من ذلك كله قدرةُ الله على خلقِ ما هو أعظم من

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٥-٧.

الإنسان كالسموات والأرض. وفيه دليل على قدرته على إعادة الإنسانِ بعد موته فذاك من باب أولى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(١).

وإذا كان هذا طرفًا من قدرة الله، في خلق الناس كلهم وأطوار حياتهم.. فأعجب منه ما استثنى اللهُ من خلقه، فخلقه من غير أبٍ ولا أم كآدم عليه السلام، أو خلقه من أب دون أم كحواء، أو خلقه من أمٍ دون أب كعيسى عليه السلام.. ولهذا جاء ذكرُ عيسى عليه السلام علمًا بين يدي الساعة، ودليلًا عليها قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(٢).

وأحدُ المعاني في تأويل هذه الآية: أن القادر على إيجاد عيسى من أمٍّ بلا أب قادر على بعث الموتى من قبورهم..(٣).

بل يدرك العقلاء ويؤمن أولو الألباب بالبعث من خلال معرفتهم بحكمة الله في خلقه، والحكيم لا يترك الناسَ سدى، ولا يخلقهم عبثًا، بل لحكمة جليلة يُجازي المحسنَ بإحسانه والمسيءَ بإساءته: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾(٤).

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة يس، الآيتان: ٨١، ٨٢.
(٢) سورة الزخرف، آية: ٦١.
(٣) تفسير السعدي (٦/ ٦٥٧).
(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥، ١١٦.
(٥) سورة الدخان، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

عباد الله! الناسُ في هذه الدنيا وفي الآخرة من الساعة صنفان، فصنفٌ غافلون لاهون، آمنون، لا يؤمنون ببعث ولا نشور، أولئك تضيع أعمارُهم في البحث عن اللذة العاجلة، ولا يؤمنون إلا بالمادة المحسوسة، تنتهي مداركهُم عند حدود الدنيا، فلها يحبون ومن أجلها يبغضون، وعندها تقف طموحاتهمُ وآمالُهم وأولئك هم الخاسرون في الآخرة . . وهم المبلسون عند قيام الساعة، ولهم الويلُ والثبور عند البعث والنشور.

وعنهم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2].

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[3].

وأما النصفُ الآخرة فهم المؤمنون بقيام الساعة، والمشفقون منها في الدنيا، لعلمهم أنها حق. . أولئك عرفوا الله فخافوه وراقبوه بما يأتون أو يدعون، وخافوا الآخرة فعملوا لها. . وهانت عليهم الدنيا فلم تلههم ولم تفتنهم بزخرفها. . وأولئك هم الآمنون عند قيامها. . ومنازلهم في الجنان والرياض بها يتنعمون، وبإيمانهم وخوفهم وعملهم يجازون، ولا يظلم ربك أحدًا، تأمل يا أخا الإسلام حال الفريقين في الدنيا في قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[4].

(١) سورة الجاثية، آية: ٢٧.

(٢) سورة الروم، آية: ١٢.

(٣) سورة يس، آية: ٥٢.

(٤) سورة الشورى، آية: ١٨.

تأمل يا عبد الله مصير الفريقين وفروق الجزاءِ بين الصنفين في الآخرة وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[1].

إنه الفرق بين الإيمان والكفر، واليقين والشك، ولئن كانت الساعةُ غيبًا، فهي كالمشاهد عند المؤمنين، فهم كما يؤمنون بالله وإن لم يروه، ويؤمنون بالساعة وإن لم يروها- ولذا جاء الربط في القرآن كثيرًا بين الإيمان بالله والإيمان بالغيب من مثل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[2].

وإذا تساوى الناسُ في تصديقهم بالمشاهد المحسوس لديهم تميز أهلُ الإيمان وأولو الألباب بالتصديق بالغيب الذي يرون دلائله وينظرون في شواهده، وإن غاب عنهم كنههُ وحقيقتهُ.

إخوة الإيمان كم نحن بحاجة إلى غرسِ هذا الإيمانِ بالغيب ودلائِله في نفوسنا صغارًا وكبارًا، عالمين ومتعلمين وأميين رجالًا، ونساءً، في مؤسساتنا التعليمية والإعلامية حتى تنحسر بقايا المدُّ الإلحادي الذي تهاوت دولتهُ قبل سنين، وبقيت بقيةٌ من أفكار أتباعه وهي في طريقها إلى الانقراض، فالعلمُ يدعو إلى الإيمان، ودلائل الإيمان بالغيب تحاصر المتشككين في ذوات أنفسهم وفي كون الله الواسع من حولهم، وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحدٌ.. وتلاشت مقولةُ «من يحيي العظام وهي رميم» بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ

(١) سورة الروم، الآيات: ١٤-١٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١).

عباد الله! أعمال الناس في الدنيا نابعة من درجة إيمانهم بالغيب وقيام الساعة، فأشدُّ الناس إيمانًا بها أكثرهم استعدادًا لها، وأقلهم إيمانًا بها أكثرهم غفلةً عن الاستعداد لها، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكنه شيء يستقر في القلب وتنبعث له الجوارحُ مصدقة.

اللهم ارزقنا صدق الإيمان بك والاستعداد للبعث والنشور، اللهم حاسبنا حسابًا يسيرًا اللهم ارحم ضعفنا، وفرج كربنا.. ولا تخزنا يوم يبعثون..



(١) سورة يس، الآيات: ٧٩-٨٣.

وقفات في شهر الله المحرم[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فاتقوا الله أيها الناس، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

إخوة الإسلام، وكما فضل اللهُ بعض الأماكنِ على بعضٍ فقد فضَّل أزمانًا على أزمانٍ أخرى، وله الحكمةُ البالغة وهو الحكيم الخبير.

ولا ينتهي فضلُ الزمانِ عند رمضانَ، وعشرِ ذي الحجة، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وأيام العيد والتشريق، ونحوها ففي شهرِ الله المحرم (شهركم هذا) يومٌ عَظيمٌ من أيام الله، ألا وهو يومُ عاشوراء، والشهرُ كلُّه كانَ من الأشهر التي

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٥/١/١٤١٩هـ.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨١.

(٣) سورة الحشر، آية: ١٨.

يخصها الرسولُ ﷺ بنوعٍ من العبادة، إذ كان يُفضل صيامَه عن غيرهِ بعد صيامِ رمضان.

إن شهرَ اللهِ المحرم كان له شأنٌ في تاريخ الأنبياءِ عليهم السلام.

وبين تعظيم هذا الشهرِ، وما نُدب فيه من العبادة، وارتباطهِ بتاريخ الأنبياء- وخاصة موسى عليه السلام- أقف خمس وقفاتٍ، مذكرًا بها نفسي وإياكم.

الوقفة الأولى: هو شهرُ الانتصار للمؤمنين والاستعلاء للإيمان، أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ فرأى اليهود تصومُ يومَ عاشوراء، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: هذا يومٌ صالحٌ، هذا يومٌ نجَّى اللهُ بني إسرائيلَ من عدوِّهم[1].

وفي صحيح مسلم: «**هذا يومٌ عظيم أنجى اللهُ فيه موسى وقومَه وغرق فرعونُ وقومه**»[2].

وإذا كان هذا في شأن موسى وقومه، فقد أخرج الإمامُ أحمدُ الحديثَ السابق وزاد فيه: «**وهو اليومُ الذي استوت فيه السفينةُ على الجودي فصامه نوحُ شكرًا**»[3].

بل ورد القول بأن النصارى كانت تُعظم هذا اليوم، وقيل احتمال صيام عيسى عليه السلام له على اعتبار أنه مما لم ينسخ من شريعةِ موسى عليه السلام؛ لأن كثيرًا منها نُسخ بشريعة عيسى كما قال تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[4].

---

(١) الصحيح مع الفتح ٤/ ٢٤٤ ح ٢٠٠٤.

(٢) انظر الفتح ٤/ ٢٤٧.

(٣) الفتح ٤/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٠، وانظر الفتح ٤/ ٢٤٨.

ولو لم يثبت إلا تعظيمَ موسى ومحمدٍ عليهما الصلاة و السلام، لكفى لتعظيمِ هذا الشهرِ، ويكفي أن يتذكر المسلمون انتصار فئةٍ من المؤمنين واستعلائهم بالإيمان، وهلاكَ الطغاةِ -ورمزُهم فرعون- وهزيمة جندِهم المبطلين.

الوقفة الثانية: ومع تعظيمِ الأنبياء لعاشوراء من شهرِ الله المحرم، فقد كان الجاهليون يُعظمون هذا اليومَ أيضًا، جاء في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان يومُ عاشوراء تصومه قريشٌ في الجاهلية وكان رسولُ الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينةَ صامه وأمر بصيامه، فلما فُرض رمضانُ ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه[1].

فما السرُّ يا تُرى في صوم قريش الوثنية لعاشوراء ولم يكونوا أهل كتاب، وصلتُهم ضعيفةٌ بأهل الكتاب؟

قال القرطبي-يرحمه الله-: «لعل قريشًا كانوا يستندون في صومه إلى شرعٍ من مضى كإبراهيم، وصومُ رسول الله ﷺ يحتمل أن يكون بحكم الموافقةِ لهم كما في الحج، أو أذن اللهُ له في صيامه على أنه فعلُ خير.. ويحتمل غيرَ ذلك»[2].

وقال ابنُ حجر: «وأما صيامُ قريشٍ لعاشوراء فلعلهم تلقوه من الشرعِ السالف، ولهذا كانوا يعظمون بكسوةِ الكعبةِ فيه وغير ذلك»، قال: «ثم رأيتُ في المجلس الثالث من مجالس الباغندي الكبير عن عكرمة أنه سُئل عن ذلك فقال: أذنبت قريش ذنبًا في الجاهلية فعظم في صدورهم، فقيل لهم: صوموا عاشوراء، يُكفرْ ذلك -هذا أو معناه-» اهـ[3].

---

(١) الصحيح مع الفتح ٤/ ٢٤٤ ح ٢٠٠٢.
(٢) الفتح ٤/ ٢٤٨.
(٣) الفتح ٤/ ٢٤٦.

تُرى يا أخا الإسلام- إذا عظمت اليهودُ، وقريشٌ هذا اليوم، وهم كفرةٌ ووثنيون. . أفلست الأولى بتعظيم هذا اليوم منهم، وأنت المسلمُ تربطك بالمؤمنين الناجين رابطةُ العقيدة والإيمان، وإن حجزت فواصلُ الزمان و المكان؟ فأمتكم أمةٌ واحدةٌ بنصِّ القرآنِ.

الوقفة الثالثة: ومن شكرِ اللهِ وتعظيمِ هذا الشهرِ صيامُه، أو صيامُ عاشوراء منه.

فقد أخرج الإمام مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أفضلُ الصيام بعد شهرِ رمضان شهرُ اللهِ المحرم، وأفضل الصلاة بعد المكتوبةِ صلاة الليل**»[1].

فإن قيل: فما الجمعُ بين ما ورد في فضل صيامِ شهرِ الله المحرم، وما ورد في فضل صيام شعبان، وإكثاره ﷺ من الصوم فيه، حيث ورد في صحيح البخاري عن عائشة ﵂ قالت: وما رأيتهُ ﷺ أكثرَ صيامًا منه في شعبان، وفي رواية أخرى له: «وكان يصوم شعبان كلَّه»[2].

فقد أجاب على ذلك النوويُّ بقوله: «يحتمل أن يكون ما علم بفضل صومِ محرم إلا في آخرِ عمره فلم يتمكن من كثرة الصومِ في المحرم، أو أنه اتفق له فيه من الأعذار بالسفر والمرض مثلًا ما منعه من كثرةِ الصومِ في محرم»[3].

وبكل حالٍ فإن شقَّ عليك كثرةُ الصوم في شهرِ الله المحرم فحنانيك أن تُغلب على صيامِ عاشوراء منه، فقد ورد في فضله «**وصيام عاشوراء أحتسب على الله أن**

---

(١) مسلم ١١٦٣، جامع الأصول ٩/ ٢٧٣.

(٢) الصحيح مع الفتح ٤/ ٢١٣ ح ١٩٦٩، ١٩٧٠.

(٣) النووي شرح مسلم ٨/ ٥٥، الفتح ٤/ ٢١٥.

يكفر السنة التي قبله» كذا قال المصطفى ﷺ[١].

وفي لفظ: «.. **وصوم عاشوراء يكفر سنةً ماضية**»[٢].

ومن السُّنة صيامُ التاسع مع العاشر مخالفةً لليهود، كما في صحيح مسلم قوله ﷺ: «**لئن عشتُ إلى قابل لأصومن التاسع**».

وكمالُ ذلك أن تصوم التاسع و العاشر و الحادي عشر، فقد ذكر العلماءُ ثلاث مراتبَ لصيام عاشوراء:

أدناه أن يُصام وحده، وفوقه أن يُصامَ التاسعُ معه، وفوقه أن يصام التاسعُ والحادي عشر[٣].

ولا يفوتنك حال الصيام استشعارُ فضلِ الصيامِ عمومًا، وتكفيرُ يوم عاشوراء لسنة ماضية خصوصًا، كما لا يفوتنك حالَ الصيامِ أن تتذكر عظمةَ هذا اليوم وما حصل فيه نصر للإسلام وعِزةٍ للمؤمنين في الماضي، واسأل ربَّك وأنت صائمٌ أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين في الحاضر.

الوقفةُ الرابعة: وهي فائدةٌ جليلةٌ حريةٌ بالوقفةِ والتأمل فهي وإن كانت بمناسبة الصيام فهي صالحةٌ للعبادات بشكل عام.

وهي: التوفيقُ بين التأسي بالرسولِ ﷺ في فضائل الأعمال وبين المداومة على الطاعة وإن قَلَّتْ، فقد ورد على إثر قول عائشةَ رضي الله عنها (وكان يصوم شعبان كلَّه) قولُها (وكان ﷺ يقول: **خذوا من العمل ما تُطيقون، فإن اللهَ لا يَملُّ حتى تملوا، وأحبُّ**

---

(١) رواه مسلم (النووي ٨/ ٥٠).

(٢) رواه الجماعة إلا البخاري (إرواء الغليل ٤/ ١١١).

(٣) انظر: الفتح ٤/ ٢٤٦، ابن القيم: زاد المعاد.

الصلاة إلى النبيِّ ﷺ ما دُووم عليه وإن قلت، وكان إذا صلى صلاةً داوم عليها) هكذا جاءت هذه التوجيهاتُ كلُّها في حديث واحد كما في صحيح البخاري[١].

حتى قال ابنُ حجر رحمه الله: «ومناسبةُ ذلك للحديث الإشارةُ إلى أن صيامَه ﷺ لا ينبغي أن يتأسى به فيه إلا من أطاق ما كان يطيق، وأن من أجهد نفسه في شيء من العبادة خُشي عليه أن يملَّ فيُفضي إلى تركه، و المداومةُ على العبادة وإن قلت أولى من جهد النفس في كثرتها إذا انقطعت، فالقليلُ الدائم أفضلُ من الكثير المنقطع غالبًا»[٢].



(١) الفتح ٤/ ٢١٣ ح١٩٧٠.

(٢) الفتح ٤/ ٢١٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ناصرِ دينهِ، ومعلي كلمته، ومعزِّ أوليائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حكم بنصرةِ رسلهِ والمؤمنين لا معقب لحكمه. ولكن نَصره مستلزمٌ لنصرة دينه والإيمان به ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾(١)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٢).

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله ابتلاه ربُّه وأصحابَه، ثم أنزل عليهم النصر حين اكتملت أسبابُه، ومكن لهم في الأرض بعد أن صدقوا وصبروا في جهاده، ولو شاء ربُّك لنصرهم ومكنهم من قبل، ولكن سنةَ الله ماضيةٌ في الأولين والآخرين.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾(٣).

اللهم صل وسلم عليه و على سائر الأنبياء و المرسلين.

عبداَ الله.. لا ينفك شهرُ اللهِ المحرم، وعاشوراء على الأخص، عن قصةِ موسى عليه السلام -وليس في القرآن أعظمُ وأطولُ منها- وليس في أنبياءِ بني إسرائيل أعظمُ من موسى ولا أكثرُ أتباعًا منه، وله من القوة العظيمة في إقامةِ دين الله و الدعوة إليه، والغيرةِ العظيمة ما ليس لغيره، وزمانُه الذي عاش فيه من أشدِّ الأزمان، وفرعونُ المعاصرُ من أشدِّ الطغاة.

وهنا لا بد من وقفة عند بعضِ الفوائد المستنبطةِ نصًا، أو ظاهرًا، أو تعميمًا، أو

(١) سورة محمد، آية: ٧.
(٢) سورة الروم، آية: ٤٧.
(٣) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢، ٣.

تعليلًا، من قصة موسى عليه الصلاةُ والسلام.

وهذه هي الوقفة الخامسة: فقد استخرج الشيخُ السعديُّ -يرحمه الله- في كتابه(تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) (وهو خلاصةُ تفسيره المشهور) ما يقرب من أربعين فائدة، أسوق لكم شيئًا منها، قال الشيخ السعديُّ -يرحمه الله-:

ومن هذه الفوائد: أن آياتِ اللهِ وعبرَه في الأمم السابقة، إنما يستفيد منها ويستنير بها المؤمنون، و اللهُ يسوق القَصصَ لأجلهم كما قال تعالى في هذه القصة: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

- ومنها أن الأمة المستضعفة لو بلغت في الضعف ما بلغت لا ينبغي أن يستولي عليها الكسلُ عن السعيِّ في حقوقها، ولا اليأس من الارتقاءِ على أعلى الأمور، خصوصًا إذا كانوا مظلومين كما استنقذ اللهُ بني إسرائيل على ضعفها واستعبادها لفرعون وملئه فيهم، ومكنهم في الأرض وملكهم بلادَهم.

- ومنها أن الأمةَ مادامت ذليلةً مقهورةً لا تُطالب بحقها، لا يقوم لها أمرُ دينها، كما لا يقوم لها أمرُ دنياها.

- ومنها أن قتلَ الكافرِ الذي له عهدٌ بعقدٍ أو عرفٍ لا يجوز، فإن موسى ندم على قتله القبطي واستغفر اللهَ منه وتاب إليه.

- ومنها أن العبدَ وإن عرف أن القضاءَ والقدرَ حقٌ، وأن قدر اللهِ نافذٌ لا بد منه، فإنه لا يهملُ فعلَ الأسبابِ التي تقع فإن الأسباب والسعي فيها من قدر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك لما التقطه آلُ فرعونَ سعت

(١) سورة القصص، آية: ٣.

بالأسباب، وأرسلت أختَه لتقصَ، وتعملَ لأسباب المناسبةَ كتلك الحال.

- ومنها جوازُ خروج المرأةِ في حوائجها وتكليمها للرجل إذا انتفى المحذورُ، كما صنعت أختُ موسى، وابنتا صاحب مدين.

- ومنها أن إخبارَ الغير بما قيل فيه وعنه على وجه التحذيرِ له من شرٍّ يقَعُ به لا يكونُ نميمةً، بل قد يكون واجبًا، كما ساق اللهُ خبرَ ذلك الرجلِ الذي جاء من أقصى المدينةِ يسعى محذرًا لموسى على وجه الثناء عليه.

- ومنها أن اللهَ كما يُحبُّ من الداعي أن يتوسل إليه بأسمائه وصفاته ونعمه العامةِ والخاصةِ، فإنه يُحبُّ منه أن يتوسلَ إليه بضعفه وعجزه وفقرِه وعدمِ قدرته على تحصيل مصالحِه ودفع الأضرارِ عن نفسه، كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(١).

- ومنها أن من أعظم العقوبات على العبدِ أن يكون إمامًا في الشرِّ، وداعيًا إليه، كما أن من أعظم نعم الله على العبد أن يجعله إمامًا في الخير هاديًا مهديًا، قال تعالى في فرعون وملئه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾(٢) وقال عن بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٣).

- ومنها أن قوله جلَّ ذكرهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ أي أن الذكر العبد لربِّه هو الذي خلق له العبدُ، وبه صلاحه وفلاحه، وأن المقصود من إقامة الصلاة إقامة هذا المقصود الأعظم، ولولا الصلاةُ التي تتكرر على المؤمنين في اليوم والليلة لتذكرهم بالله ويتعاهدون فيها قراءة القرآن، و الثناءَ على الله ودعاءَه و الخضوع له

(١) سورة القصص، آية: ٢٤.
(٢) سورة القصص، آية: ٤١
(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

الذي هو روحُ الذِّكر، لولا هذه النعمة لكانوا من الغافلين.

- ومنها أن قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ استوعب اللهُ بها الأسباب التي تدرك بها مغفرة الله: وهي التوبةُ، والإيمانُ، والعمل الصالح والاستمرارُ على الإيمان والهداية والازديادُ منها.

على غير ذلك من فوائد ذكرها الشيخ في كتابه الآنف ص **١٣٠-١٣٦**.

وبعدُ إخوة الإيمان، فشهرُ الله المحرم، وعاشوراء مناسبةٌ للذكر و الشكرِ، وسببٌ من أسباب التأمل في قصص القرآنِ، وزيادة الإيمان وأنى هذا من ممارساتٍ خاطئةٍ تُلطم بها الخدود، وتُخَدش بها الوجوه ويُجتمع فيها للبكاء والعويل، وربما سالت منها الدماء، واختلط فيها الرجالُ بالنساء، وظهر فيها المنكر، وكل ذلك ما أنزل اللهُ به من سلطان، بل هو من تلاعب الشيطان، وهل يُعقل إقامةُ ذكريات للموتى على حساب تعاسةِ وإلحاق الضرر بالأحياء. اللهم اهد ضالّنا، وثبت هُداتنا.



ذكرى العيد[١]

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله الذي أعان على الصيام والقيام، لك الحمد ربنا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم وكما هديت فثبت على الحق، وكما يسرت لطاعة فتقبلها يا ذا الجلال والإكرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله بنعمته تتم الصالحات وبيده أمرُ الكائنات، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ أفضلُ من صلى وصام وقام للهِ بأمره وكان عبدًا شكورًا، اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائر أنبياءِ اللهِ ورسله، وارض اللهم عن أصحابهِ الأخيار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان. اتقوا اللهَ معاشرَ المسلمين، ولباسُ التقوى خير، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣].

الله أكبر، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا والحمُد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلًا.

اللهُ أكبر عدد ما ذكره أبيضُ وأسودُ وأسمرُ، وأكرمُ الخلق على الله أتقاهم،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١/ ١٠/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة يونس، آية: ٦١.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

واللهُ أكبر عدد ما لاحت بوارقُ النصرِ، ورفرفت رايةُ التوحيد في الجبال والوهاد وفي كل سهلٍ أو وعر، الله أكبر عدد ما هلل مُهَللٌ وكبر مكبرٌ. الله أكبر كلما صام صائمٌ وأفطر، وكلما تلا قارئُ كتابَ ربه وتدبر، وطاف طائفٌ بالبيت العتيق فذكر الله وكبر. اللهُ أكبر كلما استغفره المستغفرون في ساعةٍ من ليل أو نهار أو حين السحر، وكلما فاضت عيونُ المحبين واكتحلتَ بالبكاء مُقلُ الخاشعين.

عبادَ الله يومُكم هذا يومٌ عظيمٌ من أيام الله يومُ عيدٍ وفرحة، ويومُ غبطةٍ في الدين والطاعة، يفرح المؤمنون به لأن الله تعالى وفقهم لإكمال العدة وأعانهم فيه على الطاعة، وهم ينتظرون من الكريم المثوبة والجائزة، ويستغفرون الله عن الخطأ والزلة، وليس الفرحُ بسبب إنهاءِ الصيام الذي يعده ضعفاءُ النفوس عبئًا ثقيلًا عليهم.

العيدُ في الإسلام مظهرٌ من مظاهر القوةِ والمحبة والإخاء، وهو مُذكرٌ بيوم البعث والجزاء.. ولذا فليس العيدُ من لبس الجديد أو تفاخر بالعدد والعديد، ولكن العيدَ الحقَّ لمن خاف يومَ الوعيد، واتقى ذا العرش المجيد.

فالوعدُ حقٌّ، والموقف رهيب، والعذابُ شديد، والقرآنُ مذكر للغافلين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

وفي البعثِ بعد الموت نشر صحائفٍ ... وميزانُ قسطٍ طائشٌ أو مُثَقَّلُ
ونشرٌ يشيب الطفلُ من عُظمِ هولِهِ ... ومنه الجبالُ الراسيات تزلزلُ

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

ونارٌ تلظى في لظاها سلاسلٌ يُغلّ بها الفجارُ ثم يُسلسلُ
عليها صراطٌ مدحضٌ ومزلةٌ عليه البرايا في القيامة تُحملُ
وفيه كلاليبٌ تَعلَّقُ بالورى فهذا نجا منها وهذا مخردلُ
فلا مجرمٌ يفديه ما يفتدي به وإن يعتذرْ يومًا فلا عُذر يقبلُ(١).

أيها المسلمون! قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكةٌ غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وذلك بالحمل على طاعةِ الله، والجدية في السيرِ إلى الله، والتذكيرِ بمقام العرض على الله.

عن عدي بنِ حاتم ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربُّه ليس بينه وبينه تُرجمان، ينظرُ أيمنَ فلا يرى إلا ما قدَّ من عمله، وينظرُ أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظرُ بين يديه فلا يرى إلا النارَ تلقاءَ وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»(٢).

وإياكم -عباد الله- والغفلة عما خُلقتم له، ففي الغفلة العطب، واجعلوا من فرحةِ الدنيا سبيلًا للفرحة العظمى في جناتٍ ونهرٍ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

ولا تستوحشوا من ذكرِ هادمِ اللذات، فوصيةُ نبيكم ﷺ: «**أكثروا ذكرَ هادم اللذات**».

قال القرطبي ﵀: «قال الدقّاقُ: من أكثرَ من ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيلُ التوبةِ، وقناعةُ القلبِ، ونشاطُ العبادة. ومن نسي الموت عوجل بثلاثة: تسويفُ التوبةِ، وتركُ الرضا بالكفاف، والتكاسلُ في العبادة».

---

(١) المختار للحديث في رمضان ١٥٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم في الرقاق، والزكاة ٨/ ١٤٠، ٢/ ٧٠٣.

عباد الله! لا يعني ذكرُ الموت أن تتحولَ الحياةُ إلى أحزانٍ ولا إلى ظلمات مهلكة، وانطوائية مؤذية.

لكن الموازنة بين نصيب الدنيا والآخرة، والمراقبةُ الدائمةُ والتحوُّطُ في المطعم والمشربِ والمنكح والملبس، والنطقِ والصمت اللهُ أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أمةَ الإسلام! يومُ العيد يومُ أُنس وصلةٍ لما أمر اللهُ به أن يوصل، ويوم مواساةٍ لمن به حاجة، يُمسح رأسُ اليتيم، ويُتصدق على الفقراء والمساكين، ويُدعى فيه للمرضى، ويُترحم على الموتى، ويُدعى بفكاكِ الأسرى ورفع الضرِّ عن المتضررين من المسلمين.

هو يومٌ تبرز فيه أخلاقُ الأمةِ المسلمة على سجيتها، وتبرز فيه العواطفُ والميول والعوائدُ على حقيقتها تمتد مشاعرُ الإخاءِ إلى أبعد مدى، ويبدو المجتمعُ في العيد متماسكًا متعاونًا متراحمًا، تخفق فيه القلوبُ بالحبِّ والودِّ والبرِّ والصفاء.

أمةَ القرآن، مع أفراحِنا وأشواقنا.. فلا ينبغي أن تنسينا فرحةُ العيد مآسينا، وأحوالَ أمتِنا، فالقدسُ أسير، والمسلمون أشلاء ممزقة هنا وهناك. ويومُ العيد مناسبةٌ كبرى للمسلمين للمراجعةِ، وطرح الأسئلةِ المهمة، فإلى أين تسيرُ مناهجُ الإعلام والتعليم، وما هي الأسسُ التي يُبنى عليها الحكمُ والاقتصاد في بلاد المسلمين؟ ما وضعُ المرأةِ في مجتمعات المسلمين، وإلى أين تسيرُ قضيتها؟ كيف تستثمر طاقات الشباب؟ وما مقدارُ مكاسبُ الأمةِ ومغانمها وما حجمُ مآسيها ومغارمها؟

إن ما يعيبُ الأمةَ، جهلَ أبنائها، وغفلة علمائها، وتسلطَ قادتها، ويُضعفُ

قدرتها ويُفرِّق كلمتَها شيوعُ النفاق بين مثقفيها، ووجودُ الخلافِ النكد بين أبنائها وبروزُ العلمنةِ في أي منحى من مناحي حياتها، وقيادةُ العلمانيين لركبها..؟!

إخوة الإسلام لن يفلحَ المسلمون في ذواتِ أنفسهم أو صراعهم مع الأمم الأخرى إذا نُحِّي شرعُ الله وساد تطبيقُ القوانينِ الوضعية فيما أنزل اللهُ حكمه من السماء وجاءت به شرائعُ الأنبياء عليهم السلام ولن تُفلح الأمةُ ونخبةٌ من أبنائها يرون الدين مظهرًا من مظاهر التخلفِ والرجعية، لا فرق في ذلك بين من يُعلنه، ومن يُسره لكنه يتمثله واقعًا عمليًّا.

ولن تسود الأمةُ وفيها من يرون تقليدَ المرأةِ المسلمة للمرأةِ الكافرة أنسب الطرق لحريتها وكرامتها، والحشمة والعفاف والحياءَ تقاليدَ بالية؟! ولن ترشدَ أمةٌ أضاعت طاقة شبابها في اللهو و اللعب الفارغ، وأنَّى للأمة المسلمة أن تُفلح إذا كان قادتها من يلزمون أنفسهم وشعوبهم دخول جحر الضبّ الخرب تقليدًا ومجاراةً للأمم الكافرةِ الأخرى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].



(١) سورة آل عمران، آية: ٨٦.

الخطبة الثانية:

الله أكبر، الله أكبر.. الله أكبرُ كبيرًا والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، وأشهد أن لا إله إلا اله إعظامًا وتجليلًا، وأشهد أن محمدً عبده ورسوله.

اللهم لك الحمد ربنّا، أطعمتنا من جوع، وأمنتنا من خوف، أتممت علينا شهرَ الصيام، وشرعت لن عيدين في الإسلام،.. والخسارةُ لمن حاد عن الدين أو ابتدع مَا لم يأذن به الله.

أيها المسلمون! اشكروا الله على ما أسبغ عليكم من نعم يزدكم، واذكروه في الملأ يذكركم .. وحافظوا على رصيد الخير الذي جمعتموه في شهر رمضان، واعملوا أن عملَ الصالحات ليس لها حدٌّ دون الموت.

قال الحسنُ البصريُّ-يرحمه الله-: إن اللهَ لم يجعلْ لعملِ المؤمنِ أجلًا دون الموت، ثم قرأ ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾(١).

ألا ما أجمل الطاعةَ تعقبها الطاعات والحسنةَ تعقبها الحسنات، وَأكرم بأعمال البرِّ في ترادف الحلقات وفي يوم المعادِ يغتبط العاملون للصالحات، وصدق الله ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾(٢).

ومع اتباع السيئة الحسنة تمحها، لازموا الاستغفارَ فهم مُذيبٌ للخطايا كما يذوب الجليدُ على الصفا، وأحدثوا لله توبةً كلما حدثت منكم معصية، وإياكم أن تقنطوا من رحمة الله، فالله يغفر الذنوب جميعًا، وراغموا الشيطان في معترك الحياة، واستعيذوا بالله من همزات الشياطين وحضورهم، وتجملوا بالأخلاق

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٦.

الفاضلة فبها يبلغ المسلمُ درجة الصائم القائم، وإنما كانت بعثة محمد ﷺ لإتمامِ مكارم الأخلاق!

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر تتحقق لكم الخيريةُ والفلاحُ، وادعوا الله على بصيرة فلا أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا، وقال إنني من المسلمين، تحققوا من طيب مطعمكم، واستعملوا جوارحكم في مرضاة الله، وارعوا الأمانة في أهليكم وأولادكم.

أختاه في الإسلام هناك من يكيد لك كيدًا، ويريد بك شرًّا، فاحذري مروجي البضاعةِ المزجاة، وإن تظاهروا بزي الناصحين.

إياكن أن تخضعن بالقولِ فيطمعَ الذي في قلبه مرض، وقلن قولًا معروفًا، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله، أدنين الجلباب، واغضضن البصر، واحفظن الفروج، ولا تبدين ما يخفى من زينة، ولا تستثمرن طاقاتكن في غير ما أحل الله لكنَّ.

فذلك هديُ السماء، وأدبُ اللهِ للنساء.

معاشر الشباب احفظوا أوقاتكم، واستثمروا طاقاتكم فيما ينفعكم ويعود بالخير على أمتكم، فالفراغ يعقبه الانشغال، والقوة ستتحول يومًا إلى ضعف، ومن فرّط في حالِ القدرةِ والقوة ندم حين الضعفِ والشيخوخة.

معاشر الأخوة المقيمين، صلوا أرحامكم وإن نأت الديارُ بكم فالرسالةُ اللطيفة والمكالمةُ الحانية تطيب في كل وقت. ولها وقعُها في المناسبات والأعياد المشروعة واستأنسوا بذكر الله وطاعتهِ على آلام الغربة[١]، واحفظوا الله في

---

(١) فبذكر الله تطمئن القلوب.

أنفسِكم يحفظكم في أهليكم، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا.

الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر ولله الحمد.

اللهم إنا نسألك بأنا نشهد أنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكون له كفوًا أحد أن تجبر كسرنا، وتقبلَ صيامنا وقيامنا، وسائرَ أعمالنا، اللهم اجعلنا من الفائزين، ومن عتقائك من النار، اللهم احفظنا بالإسلام ما أبقيتنا، وحبب إلينا الإيمانَ وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

لإله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. . اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا، واختم بالصالحات أعمالنا، وأدم شكرنا وذكرنا، اللهم يا فارج الكربات، ويا مجيب الدعوات أصلح أحوال أمتنا، ورد المسلمين إليك ردًّ جميلًا، اللهم حكِّم فيهم كتابك وأعلِ سنةَ نبيك، ومكِّن للصالحين، واقمع أهلَ الزيغ والبدعِ والفساد يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، واغفر اللهم لنا ولوالدينا واشف مرضانا وارحم موتانا، وهب لنا من أزواجنا قرة عين، وعاف مبتلانا، واهدِ ضلالنا، وثبت على الحق هداتنا، اللهم أصلح ووفق حكامنا وأمراءنا ووزراءنا للخير، اللهم ولِّ على المسلمين خيارهم واكفهم شرَّ شرارهم يا رب العالمين. .

سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العاملين، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد.



المسلمون والإدالة عليهم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الناس! أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا.. ومن يتق الله يكفرْ عنه سيئاته ويعظم له أجرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١).

عباد الله! كتب اللهُ أن الغلبة والعزةَ والنُصرةَ للمؤمنين، وأن الذلَّ والصغار والمهانةَ للكافرين.

تجدون ذلك مبثوثًا في أكثر من آية في كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٣)،

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٨.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٧٣.

وقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(١)].

ومثل ذلك كثيرٌ في كتاب الله.

وبعضُ الناس حين يقرأ هذه الآيات وأمثالها، وينظرُ في واقع المسلمين اليوم وما هم فيه من ذلَّةٍ وضعفٍ وتشرذمٍ وما يتمتع به عدوُّهم من قوةٍ وغلبةٍ وتمكينٍ، يظنُّ أن هذه الوعود للمؤمنين في الآخرة دون الدنيا، ويظن كذلك أن النعيم في الدنيا لا يكونُ إلا للكفار والفجار، وأن حظ المؤمنين من ذلك في الدنيا قليلٌ، قد يعتقدُ أن العزة والنصرة في الدنيا تستقر للكفار والمنافقين على المؤمنين[(٢)].

وهذه ظنون كاذبة، وفيها تزكيةٌ للنفوس غيرُ عادلة وغفلةٌ عن شروط النصر والتمكين لهذه الأمة.

وأين الذين يفهمون أن هذه الوعود للمؤمنين خاصةٌ بالآخرة دون الدنيا- أين هم من قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[(٣)].

فالوعدُ للحاضر والمستقبل- فضلًا عن الماضي- والنصرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة ظاهرٌ لا يحتمل التأويل.

فكيف يُجمع بين الوعدِ والواقع؟ وهل من تعارض بين واقع الأمة وما وُعدت به؟ وما الحكمُ من رواء الإدالة على أهل الإسلام في فتراتٍ من حياتهم؟

أيها المسلمون! ولا تعارض بين واقع الأمة المسلمة وما وعدت به، فوعدُ الله

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٢٨.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥٥.

(٣) سورة غافر، آية: ٥١.

حقٌّ، وسنته ثابتةٌ لا تتغير، فهو حسبُ المؤمنين وكافيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]. وهو يدافع عن المؤمنين بنص القرآن: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٢].

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[٣].

ولكن السؤال المهم: هل تحقق الشرطُ، وتخلَّف الوعدُ؟ كلا والعالمون يقولون: إن هذه الآياتِ وهذه الوعود إنما هي لأهلِ الإيمان الكامل، فإذا ضعف الإيمانُ صار لعدوهم عليهم من السبيل بما تركوا من طاعةِ الله.

وكفايتهُ لهم إنما هي بحسب اتباعِهم لرسوله ﷺ، وانقيادهم له، وطاعتهم له، فما نقص من الإيمان عاد بنُقصان ذلك كلِّه، وكذلك المدافعة مشروطةٌ بالإيمان، فإذا ضعف الدفعُ عنه فهو من نقصِ إيمانه.

فيا قارئ القرآن! تأمل هذه الضماناتِ لعدم الهوان، أو الدعوةِ للسلم في آيتين من كتاب الله، هما: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[٥].

فهذا الضمانُ إنما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها[٦].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٤.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٨.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

(٥) سورة محمد، آية: ٣٥.

(٦) ابن القيم، إغاثة اللهفان ٢/ ٢٦٤.

وفي حالة غيابها أو ضعفها تسوء أحوالُهم ويُسلَّط عليهم أعداؤهم.

إخوةَ الإسلام! من الخطأ ومعوقات النصر أن يحسن العبدُ ظنه بنفسه وبدينه -مع ما هو فيه من مخالفاتٍ وتقصير وضعفٍ وهوى، وحب للدنيا- ثم تراه بعد ذلك يتحسر ويقول: لماذا يُذل المسلمون، ويُديل الله عليهم الكافرين؟! ولماذا يتفرق المسلمون، ويجتمعُ عليهم الكفرة والمنافقون؟!

وفي هذا المقام يقول ابنُ القيم -يرحمه الله- موضحًا جوانب من تقصير العبدِ في دينه: «فإن العبدَ كثيرًا ما يترك واجباتٍ لا يعلمُ بها، ولا بوجوبها فيكون مقصرًا في العلم، وكثيرًا ما يتركها بعد العلمِ بوجوبها، إما كسلًا أو تهاونًا، وإما لنوع تأويلٍ باطلٍ، أو تقليد، أو لظنه أنه مشتغلٌ بما هو أوجب منها، أو لغير ذلك، فواجبات القلوب أشدُّ وجوبًا من واجبات الأبدان وآكدُ منها، وكأنها ليست من واجبات الدين عند كثيرٍ من الناس، بل هي من باب الفضائل والمستحبات.. ثم يضرب ابنُ القيم نموذجًا لهذا التقصير في الواجبات فيقول: ما أكثرَ من يتعبدُ الله بترك ما أوجب عليه، فيتخلى وينقطعُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قدرته عليه، ويزعم أنه متقربٌ إلى الله تعالى بذلك مجتمعٌ على ربه تبارك وتعالى، تارك ما لا يعنيه، فهذا من أمقتِ الخلقِ إلى الله، وأبغضِهم إليه، ومع ظنه أنه قائم بحقائق الإيمان وشرائع الإسلام وأنه من خواص أوليائه وحزبه»(١).

عباد الله! إذا كان ما ذكره ابنُ القيم نموذجًا لتقصير الخيرين ومن يزعمون أنهم أولياءُ الله.. فكيف وفي المسلمين من يستسهل تركَ الواجباتِ المهمةِ في الدين.. وفيهم من لا يتورع عن إتيان المحرمات صباحًا ومساءً، وفيهم من لا يهمه شأنُ

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٦٠، ٢٦١.

الإسلام، ولا يعنيه أمرُ المسلمين عزوا أم ذلوا مُكِّن لهم في الأرض أم مكن لغيرهم..؟ وفيهم وفيهم..

بل وكيف الحال وفي المسلمين من يدل الكفار على العورات.. أو يتولى بفكره وقلمه هدمَ بناءِ الإسلام، أو يشكك في أصوله ومعتقدات أبنائه، ويدعو لتمجيد عقائد الكفار، ويروِّج لأفكارهم في بلاد المسلمين؟

أيها المؤمنون! كيف يعز المسلمون ويُنصروا على عدوهم والخلافاتُ والبغضاء والشحناء تعلو رايتها بينهم، وكلٌّ حزب بما لديهم فرحون، ولربما بلغت شدة الخصومة بينهم حدًّا رأى الخصمُ فيها محاسنَ خصمِه مساوئ وإيجابياته سلبيات، وكأن الشاعر عناهم بقوله:

نظروا بعين عداوةٍ ولو أنها عينُ الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا

إنها راياتُ الهوى.. والتعصبِ، والظلم ينصبها الشيطانُ ويُخيِّلُ لصاحبها أنه محقٌّ وغيرُه مبطل، وهو المصيبُ وغيرُه مخطئ.. وما ذاك من العدل الذي أُمر به المسلمون: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[1]، ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[2].

بالعدل قامت السماواتُ والأرض، ولأجله أرسل الرسل وأنزلت الكتب.. ومصيبةٌ أن يتخلى أهلُ العدلِ عن عدلهم أو عن شيء منه.. ويتشبث ولو بنوع منه أعداؤهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

(٢) سورة النجم، آية: ٣٢.

وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[١].



(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو العزيز الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له مالكُ الملك يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء وهو الحكيمُ الخبير.

وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ عاش وأصحابهُ فترة من حياتهم مشردين مطاردين.. ثم مكن الله لهم وأذلَّ عدوَّهم والعاقبة للتقوى.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر من أرسلهم الله رحمةً للعالمين.

إخوةَ الإسلام! في فترات ضعفِ الأمةِ المسلمة حريٌّ بها أن تراجعَ نفسَها وأن تبحث عن أسباب الضعفِ، وتسعى إلى إصلاح الأخطاء..

وعلى كل فردٍ مسلمٍ أن يراجعَ إيمانَه بالله وأنبيائِه وكتبه وحقائقِ اليوم الآخر، وأن يصححوا ما فسد من أخلاقهم أو اعوج من سلوكياتهم.

وحريٌّ بالمسلمِ أن يتهم نفسَه بالتقصير في واجبات الله وحقوقه، وألا يزكيها ويغترَّ بالعملِ القليل يؤديه.. وإذا قال قائلنا في هذا الزمان: نحنُ ونحن وفعلنا وفعلنا.. وكأننا بذلك نستكثرُ ما عملنا.

فأسلافُنا -الذين هم خيرٌ منا- كانوا مع قوتهم في الحق وجهادهم في سبيل الله، ومجاهدةِ أنفسهم عن مزالق الردى كانوا مع ذلك يتهمون أنفسهم ويشعرون بالتقصير في ذات الله، ويقول قائلهم: نشدتك الله يا حذيفة هل عدني رسول الله ﷺ في المنافقين؟

وإذا قال هذا أحد العشرة المبشرين بالجنة خائفًا وجلًا، فهل يأمنُ أمثالنا؟

عبادَ الله! وفي فتراتِ ضعفِ الأمةِ المسلمة يتميز الصفُّ المسلمُ، وينكشفُ من اندس بين المسلمين وليس منهم، ومن كان يستطيع الانضمامَ إليهم في فتراتِ قوتهم، ويعجز عن مواصلةِ السير معهم في حال ضعفِهم وغلبة عدوهم عليهم.

وقد قصَّ اللهُ علينا في كتابه نبأ طائفةٍ من الناس يتربصون بالمسلمين الدوائر، وهم مع من غلب، فقال تعالى فاضحًا المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾(١).

وإذا استُثني المنافقون ومن في قلوبهم مرضٌ، فإن مرحلةَ الضعفِ حَرِيَّةٌ بأن تزيدَ في تماسكِ الصفِ المسلمِ، وتأليفِ قلوبهم، وحَرِيَّةٌ بأن تدعوهم إلى الانكسار والتضرع لله في رفع النازلةِ وكشفِ الغمة، لا أن تقسوَ قلوبُهم، أو يستمرءوا ما هم فيه من ذلةٍ ومهانة، وهذه الأمةُ كغيرها من الأمم تُمتحن بالسراء والضراء، ويذكرون بمن أخذ من الأممِ ليعتبروا بهم، ويقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾(٢).

ويذكرنا القرآنُ بقيمةِ التوبة والذكرى في حالِ الفتنِ المتلاحقة يقول تعالى مُنكرًا على فئةٍ من الناس في قلوبهم مرض: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً

(١) سورة النساء، آية: ١٤١.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٤٢-٤٤.

أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[(١)].

ويُذكرنا بقوم آخرين لا تزيدهم الرحمةُ والنعمةُ إلا طغيانًا وإعراضًا، ولا هم في حال الشدةِ والعذابِ لربهم يستكينون ويتضرعون، ويقول تعالى عن قريش في حال كفرها وعنادها: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[(٢)].

عبادَ الله! إذا استوجب على المسلمين مراجعةُ أنفسهم، ومحاسبتُها واتهامُها، واستصلاحُها، والتضرعُ لله، والتوبةُ لله -في كل الأحوال فالحاجة لذلك في حال الشدائدِ والمحن أكبر-، وإذا كانت هذه من دروس المحن وحكمتها، فثمة حِكَمٌ في ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوِّهم لهم وقهرهم وكسرهم أحيانًا، لا يعلمها على التفصيل إلا الله، ومما ذكره العالمون منها: استخراجُ عبوديَتهم وذلِّهم لله وانكسارهم له وافتقارهم إليه، وسؤاله نصرَهم على أعدائهم، ولو كانوا دائمًا منصورين غالبين لبطروا وأشِروا ولو كانوا دائمًا مقهورين مغلوبين لما قامت للدين قائمة.

ومنها أنه تعالى يُحبُّ من عباده تكميل عبوديتهم على السراءِ والضراءِ وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتِهم والإدالة عليهم، فتلك المحنُ والبلايا شرطٌ في حصول الكمالِ الإنساني والاستقامةِ المطلوبة منه، ووجودُ الملزومِ بدون لازمه ممتنع.

ومنها أن امتحانَهم بإدالة عدوهم يُمحصهم ويُخلصهم ويهذبهم كما قال تعالى فيما حصل للمسلمين يوم أحد: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٧٥، ٧٦.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١).

عبادَ الله! ألا وإن الصبرَ مفتاحُ الفرجِ، والثباتُ على الحق يعقبه الظفر.. واستمرارُ المجاهدةِ، وحملُ دين الله، وتبليغه لا يبوء صاحبُها بالخسارة، فإما أن ينصره الله في الدنيا وإما أن يُوفى أجره يومَ القدوم على الله.

احرصوا على تغيير ما بأنفسكم يُغَيِّر اللهُ أحوالكم، فاللهُ لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وثقوا أن النصرَ قرينُ الإيمان، وشرطٌ للمؤمنين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وبغير هدى الله واتباع رسوله ﷺ سيظل المسلمون يتنقلون في البيداء المهلكة حتى يقيض الله لدينه ناصرًا. اللهم انصر دينك.



(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٤٠-١٤٢.

من معاني الإسراء والمعراج[١]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٣].

أيها المسلمون! ما اشتد كربٌ إلا وجاء الفرج بعده من الله[٤]، وفي سيرة المصطفى ﷺ دروسٌ معلّمة للأمة، ففي حدود السنةِ العاشرة للبعثة بلغ الكربُ و الهمُّ بالرسول ﷺ مبلغَه.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٤١٧/٧/٤هـ.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٨.

(٣) سورة النساء، آية: ١.

(٤) ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها الفرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فمكةُ تضيق بدعوته، وقريش تتابعه حتى تخرجَه من أرضه وأهلِهِ وعشيرته، وأهل الطائفِ يغرون به السفهاءَ، ويستهزئ به الكبراءُ، تُدمى عقباه الشريفتان ويزيدُ من إيلامهِ أن الناسَ يرفضون هديَ السماء، فيخرجُ النبيُّ ﷺ مهمومًا على وجهه ولم يستفق إلا بقرن الثعالب وما عساه أن يَجدَ بمكة بعد أن تُوفيت زوجه أمُّ المؤمنين خديجةُ رضي الله عنها نعم الصاحبُ والمؤنس وزيرة الصدق في الإسلام يسكن إليها عند الشدائدُ كما توفي عمُّه أبو طالب الذي سخره اللهُ لحمايته رغم كفره وبقائه حتى الممات على دين قومِه، ولا غرو أن يهتم الرسولُ ﷺ ويحزن لموتِ هذين الركنين.. ولا غرابةَ أن تشتدَ قريشٌ في أذاها بعد انفراده عنهما..

ولكن المحن النازلةَ على الحبيب المصطفى ﷺ لا تَدلُّ بحالٍ عن تخلي الله عنه-وهل يتَخَلى اللهُ عن أوليائِه وقت الشدائد-؟

وإنما هي السنةُ الربانيةُ تمضي على الأنبياء ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.. تبدأ المحنُ ثم تشتد ويعلمُ الله الصادقين من الكاذبين، ثم تكون العاقبةُ للمتقينَ.

عبادَ الله! والمتأمل في أحداث السيرةِ النبوية يرى كيف يكون الفرجُ بعد الشدة، وكيف يكون النصرُ بعد الصبر، وفي حادثةِ الإسراء والمعراج وقفاتٌ تستحق التأملَ والاعتبار.. وما أعظمَ السيرةَ حين تُرى بهذا المنظار أجل إن حادثة الإسراء والمعراج وقعت لتؤكد أن المستقبل لهذا الدينِ المطاردِ في السهولِ والوهاد، وأن الإمامةَ العظمى -وعلى سائر الأنبياء- لمحمد ﷺ، وإن بلغ به الأذى والسخريةُ كلَّ مبلغ.

لقد أبانت حادثةُ الإسراءِ والمعراج أن الأرضَ إذا ضاقت في وقتٍ فإن السماءَ

تفتح أبوابَها لتستقبله، ولئن آذاه بعض أهلِ الأرضِ في وقتٍ فإن أهل السماء يقفون له مستقبلين ومرحبين[١].

أيها المسلمون! لقد كانت حادثةُ الإسراءِ والمعراجِ حدثًا عجيبًا في هذا الكون، مجّد اللهُ به نفسَه، وعظّمَ شأنَه، لقدرته على ما يقدر عليه أحدٌ سواه، فقال جلَّ من قائل عليمًا: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[٢].

وكانت الحادثةُ تكريمًا وإيناسًا وتسريةً للنبي ﷺ إذ أسري بجسده وروحه في ليلةٍ واحدةٍ من مكة بأرضِ الحجاز إلى بيت المقدسِ بالشام، وهيأ ذلك الجسدَ المادي حتى صار قابلًا لحياةِ الملكوتِ، وَرَفع له الحجبَ، ورقى به إلى الملأ الأعلى، وسار به من سماءٍ إلى سماء، وأري من آيات الله الكبرى ما أُري.. دل ذلك على التكريم من جانب والإيناسِ والتسريةِ من جانب آخر.

إن من يتأملُ حديثَ القرآنِ عن هذه الحادثة يجدُ أن أعظمَ وأوجزَ ما ورد من تعليل لها هو قولهُ تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾[٣].

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٤].

وهذه سنة اللهِ في الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[٥].

---

(١) السيرة في ضوء المصادر الأصلية ٢٤٠.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) سورة النجم، آية: ١٨.

(٥) سورة الأنعام، ٧٥.

وقال لموسى عليه السلام: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾[١].

فإذا أبصر الأنبياءُ عليهم السلام -من آيات ربهم- ما لم يبصره غيرُهم، حصل لهم من علم اليقين ما لم يحصل لغيرهم، وتحملوا في ذات الله ما لا يتحملُه غيرُهم، وكان ذلك عونًا للأمة على تصديقهم والإيمانِ برسالاتِهم، والانقيادِ لدعوتهم، إنها رحلةٌ عجيبةٌ حقًّا لكنها تليقُ بمقامِ الأنبياء عليهم السلام وهاكم شيئًا من عجائبها لقد أُسري به يقظةً لا منامًا وبروحِه وجسدِه كما قرر العلماء. من مكة إلى بيت المقدس راكبًا البُراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابَة عند الباب، ودخل فصلى في قبلته تحيةَ المسجد ركعتين، ثم أتى المعراج وهو كالسُّلمِ ذو درج رقي فيه، فصعد إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماواتِ السبع فتلقاه من كلِّ سماءٍ مقربوها، وسلم عليه الأنبياءُ الذين في السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مرَّ بموسى الكليم في السادسة وإبراهيم الخليلِ في السابعة، ثم جاوز منزلتَهما صلى الله عليه وسلم وعليهما على سائرِ الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أي أقلامَ القِدَرَ بما هو كائن، ورأى سدرةَ المنتهى، وغشيَها من أمرِ اللهِ تعالى عظمةً عظيمة من فَراشٍ من ذهبٍ وألوانٍ متعددةٍ وغشيتها الملائكةُ، ورأى هناك جبريلَ على صورتِه، له ستمائةُ جناح ورأى رفرفًا أخضرَ قد سدَّ الأفق، ورأى البيتَ المعمور- وهو الكعبة السماويةُ يدخله كلَّ يوم سبعون ألفًا من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ورأى الجنةَ والنار، وفرض اللهُ عليه هناك الصلوات خمسين، ثم خففها إلى خمس رحمةً منه ولطفًا على عباده وفي هذا اعتناءٌ عظيم بشرف الصلاة وعظمتها.. ثم هبط إلى بيتِ المقدس وهبَط معه الأنبياءُ فصلى بهم لما حانت الصلاة، ويحتمل أنها صلاة الصبح -كما ساقه ابن كثير- وأظهر له من شرفه

---

(١) سورة طه، آية: ٢٣.

وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة.. ثم خرج من بيت المقدسِ وركب البراق وعاد إلى مكة بغلس[١].

أيها المسلمون! هذا جزءٌ من عظمةِ حادثة الإسراء والمعراج التي تضافرت نصوص القرآنِ والسنةِ على ذكرها، وكما أن فيها كرامةً للنبي ﷺ ففيها كرامةٌ لأمته أمةِ الإسلام، فالقيادةُ ينبغي أن تنتقلَ إليها حينما تخلت الأمم السالفة عن قيادتها، والمقدساتُ الإسلامية ينبغي أن تكون مسئولةً عنها حينما قصرت الأممُ الأخرى في رعايتها..

والمتأمل في سورة الإسراءِ يرى أن الله ذكر قصةَ الإسراءِ في آيةٍ واحدةٍ فقط ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبههم بأن هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقوم، وربما ظنَّ بعضُ الناس أن الآيات ليس بينهما ترابط، والأمرُ ليس لذلك، فإن الله تعالى يُشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراءَ إنما وقع إلى بيت المقدسِ لأن اليهودَ سيعزلون عن منصب قيادةِ الأمةِ الإنسانية لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجالٌ لبقائهم على هذا المنصب، وأن اللهَ سينقلُ هذا المنصب إلى رسولِ اللهِ ﷺ والمؤمنين به، ويجمع له مركزي الدعوة الإبراهيمية كليهما، فقد آن الأوانُ أن تنتقلَ القيادةُ من أمة إلى أمةٍ، من أمةٍ ملأت تاريخها بالغدر والخيانةِ والإثم والعدوان، إلى أمةٍ تتدفق بالبرِّ والخيرات، ولا يزال رسولُها يتمتع بوحي القرآنِ الذي يهدي للتي هي أقوم[٢].

أيها المسلمون! وليس بين اللهِ وبين أحدٍ من خلقِه نسبٌ، وأكرمُ الخلق عند الله أتقاهم، وحينما تتخلى أمةٌ -أي أمةٍ- عن رسالتها ومنهج ربِّها يُذِلُّها الله ويستبدلُها

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ٤٠.

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم ص١٦٠.

بغيرها- ويمتحنُ بالقيادةِ غيرَها ويظلُّ ممكنًا لها ما لم تنحرفْ عن المنهجِ أو تضعفْ في حمل الأمانة.. وإذا كان المسلمون بالأمس تولوا قيادةَ العالم بأسره، وكانوا الرَعاةَ والحماةَ للمقدسات فذلك لصدقهم مع ربهم وطاعتهم لنبيهم، وجدِّهم وجهادِهم في سبيل معتقداتِهم، وحين ضعفوا وتفرقوا، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، سلط اللهُ عليهم من يسومهم سوءَ العذاب، فشردوا في أوطانهم، وسيطر الغاصبون المعتدون على مقدساتهم.. ولن يزالوا كذلك حتى يفيئوا إلى دينهم،ويستمسكوا بكتاب ربِّهم وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]. نفعني الله وإياكم بما نقول ونسمع.



(١) سورة الإسراء، آيتان: ٩، ١٠.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاةُ والسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد أخوة الإيمان فكثيرةٌ هي المعاني التي ينبغي أن تعلمها الأمةُ المسلمةُ من حادث الإسراء والمعراج.

ومن هذه المعاني أن الإسلام الذي كلفت به هذه الأمةُ هو دينُ الأنبياء عليهم السلام قبلها، بيانًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[(١)]، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[(٢)].

فقد ربطت هذه الرحلة المباركةُ بين المسجدِ الحرامِ بمكة، حيثُ شهد دعوةَ محمد ﷺ، ورفع قواعدَه إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام وبين المسجدِ الأقصى الذي شهد دعوةَ كثير من الأنبياء -عيسى ويحيى وزكريا وغيرهم- عليهم السلام، وكان قبلةَ محمدٍ الأولى.

فالإسلامُ هو الدين الذي يَضمُّ دعوةَ الرسلِ جميعًا، والأنبياء عليهم السلام إخوةٌ وإن تفاضلوا، ولذا صلى بهم الرسول ﷺ جميعًا[(٣)].

أيها المسلمون! ينبغي أن تعلمَ الأمةُ من حادثةِ الإسراء والمعراج قيمة الذكرِ وأهميتَه، وأن تعيَ رسالةَ الخليلِ عليه السلام إليها وتعملَ بها، والرسولُ ﷺ هو ناقلُ الرسالةِ ومبلغها، وفيها يقول: لقيتُ ليلَةَ أسري بي إبراهيم عليه السلام، فقال: يا محمد:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٢) سورة الشورى، آية: ١٣.

(٣) أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية، د.رفعت فوزي ص٨٤.

أقْرِئ أمتَك مني السلام، وأخبرهم أن الجنةَ طيبةُ التربةِ، عذبةُ الماء، وأنها قيعانٌ، وأن غراسَها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فأين الزارعون، وأين المستثمرون لهذه الوصية العظمى؟

عبادَ الله! حريٌّ بالمسلمين قاطبةً أن يتذكروا قدرَ الصلاةِ ومنزلتَها عند الله في كلِّ آن، وكلما قرءوا أو سمعوا عن حادثةِ الإسراء والمعراج، أجل لقد فُرضتِ الصلاةُ ليلةَ الإسراءِ والمعراج أمرًا مباشرًا من الله تعالى وهو في السماء، أما بقية أمرِ الإسلام فقد نزل بها جبريلُ عليه السلام على محمد عليه الصلاة والسلام وهو في الأرض، وفي ذلك دلالةٌ على أهميةِ هذا الركنِ من أركان الإسلام -بعد كلمةِ الإخلاص- أن الصلاة رحلةُ الأرواحِ إلى اللهِ في كل يوم خمس مراتٍ، وليست مجردَ حركاتٍ لا لبَّ فيها ولا خشوع..

إنها فواصلَ في رحلة العمرِ يقف بها العبدُ بين يدي اللهِ معلنًا عن عبوديتهِ بلسانه وقلبهِ وعملهِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإذا سها العبدُ عن هذه العبوديةِ في وقت من الأوقات، كانت الصلاةُ وسيلتَه للنظافة من هذه الأدرانِ التي علقت به[1].

ألا ما أسعَد الذين يستشعرون هذه المعاني في الصلاة فيؤدونها في أوقاتِها، محافظين على أركانها وواجباتِها وسننها-وويلٌ لمن فرّط في هذه الصلاةِ وأضاعها وهي فريضةُ اللهِ على محمدٍ ﷺ وأمتهِ وهو في السماء، وهي آخرُ وصيةٍ لمحمدٍ ﷺ لأمته وهو يودع الدنيا: «**الصلاة الصلاةَ وما ملك أيمانُكم**».

معاشرَ المسلمين! لا بد -رابعًا- أن تعيَ الأمةُ المسلمةُ قدرَ المعجزاتِ الربانية، وتدركَ أن في دينها قدرًا من المغيبات يستلزم الإيمانَ والتسليم، ويقفُ أبو بكرٍ

---

(١) من معين السيرة، صالح الشامي ص١١٧.

الصديقُ في طليعةِ الأمةِ حاملًا مشعلَ الإيمان دون ترددٍ أو ارتياب، ضاربًا أروعَ الأمثلةِ في التصديق واليقين فحين بلغه خبرُ الإسراءِ والمعراج لم يمنعه من التصديقِ إلا التوثق من صحة نسبته للرسولِ ﷺ: «**والله لئن كان قاله لقد صدق، وما يعجبكم من ذلك؟ فو الله إنه ليخبرني أن الخبرَ يأتيه من السماءِ إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار، فهذا أبعد مما تعجبون منه**»، ثم أقبل على رسول الله ﷺ يسألُه عن وصفِه، وكلما ذكر شيئًا قال: صدقت، أشهد أنك رسولُ الله، فقال ﷺ وأنت يا أبا بكر الصديق، فيومئذٍ سماه الصديق(١).

إنه الصديقُ لم يسبق الأمة بكثير صومٍ ولا صلاة، ولكن بشيءٍ وقر في قلبه، فأثمرَ الإيمان واليقين- واستحق به فضلَ الصحبةِ والقرب من النبيِّ الكريم، عرف ذلك له المسلمون، وأفصح عنها الرسولُ ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا**».

ألا ما أحوجنا إلى إيمانٍ كإيمان أبي بكر يحمينا به اللهُ من الشكوكِ والارتياب ويدفعنا إلى عمل الصالحات بأنفس راضيةٍ مطمئنة.

وحين نذكر هذا الموقف الكريم للصديق فلا ينبغي أن يغيب عنا موقفُ الملأ من قريش، حين اتخذت من حادثةِ الإسراء والمعراج فرصةً للسخريةِ والاستهزاء، والسعي لصدِّ الناسِ وفتنتهم عن دين الله، وهو نموذج يتكرر مع كلِّ مستكبر أثيم، يسمع آيات الله تتلى عليه، ثم يصر مستكبرًا كأن لم يسمَعها.. وإذا طويت صفحةُ المستهزئين وجعل اللهُ العاقبةَ للمتقين فينبغي أن يكون ذلك تسريةً وتسليةً للمؤمنينَ في كل زمان ومكان، فلا يضيقوا ذرعًا بالمستهزئين الساخرين ولا يزيدهم ذلك إلا

---

(١) ابن هشام ١/ ٣٩٩، والحاكم في مستدركه ٣/ ٦٢، معين السيرة ص١١١.

ثباتًا على الحقِّ حتى يأتيهم اليقين.

عبادَ الله.. تلك وقفاتٌ ومعانٍ عاجلةٌ من النظرِ في حادثةِ الإسراء و المعراج، وذلك ومثلهُ خيرٌ وأنفعُ من التعلقِ بأمورٍ بدعيةٍ ما أنزل الله بها من سلطان، إذ يعتقد بعضُ الناسِ أفضليةً لرجب ليست لسواه، لوقوع حادثةِ الإسراء والمعراج فيه- ولم يثبت ذلك بطريق صحيح، ولو ثبت لما كان هذا مبررًا لتخصيصه بأنواع من العبادات إذا لم يثبت شيء من ذلك عن رسولِ الهدى ﷺ ولا صحابته الكرام وهم بمواطنِ الخير أدرى، ولربهم منا أحبُّ وأتقى، بل جاء البلاغُ محذرًا عن الابتداع في دين الله «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

ألا فاستمسكوا معاشرَ المسلمين بسنة المصطفى ﷺ وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعده، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كل محدثةٍ في دين الله بدعة وكل بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

عصمني الله وإياكم من الابتداع، وهدانا للاتباع، وألهمنا رشدنا، ونفعنا بما علمنا.. هذا وصلوا..



الواقع المرُّ[١]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولُه، اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن أصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٣].

إخوة الإسلام! في مسارب الحياةِ وأطوارها المختلفة ينتقل المرء من امتحانٍ إلى آخر، ويتجاوز محنةً ثم تعترضه أخرى، ويزول عنه همٌّ ثم يواجه همًّا آخر.. وهكذا.. يبتلى الناسُ في السراءِ والضراء فتنة، ويُعرضون للخير والشر تارة وتارة.. ولا يدري المرءُ الخيرُ في السراء التي وهبت له، أم في الضراء التي قدرها الله عليه.

وهذه الهمومُ والنوازلُ الحاصلةُ للإنسان في هذه الحياة جزءٌ من الكبد الذي قدر

---

(١) ألقيت هذا الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٨/ ٢/ ١٤١٩هـ.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٣) سورة النساء، آية: ١.

الله خَلْقَ الإنسانِ فيه بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[١].

وهو منسجمٌ مع طبيعة هذه الحياة المتاع والموصوفة باللهو واللعب والتكاثرِ والمفاخرة، والمرادُ الامتحانُ، وبروزُ المجاهدة، ولتظهر فروقُ الصبر والمصابرة والمرابطةِ والتقوى لله من خلقه وإن كان غنيًّا بذاته عنهم، غير مفتقر إلى أعمالهم الصالحة. . ولا ينقصُ من ملكه شيء لو كانوا كلُّهم على أفجر قلب رجلٍ منهم.

عبادَ الله! مع ما يمر به الإنسانُ من أطوار وأحوال فمن رحمةِ الله بخلقه أن الشدةَ - وإن وقعت- لا تدوم فالعسرُ يعقبه اليسر- ولن يغلبَ عسرٌ يسرين كما قال تعالى﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٢].

وعُقدَةُ الذنبِ لا تلازم المسلم وتعوقه عن المسيرة في الخير، ومهما ظلم الإنسان نفسَه، ثم التفت إلى الله مستغفرًا تائبًا غفر الله له ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣].

ومهما أسرف المرءُ على نفسهِ بالمعاصي فلا مجال في شريعة الإسلام للإحباط والقنوط. . بل يُفتح بابُ الأمل والرجاء على مصراعيه ويُدعى العباد إلى الإنابة لخالقهم والإسلامِ له. ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾الآيات[٤].

عبادَ الله إذا ضاقت أرضٌ بشخصٍ أو أشخاص لضيق عيشهم الدنيوي فيها. . أو

(١) سورة البلد، آية: ٤.
(٢) سورة الشرح، الآيتان: ٦،٥.
(٣) سورة النساء، آية: ١١٠.
(٤) سورة الزمر، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

لكثرةِ الفتنِ والمضايقات الواقعة لهم في دينهم، ففي أرض الله الواسعة الأخرى متسعٌ لتغير الحال وسعةِ الرزق وهدوء البال.. كذا وجه القرآنُ وهو يهدي للتي هي أقوم، ويقول تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١).

إن هذه الآية الكريمة نزلت أول ما نزلت تحكي واقعَ العصبة الأولى في الإسلام- أولئك الذين ضيق عليهم المشركون في دينهم وحاصروهم في عيشهم.. فهاجر من هاجر منهم وبقي صابرًا محتسبًا من بقي منهم.. حتى أذن الله بالفرجِ وانتصر المسلمون، وشعّت أنوار الإسلامِ في كلِّ مكان ترى أيَّ شعورٍ كان يُخامر أفئدةَ المسلمين الذين هاجروا إلى أرض الحبشة فرارًا بدينهم، وكيف كان تفكيرُهم بمستقبلِ الإسلام وهم في أوج ظروف المحنة للإسلام و المسلمين؟ وتجيب الرواياتُ التاريخيةُ التي تحكي حالهم وحوارَهم وهم في أرض الغربة عن كلِّ معاني الثباتِ والثقةِ بالنصرِ إن عاجلًا أو آجلًا وقد كان.. وأكرمهم اللهُ برؤية الانتصار للدين الحقِّ وأفولِ نجمِ الباطل وهلاكِ المبطلين.

وتبلغ العظمةُ والثقةُ بنصرة الدين ومحمدٌ ﷺ يذهب الطائف ملتمسًا النصرة من أهلها ومؤملًا استجابتها للدعوة التي أنكرها جيرانُهم.. فيكون الصدود والإعراض.. بل والمطاردة إلى حدٍّ أدميت عقبا رسولِ الله ﷺ.. حتى إذا عاد وكان قريبًا من مكة أرسل إليه ملكُ الجبال وعَرض عليه أن يُطبق على المكذبين المعاندين الأخشبين.. فلا يبقى لهم أثر فتكون الإجابة الواثقةُ بنصر الله من منظور متفائل يرى أسبابَ النصر من خلال سُحب الإيذاء وأنواع البلاء.. ويترقب

(١) سورة النساء، آية: ١٠٠.

المستقبلَ والمبشر عن قريب إذ يقول: بل أرجو أن يخرج اللهُ من أصلابهم من يعبد اللهَ لا يشرك به شيئًا وقد كان.. وأكرم اللهُ محمدًا ﷺ والمسلمين برؤية جنود أفذاذٍ.. وقادةٍ أبطال أخرجهم اللهُ من حيث لم يحتسبوا هم.. أو يحتسب آباؤهم.. أو يحتسب المسلمون خروجهم بعد فترةٍ وجيزة من الصراعِ الدامِي والعداوة والبغضاء.

أجل لقد أخرج اللهُ خالد بنَ الوليد وعكرمة بن أبي جهل، وعمرو بن العاص من أصلاب آباءٍ طالما فتنوا المسلمين وآذوا رسولَ الله ﷺ وماتوا وهم يحملون رايةَ الحربِ.. ويؤلبون الناسَ من حولهم على المضي قدمًا على دين الآباء والتمسك بشعارات الجاهلية، بل لقد شاركهم هؤلاء الأبناءُ مهمتهم حينًا من الدهر..

وأدركت السعادةُ بعضَهم فشملت الآباءَ مع الأبناء.. وكان من تباشير النصر للإسلام وفَرَحِ المسلمين أن ينخرط أبو سفيان (مثلًا) وابنُه معاويةُ في سلك قافلة المسلمين.. بعد حينٍ من الدهرِ تسلموا فيها راية المجابهة للمسلمين..

إنه المستقبلُ المُغيَّبُ يُخلف الظنون.. ويبدد الأوهام ويقضي على السلبية والإحباط.. وهو وعدٌ قائمٌ متجددٌ للمسلمين في كل زمان ومكان بشرط أن يصدقوا مع ربِّهم ويخلصوا في جهادهم.. لا أن يلزموا المسكنةَ والضعف ويتعلقوا بالمستقبل ويُمنُّوا أنفسهم بمستقبل زاهرٍ لم يعملوا له.. ولم يجاهدوا لتحقيقه.

إن اللحظاتِ الحاضرة قد تأسرُ الإنسان، وقد تحجبه عن مجردِ التفكير في واقعٍ مستقبليٍ أحسنَ للإسلام والمسلمين وهو لا يرى في الأفق إلا مزيدًا من الفرقةِ والشقاق والضعفِ والخلافِ، وحرب الإبادةِ الفردية والجماعية توجه من اليهود أو النصارى أو من أهل النفاقِ والعلمنة لأهلِ الإسلام.

وبقدر ما يتألم المسلمُ لهذا الواقعِ المستهدفِ للمسلمين فعليه أن لا ييأس وأن لا يقعد عن الجهاد والدعوة فالحقُّ أصيلٌ في هذا الكون- والله أغيرُ لدينه، وأرحمُ بخلقه عمومًا.. والمسلمين منهم خصوصًا.. وأمره بين الكاف والنون.. ولكنه حكيم عليم خبير.. ومن حكمتِه وعلمه تقديرُ النصر في وقتِه، ورفعُ أو استِدامةُ المحنِ على خلقه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].



(١) سورة الصافات، الآيات: ١٧١-١٧٣.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين قدَّر الأرزاقَ والآجال، وكتب على ابن آدم من الفقر والغنى والسعادة والشقاء، وكلٌّ ميسرٌ لما خلق له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلُّ شيء في هذا الكون بأمره وتقديره، وما يعزب عنه مثقال ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماء، يُديل على المسلمين تارة ويديلهم على غيرهم أخرى، وربك يخلق ما يشاء ويختار، ويحكم ولا معقب لحكمه، وهو الكبيرُ المتعال.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أبان للأمةِ طريقَ الرشدِ والهدى، وحذرهم من أسبابِ الغواية والعمى، وترك أمتَه على المحجةِ البيضاء.. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء.

أيها المسلمون! حين نستحضر في مخيلتنا خريطةَ العالم الإسلامي يروعك الأمر، وتبصر عجبًا، فعدوٌّ غاشم يحتل رقعة مهمة من بلاد المسلمين، ويسئ إلى مقدساتهم وشعوبهم، وينظر إلى خصومه نظرة الغالب للمغلوب، ويتعامل مع قضيتهم تعامل الساخرِ المستكبر.

وترى حربًا عقائديةً مسيسةً كلما انطفأت في بقعة من بلاد المسلمين اشتعلت في بقعة أخرى، والهدف منها طمسُ الهوية.. وإبادة الشعوب المسلمة وهي محاولاتٌ عابثة لتحجيم هذا الانبثاق الجديد للإسلام و المسلمين، في معقل الشيوعية والنصرانية، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.. ومن البوسنا والهرسك إلى سربنا إلى كوسوفو حاليًا حيث الصرب النصارى والحرب الصليبية الجديدة ضد الشعوب المسلمة.

ومن قبلُ ومن بعدُ قضايا المسلمين في كشمير، والهند والفلبين، والصومال.. وما نسينا جرحَنَا في صبرا وشاتيلا، والخليل.. وغيرها.

ولا تزال الكوارثُ تتوالى يومًا بعد يوم وفي مناطق مختلفةٍ من العالم حتى تجاوز عددُ المنكوبين ستين مليونًا مسلمًا، هم ضحايا الحروب من اللاجئين والنازحين..

وإذا كانت الأنظار متجهةً- هذه الأيام- نحو إقليم كوسوفو الألباني، فثمة وباءُ الكوليرا يتفشى في جمهورية جزر القمر وثمة زلازل شديدة في مناطق شمال أفغانستان أدت إلى مقتل أكثر من ستة آلافِ شخص، ودمرت أكثر من ستٍّ وثلاثين قرية، وإصابة ما يقرب من عشرين ألفِ شخص، وأصبح أكثر من خمسين ألف شخص بلا مأوى.

يا أخا الإسلام! ما موقفك من هذا الأحداثِ المؤلمة والنكبات الموجعة النازلة بإخوانِك المسلمين، والواقعة في البلاد المسلمة؟ أي جُهدٍ قدمته لهؤلاء المنكوبين، فإن أعوزك المالُ، ففي اللسانِ والقلبِ متسعٌ للدعوة والدعاء والحبِّ والنصرة والولاء للمسلمين والبغض والمعاداة للكافرين، لا يسوغ لك بحال أن تسمع أخبار المسلمين وكأنها لا تعنيك.. بل ربما كنتَ في شغل عنها في رؤية القنوات المثيرة.. أو متابعة رياضيةٍ ملهيةٍ، أو فنٍّ رخيص.

إن من المؤسف أن ينشغل المسلمون عن قضاياهم المصيرية ويُشغَلوا عن حروب الإبادة العقائدية التي يمارسها اليهود والنصارى ضد إخوانهم..

وعالمُ اليوم لغته القوة والمتفوق فيه من استخدم فكره وعقلَه، ولم تسيطرْ عليه الشهوة أو يغرقْ في الأنانية، واستثمارُ الوقتِ بما ينفع سباقٌ بين الأممِ، وإذا أردت تقييم جهدِ الأممِ والدول فانظر مدى الجديةِ في برامِجها المستقبلية.. وانظر كيف

يُخطط لشبابها وكيف يدار الوقتُ في مؤسساتها وبين شعوبها إنني أخاطبك أيها المسلمُ الغيور. . وكأني بك تتحسر على هذه الواقع المرِّ. . بل وكأني بك تنتظر النصرَ القريب فماذا أعددتَ له؟ وما نوعُ مساهمتِك في التغيير؟بل ربما كنتَ في ذات نفسك مضيعًا للصلوات، متبعًا للشهوات، لا فرق عندك بين الحلالِ والحرام.

وأقول لك بكل صراحة: ابدأ الرحلة بتغير ذاتِكَ، واعلم أن دنوَّ همتِك، أو ضعفَ سلوكياتك وإضاعة وقتِك بما لا ينفع، فضلًا عما يضر كلُّ ذلك يُثقل كاهلَ أمتِك فوق ما هي مثقلة، ويؤخر زمنَ النصرِ المرتقب، ويزيد في المآسي فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأنت عضو فاعلٌ في مجتمعك وأمتك، بحياتك وجديتك ترتفع هممُ الآخرين، وبموتِك- وإن كنت حيًّا- أو ضعفِ إرادتك وإن كنتَ خيِّرًا، يموت آخرون، ويتثاقل آخرون حاسبْ نفسك ولمها فأنت الملوم، ولا يكن شغلُك لومَ الآخرين، إن مجردَ التلاوم والتحسرِ على واقع المسلمين دون إرادة فاعلة وهمٌّ خادع، لا يُعبر عن صدق، ولا ينبئ عن عزيمة، ولا يؤهل لنصر. . ومأساة أن يعملَ غير المسلمين أكثر مما يتحدثون ويعرف المسلمون بالإنكار والشجب وكثرة اللقاءات والمؤتمرات، ثم تكون الجعجعةُ لهم، والطحنُ لغيرهم. وأعظمُ من ذلك أن تروّض الشعوب المسلمة على هذه السلوكيات المنهزمة الخادعة، وتعوزها القيادات الناصحةُ الحازمة التي تفكر في التغيير بوسائل أخرى أكثر جدية وفاعلية.



في أعقاب شهر الصيام(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فاتقوا الله معاشر المسلمين، فإن تقوى اللهِ أقومُ وأقوى وتوكلوا على الله ومن توكل على الله كفاه وأغناه، وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمة الله قريب من المحسنين: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢).

أيها المسلمون! في الأيام الماضية ودَّعنا شهرَ الصيام، ولكن ألسنتنا لا تزالُ طريةً بالقرآنِ، وقلوبنا عامرةً بالتقوى والإيمان.. أو هكذا ينبغي أن تكون آثارُ شهرِ الصيامِ والقيامِ وتلاوةِ القرآنِ، ومن المفترض أن لا تحيط الغشاوة بأبصارنا فتمنَعها من رؤية المحتاج وتُقبضَ أيدينا عن وجوهِ الإنفاقِ والبرِّ والإحسان، تُرى أتستطيعُ الشياطينُ بعد أن أطلقت قيودُها أن تحجبنَا عن حضورِ جماعات المسلمين أناءِ الليلِ وأطرافِ النهار، وقد كنا في رمضان من المبادرين إلى الصلوات وفي مقدمتها

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٧/ ١٠/ ١٤١٧هـ.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨١.

صلاةِ الفجرِ وصلاةِ العشاء، وإذا كان من فضل الله علينا في رمضان أن تبعدنا عن سماتِ المنافقين أفنتخبط في الظلمة في شوال أو في غيره من أشهر العام، فننامُ عن بعض الصلوات المكتوبة ونُفرِطُ في صلاة الجماعة.

وإني سائل نفسي وإياك -يا أخا الإسلام- كم جزءًا من كتابِ اللهِ قرأنا بعد انقضاء شهر الصيام؟ وكم ركعةً للهِ من غيرِ الفريضة ركعناها بعد انقضاء شَهرِ القيام، وهل صمنا شيئًا من ستِ شوالِ التي جاء في فضلها ما نعلَم، بعد انقضاءِ شهر الصيام إلى غير ذلكم من أعمالٍ عَمرتْ بها قلوبنا واستقامتْ بها حياتنا في شهر رمضان.. فإن قلنا: إن تقصيرنا هذه الأيام لفرحةِ العيد وظروفِه وهو معوضٌ بصلة الأرحامِ وزيارةِ الأصحاب والإخوان.. ولا يزالُ في الشهر متسعٌ للصيام أو التلاوة أو غيره من الطاعات والإحسان فيرد السؤالُ الآخر عاجلًا.. وهل أضمرنا نيّةَ الخير ومواصلة الطاعةِ وعدم الركونِ للكسل بعد شهر رمضانَ؟ وهل سنأخذ أنفسنا بالعزيمةِ أم يمضي العمرُ بالأماني الفارغة وركوبِ بحرِ التّمني؟ وهو البحرُ الذي لا ساحل له، وهو ما قيل-مركبُ مفاليسِ العالم- وبضاعةُ ركَّابهِ مواعيدُ الشيطان وخيالاتُ المحالِ والبهتان، وهي كما يقول ابنُ القيم رحمه الله بضاعةُ كلِّ نفسٍ مهينةٍ خسيسةٍ سُفلية، ليست لها همَّةٌ تَنال بها الحقائقَ الخارجية، بل اعتاضت عنها بالأماني الذهنية[1].

عبادَ اللهِ إذا كنا قد عزمنا على التوبة في شهر التوبة والغفران فمن الفهومِ الخاطئةِ أن نقصرَ التوبة على شهر رمضان ومن الخطأ كذلك أن نقصر التوبة على الإقلاعِ عن الذنبِ والندم عليه، وعدم الرجوعِ إليه مرةً أخرى فهذا جزءٌ من التوبة، وجزؤها الآخر يبسطه لنا الإمامُ ابن القيم رحمه الله من خلال نصوصِ الوحيين، فيقول

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٩١.

مجليًا للصورة وموضحًا لحقيقة التوبة- وهو كلام نفيسٌ فاعقلوه-: «وكثيرٌ من الناسِ إنما يُفسر التوبة بالعزم على أن لا يعاودَ الذنبَ، وبالإقلاع عنه في الحالِ، وبالندم عليه في الماضي، وإن كان في حقِّ آدمي فلابد من أمر رابع وهو التحلل منه، وهذا الذي ذكروه بعضُ مُسمى التوبة بل شرطها، وإلا فالتوبةُ في كلامِ اللهِ ورسولهِ- كما تتضمن ذلك- تتضمن العزم على فعلِ المأمور والتزامهِ فلا يكون بمجرد الإقلاع والعزمِ والندمِ تائبًا، حتى يوجدَ منه العزمُ الجازم على فعلِ المأمورِ، والإتيانِ به، هذا حقيقةُ التوبة، وهي اسمٌ لمجموع الأمرين.. ثم يقول فإن حقيقة التوبةِ الرجوعُ إلى اللهِ بالتزامِ فعلِ ما يُحِب، وترك ما يكره، فهي رجوعٌ من مكروه إلى محبوب، فالرجوع إلى المحبوبِ جزء مسماها، والرجوعُ عن المكروه الجزءُ الآخر، ولهذا علّق سبحانه الفلاحَ المطلقَ على فعل المأمور وتركِ المحظورِ بها فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] فكلُّ تائبٍ مفلح ولا يكون مفلحًا إلا من فَعل ما أمر به وتركَ ما نهى عنه، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] وتاركُ المأمور ظالم، كما أن فاعلَ المحظور ظالمٌ، وزوالُ اسمِ الظلمِ عنه إنما يكون بالتوبةِ الجامعةِ للأمرين.. إلى أن يقول ﷺ فالتوبةُ إذًا هي حقيقة دينِ الإسلام، والدين كلُّه داخلٌ في مسمى التوبة وبهذا استحق التائبُ أن يكون حبيبَ اللهِ، فإن الله يُحب التوابين ويحب المتطهرين، وإنما يُحب اللهُ من فعَل ما أُمر به وتركَ ما نُهيَ عنه، والتوبةُ هي الرجوعُ مما يكرهه اللهُ ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه الله ظاهرًا وباطنًا، ويدخل في مسماها الإسلامُ والإيمانُ والإحسان. لهذا كانت غايةَ كلِّ مؤمن، وبدايةَ الأمر وخاتمتَه، ثم يختم حديثه بالقول: وأكثرُ

(١) سورة النور، آية: ٣١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

الناسِ لا يعرفون قدرَ التوبةِ ولا حقيقتَها فضلًا عن القيام بها عملًا وحالًا . . ولولا أن التوبةَ اسمٌ جامعٌ لشرائع الإسلامِ وحقائقِ الإيمان لم يكن الربُّ تبارك وتعالى يفرح بتوبةِ عبده ذلك الفرحَ العظيم فجميعُ ما يتكلم فيه الناسُ من المقاماتِ والأحوال هو تفاصيلُ التوبةِ وآثارُها[1].

أيها المسلمون! إذا كان هذا معنى التوبةِ وقدرِها، فاعلم أن التوبةَ محفوفةٌ بتوبةٍ من الله على العبد قبلها، وتوبةٍ منه بعدها، فتوبته بين توبتين من ربِّه سابقةٍ ولاحقةٍ، فإنه تاب عليه أولًا إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبدُ فتاب اللهُ عليه قبولًا وإثابةً وتأملوا قولَ الله سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

فأخبر سبحانه أن توبَته عليهم سبقت توبتُهم، وإنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سببًا مقتضيًا لتوبتهم، فدل على أنهم ما تابوا حتى تابَ اللهُ عليهم، والحكمُ ينتفي لانتفاء علته[3].

فبادر إلى التوبةِ بمفهومِها الشاملِ -يا أخا الإيمان- عاجلًا، واسأل الله أن يوفقَك إليها ابتداءً وأن يقبلها منك ويُثيبَك عليها انتهاءً والزم الاستغفار، وهو غيرُ التوبةِ، إذا ورد في موضع واحد فالاستغفارُ طلبُ وقاية شرِّ ما مضى، والتوبةُ الرجوعُ وطلبُ وقاية شرِّ ما يخافه في المستقبل من سيئاتِ أعماله، والاستغفارُ من باب إزالة الضرر، والتوبةُ طلبِ جلبِ المنفعة، ولهذا جاء الأمرُ بها مرتبًا بقوله:

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين ١/ ٣٣١-٣٣٣ باختصار.
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١١٧، ١١٨.
(٣) المدارج ١/ ٣٣٩، ٣٤٠.

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ فإنه الرجوعُ إلى طريقِ الحقِّ بعد مفارقةِ الباطل[١].

أيها المسلمون! مداواةُ القلوبِ بهذه الأدوية الناجعة لا يتوقف على رمضان. فمصيبةٌ أن يفئ المسلمون إلى ربهم في رمضان ويظلوا شاردين عن هداه في سائر العام، مصيبة عظمى أن يقصرَ المسلمُ إجابته لداعي القرآن في شهر رمضان يظل هاجرًا للقرآنِ طوال العام.

إن التوبة إلى الله إن فضلت في زمانٍ دون زمان فهي باقيةٌ صمامَ الأمانِ لمن ابتغى الأمنَ ورضا الرحمن، ولستَ تدري يا أخا الإيمان متى يحينُ الرحيلُ فتنتقلُ من دار الفناءِ إلى دار المقام.

وإن الإنابة إلى الله ليست محدودةً بزمانٍ ولا مكان، بل دُعيت إليها قبل حلولِ العذاب، وحينها يعزُّ الناصرُ وتنتهي فترةُ الإمهال، وإذا أنبتَ بها صادقًا فأظهر من الذلِ والافتقارِ بين يديه ما يشهد بعبوديتك للواحدِ الديان، يُحكى عن بعض العارفين أنه قال: دخلتُ على اللهِ من أبوابِ الطاعاتِ كلها، فما دخلتُ من باب إلا رأيتُ عليه الزحام، فلم أتمكن من الدخولِ حتى جئتُ بابَ الذلِّ والافتقار، فإذا هو أقرب بابٍ إليه وأوسعُه فلا مزاحمَ فيه ولا معوّق.

وكان شيخ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمه الله يقول: «من أرادَ السعادةَ الأبديةَ فليلزم عتبة العبودية»[٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(١) السابق ١/ ٣٣٥.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٤٦٤.

رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[١].

نفعني الله وإياكم بهدي القرآن وسنة محمدٍ ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

الخطبة الثانية:

الحمد للهِ المستحق للعبادةِ على الدوام، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ربُّ الشهورِ والأعوام، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسوله جاءه الوحي من ربّه ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين.

أما بعد: إخوةَ الإسلام فقد عودكم شهرُ الصيام على الاقتصاد في الطعام والشراب، ومدرسةُ الصوم علمتكم الإقلالَ من الكلام الفارغ معوضين عن ذلك بكثرة الذكر وتلاوةِ القرآن، كما كان من نسماتِ رمضان التخلصِ من خلطةِ السوءِ التي لا يَسلمُ الصوم معها من اللغو والرفث والفسوق والعصيان، كما أحوجكم طولُ القيام إلى تقليلِ ساعات النوم حتى قلَّ معدلُ النومِ في شهرِ رمضانَ عنه في غيرِ رمضان.. تُرى أيُّ نَصيبٍ يُحافظ عليه من هذه بعد انقضاء شهر الصيام.. والعارفون يقولون: إن مفسداتِ القلب على الدوام خمسةُ أشياء هي: كثرةُ الخلطة، والتمني، والتعلقُ بغير اللهِ، والشبعُ، والمنام، فهذه الخمسةُ من أكبر مفسداتِ القلب.

فأما كثرةُ الخلطةِ فتملأُ القلبَ من دُخانِ أنفاسِ بني آدم حتى يَسودَّ، ويوجبُ له تشتتًا وتفرقًا، وهمًّا وغمًّا، وضعفًا، وحملًا لما يعجز عن حمله من مؤنةِ قرناءِ السوءِ، وإضاعة مصالحه، والاشتغالِ عنها بهم وبأمورهم، وتَقَسُّم فكرهِ في أوديةِ مطالبِهم وإرادتهم، فماذا يبقى منه للهِ والدارِ الآخرة؟ وكم جلبت خلطةُ الناسِ- من أجلِ الدنيا- من نقمةٍ ودفعت من نعمة.

والضابطُ النافع في أمرِ الخلطةِ أن يخالطَ الناسَ في الخيرِ، كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلمِ العلم، والجهادِ والنصيحة، ويعتزلهم في الشرِّ

وفضولِ المباحات، فإن دعت الحاجةُ إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنهُ اعتزالُهم فالحذرَ الحذرَ أن يوافقَهم، وليصبر على أذاهم، فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوةٌ ولا ناصر، ولكنه أذىً يعقبه عزٌّ ومحبةٌ له وتعظيم وثناءٌ عليه منهم ومن المؤمنين ومن ربّ العالمين، وموافقتُهم يعقبه ذُلٌّ وبغضٌ له ومقتٌ وذمٌ منهم ومن المؤمنين ومن ربِّ العالمين.

أما المُفسدُ الثاني هو التعلق بغيرِ الله تبارك وتعالى، وهذا أعظمُ مفسداتِ القلب على الإطلاق، فإن من تعلق بغير اللهِ وكَّلهُ اللهُ إلى ما تعلق بهِ، وخذله من جهةِ ما تعلقَ به، وفاته تحصيلُ مقصوده من اللهِ ﷻ، فلا على نصيبه من الله حصل ولا إلى ما أمَّله ممن تعلق به وصل، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[1].

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾[2].

ومثلُ المتعلقِ بغير اللهِ كمثلِ المستظلِّ من الحرَّ والبرد ببيت العنكبوت، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، وكيف لا يكون ذلك كذلك وأساسُ الشركِ وقاعدتهُ التي بُنيَ عليها التعلقُ بغيرِ الله، ولصاحبه الذمُّ والخذلان، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[3].

أيها المؤمنون! من مفسدات القلب كثرةُ الطعامِ، والمفسدُ له من ذلك نوعان: أحدُهما ما يُفسده لعينهِ وذاته كالمحرمات كالميتةِ والدم ولحم الخنزير، والمسروق

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٨١، ٨٢.

(٢) سورة يس، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٢.

والمغصوب ونحوها، والثاني ما يُفسده بقدره وتعدي حدِّه كالإسرافِ في الحلالِ والشبعِ المُفرطِ، فإنه يُثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولةِ مؤنةِ البطنةِ حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولةِ تصرفها ووقايةِ ضررها، وقوى عليه موادَّ الشهوة، ووسع مجاري الشيطان، وقد قيل: من أكل كثيرًا، شربَ كثيرًا، فنام كثيرًا، فخسر كثيرًا، من مشكاة النبوة قبسٌ يهدي ويقول عليه الصلاة والسلام: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه، فحسب ابنِ آدمَ لقيماتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلًا فثلثٌ لطعامه، وثلث لشرابه وثلثٌ لِنَفَسِه**».

أيها المسلم والمسلمة أما المفسدُ الرابعُ من مفسداتِ القلب فهو كثرةُ النومِ، فإنه- كما قال العارفون- يميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوَقت، ويورث كثرةَ الغفلةِ والكسل، ومنه المكروهُ جدًّا، ومنه الضارُّ غيرُ النافعِ للبدن، وأنفعُ النوم: ما كان من شدةِ الحاجةِ إليه، ونومُ أول الليلِ أحمدُ وأنفعُ من آخره، ونومُ وسطِ النهارِ أنفعُ من طرفيه، وكلما قربَ النومُ من الطرفين قلَّ نفعهُ، لا سيما نومَ العصرِ وأولِ النهارِ إلا لسهران، ومن المكروهِ عندهم النومُ بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقتُ غنيمةٍ، وللسيرِ ذلك الوقت عند السالكين مزيةٌ عظيمةٌ، لو ساروا طولَ ليلهم لم يسمحوا بالقعودِ عن السيرِ ذلك الوقتِ حتى تطلعَ الشمس، فإنه أولُ النهارِ ومفتاحُه، ووقتُ نزولِ الأرزاقِ، وحصولُ القسم، وحلولُ البركة، ومنه نشأ النهار.. كما قالوا: إن أعدلَ النومِ وأنفعه نومُ نصفِ الليلِ الأولِ، وسدسه الأخير، وهو مقدار ثمانِ ساعات، وذلك بعد أن تذهب فحمةُ العشاءِ وإذا كانت كثرةُ النومِ تورد هذه الآفات، فمدافعتهُ وهجره تورث آفاتٍ أخرى عظامًا من سوءِ المزاج وانحرافِ النفسِ، وجفافِ الرطوباتِ المعينةِ على الفهمِ والعملِ، وأمراضٍ أخرى، وما قام الوجودُ إلا بالعدل، وكلا طرفي قصد الأمورِ ذميم.

أما المفسدُ الخامسُ للقلب فهو التمني، وسبقت الإشارة إليه[١].

عبادَ الله يا من روضتم أنفسكم خلال شهرِ الصوم على كثيرٍ من خلالِ الخير إياكم أن تعفوا أثَرها بعد، ويا من خرجتم من شهرِ رمضان وصحائفكم بيضاء إياكم أن تسودوها فيما تستقبلون من أيام، أجل لقد هذّب الصيامُ نفوسَكم وساهم قيامُ الليل في إصلاحِ قلوبكم، فلا تفسدوها بالبطر والأشرِ ولا تدنسوها بالفسادِ وسيءِ الأخلاقِ.

توسطوا في مطعمكم ومشربكم ومنامكم واعتصموا تعكم، وأديموا الصلةَ بكتابِ ربّكم، ولا يقعدن بكم الشيطانُ عن الصلواتِ المكتوبة ويمسك بأيديكم عن النفقاتِ الواجبةِ أو المستحبةِ، استحضروا التوبةَ في كلِّ أوان وزمانٍ في حياتكم واعملوا بها بمفهومها الواسع (تركًا للمحظور، وفعلًا للمأمور) وأكثروا من الاستغفار فمن أكثر منه جعل الله له من كلِّ همٍّ مخرجًا، ومن كلِّ ضيقٍ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب كذلك ورد الخبرُ عن نبيّكم ﷺ[٢].

وأتبعوا السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثلُ الذي عمل السيئاتِ ثم يعملُ الحسناتِ كمثلِ رجلٍ عليه درعٌ ضيقةٌ قد خنقته، فكلما عمل سنةً انتقضت حلقةٌ ثم أخرى حتى يخرج إلى الأرض**»[٣].

اللهم إنا نسألُك بأنا نشهدُ أنك أنت اللهُ الذي لا إله إلا أنت، الأحدُ الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد أن تتقبل صيامنا وقيامنا وتصلح فسادَ

(١) مدارج السالكين ١/٤٨٨-٤٩٤ باختصار.
(٢) التوبة وسِعَة رحمة الله ص١٢٤.
(٣) رواه أحمد والطبراني، وقال الهيثمي: وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح (السابق ص١٢٤).

قلوبنا واحفظنا في سائر أيامنا وأحوالنا ، وألا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وأن تفتح لنا خزائنك ما به تغنينا وتصلح أحوالنا ، وأن تفيء على إخواننا المسلمين من جودك ما تفرج به همومهم وتطعم جائعهم وتكسي عراهم وتفك أسراهم.



بناء الأسرة المسلمة(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين خلق فسوّى وقدّر فهدى، وخلق الزوجين الذكرَ والأنثى من نطفةٍ إذا تُمنى، وأن عليه النشأةَ الأخرى، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، آلاؤه لا تُعدُّ ولا تُحصى﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ومن آلائه جعل للناسِ من أنفسِهم أزوجًا ليسكنوا إليها وجعل بينهم مودةً ورحمةً، وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسولُه جاءت رسالتهُ بالخير والهدى وأقامت في المجتمعِ بناءً تقومُ أواصره على البرِّ والإحسان والمودةِ والتُّقى، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن آل بيته والمؤمنين وصحابته الخيرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

فأما بعد فأوصي نفسي وإياكم-معاشر المسلمين- بتقوى الله، وتلك وصيةُ الله للأولين والآخرين﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٣).

أيها المسلمون! يُعنى الإسلامُ عنايةً عظمى ببناءِ الأسرةِ وصونِها من أي سهامٍ

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢١/ ١٠/ ١٤١٧هـ.

(٢) سورة النساء، آية: ١٣١.

(٣) سورة النساء، آية: ١.

توجَه إليها، ذلكم أن الأسرةَ قاعدةُ المجتمعِ، ومدرسةُ الأجيال، وسبيلُ العفةِ وصونٌ للشهوةِ، والطريقُ المشروعُ لإيجاد البنين والأحفاد وانتشارُ الأنسابِ والأصهار فبالزواج المشروع تنشأ الأسرة الكريمة وتنشأ معها المودة والرحمة، ويتوفر السكنُ واللباس، إنها آيةٌ من آياتِ الله يُذكرنا القرآنُ بها ويدعونا للتفكرِ في آثارها وما ينشأ عنها ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وهي ما يتفرع منها نعمةٌ ومنةٌ ينبغي أن نشكر الله عليها ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[2].

عبادَ الله إن الأسرةَ في الإسلام لوحةٌ مضيئةٌ ومرآةٌ عاكسةٌ لسموِّ تعاليمِ القرآنِ، وهي شاهدٌ ملموس على علوِّ شأنِ الإسلام تعجز الأنظمةُ البشريةُ- مهما بلغت- أن تبلغَ مبلغه، وأفلست الأديانُ القديمةُ والحضاراتُ المعاصرةُ أن تصل مستواه، والواقعُ يشهدُ بتفككِ الأسرِ وضياعِ المجتمعات في مشرقِ الأرضِ ومغربها حين يغيب عنها الإسلام أو تضلُّ عن توجيهات القرآن!

أجل إن من هدي الإسلام في بناءِ الأسرةِ الأمرَ بالعشرةِ بالمعروف ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾[3].

ويقول عز من قائل: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾[4].

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

(٢) سورة النحل، آية: ٧٢.

(٣) سورة النساء، آية: ١٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.

وخلاصةُ العشرةِ بالمعروف: تطييبُ الأقوال وتحسينُ الأفعالِ والهيئاتِ -حسب القدرة- واستدامة البشر ومداعبة الأهل وتوسيع النفقة دون إسراف وقيامُ كلٍّ من الزوجين بما يحبُّ أن يقوم له الآخر فيؤثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إني أحبُّ أن أتزين لامرأتي كما أحبُّ أن تتزين لي[١].

يا أخا الإيمان لا يقف هديُ الإسلام في العشرة بالمعروف عند حدودِ الأمرِ واعتبارها من المروءة والدين، بل يرتب عليها من الخيريةِ والجزاء ما يدعو للعناية بها والاهتمام، ويقول عليه الصلاةُ والسلام: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم**»[٢].

وفي مقابل ذلك تقلُّ خيريةُ من تشتكي منه النساء.

وفي الخبر: «**لقد أطافَ بآلِ محمدٍ نساءٌ كثير يشكون أزواجَهنَّ ليس أولئك بخياركم**»[٣].

وفي محمدٍ ﷺ أسوةٌ حسنة وهو القائل: «**خيرُكم خيرُكم لأهله وأنا خيرُكم لأهلي**»[٤].

أيها المسلمُ والمسلمةِ بناءُ الأسرةِ في الإسلام متينُ القواعدِ عميقُ الجذور، لا ينبغي أن يُهدمَ كيانُهُ لسببٍ يسير، حتى ولو شعرت النفسُ بالكره أحيانًا فلربما كان فيما تكره النفوسُ خيرًا، كثيرًا، وتأمل هديَ القرآنِ والله يقول: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٥].

---

(١) تفسير القرطبي ٥/ ٩٧.

(٢) رواه الترمزي وابن حبان بسند صحيح (صحيح الجامع الصغير ١/ ٣٩٢).

(٣) صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٠٣.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه والطبراني بسند صحيح (صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٢٩).

(٥) سورة النساء، آية: ١٩.

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن كرهتموهن أي لدمامةٍ أو سوءِ خلقٍ من غيرِ ارتكابِ فاحشةٍ أو نشوز، فهذا يُندب فيه إلى الاحتمال فعسى أن يؤول الأمرُ إلى أن يرزق اللهُ منها أولادًا صالحين»(١).

وقال مكحولٌ: سمعتُ ابنَ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إن الرجلَ ليستخيرُ الله تعالى فيُخارُ له، فيسخطُ على ربِّه عَزَّ وَجَلَّ فلا يلبث أن ينظر في العاقبةِ، فإذا هو قد خير له(٢).

وعقدُ الزوجية في الإسلامِ أكبرُ من النزوات العاطفية، وأجلُّ من ضغطِ الميلِ الحيواني المسعور، ولا يليقُ أن تعصفَ به الأمزجةُ الطارئة، فيتخلى الزوجُ عن زوجتِهِ لمجرد خُلُقٍ كرهه منها، أو ناحيةٍ من نواحي الجمال افتقدها فيها، فعساه أن يجدَ أخلاقًا أخرى يرضاها، ولن يُعدم نوعًا من الجمالِ يتوفرُ فيها، وإلى هذا يرشد المصطفى ﷺ وهو ينهى عن استدامةِ البغضِ الكلى للمرأة ويقول: «**لا يفركْ مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر**»(٣).

والمعنى: لا يبغضها بُغضًا كليًّا يحمله على فراقِها، بل يغفر سيئتها لحسنتِها، ويتغاضى عما يكره لما يُحب(٤).

أيها المسلمون! إذا كان هذا منطقَ الشّرع، فمنطقُ العقلِ يقول: إن الواقعَ يشهدُ بالعواقبِ الحميدةِ لأسرٍ تجاوزت الخلافاتِ في بدايةِ حياتِها، وتغلبت على المكارِه والمصاعبِ أولَ نشأتِها، ومن يتقِ اللهَ يجعل له مخرجًا، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل اللهُ فيه خيرًا كثيرًا.

---

(١) تفسير القرطبي ٥/ ٩٨.

(٢) رواه مسلم ح ١٤٦٩.

(٣) ذكره القرطبي في التفسير ٥/ ٩٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٠٨.

إخوةَ الإيمان! وإن في المسلمِ الحقِّ من المروءةِ والنبلِ والتجمُّلِ والاحتمالِ وسعة الصدرِ، وسموِّ الخلقِ ما يجعله يرتفع في تعامله مع زوجته التي يكرهها بعيدًا عن نزواتِ البهيمةِ وطمع التاجر، وتفاهةِ الفارغ.

وإذا كانت المودّةُ أحدَ دعائمِ الزوجيةِ وسببًا كبيرًا لبقائها، فإن الرحمةَ هي الأخرى دعامةٌ مهمةٌ لبقاءِ الزوجين وارتباطهما، حتى وإن عُدم الحُبُّ أو قلت المودّةُ، هكذا يوجه القرآن ويدعو للتفكر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

قال المفسرون: إن الرجلَ يُمسكُ المرأةَ إما لمحبته لها أو لرحمةٍ بها بأن يكون لها منه ولدٌ، أو محتاجةٌ إليه في الإنفاق أو للألفةِ بينهما وغير ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

أيها المؤمنون! إذا كانت العشرة بالمعروف بين الزوجين من دعائم بناء الأسرة، فإن الإيمان بالله قمة المعروف وعمل الصالحات سبيل الوفاق بين الزوجين، فالإيمانُ وعملُ الصالحاتِ يشيعان في البيوتِ السكينة، وبهما تتحقق السعادة ويتطلعُ الزوجانِ بهما إلى منازل الآخرة، وتتوجه الهممُ عندها إلى رضوان الله والجنة، وهاكم نموذجًا لهذين الزوجين يترحم عليهما ﷺ قال: «**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»(١).

وينبغي أن تستمر جذوةُ الإيمان، ولباسُ التقوي بين الزوجين حتى وإن وقع

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده ٢/ ٢٥٠، ٤٣٦، وأبو داود (١٣٠٨)، والنسائي، وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة (١١٤٨) والحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٣٠٩).

الطلاقُ وحصل الفراق، فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، وتأملوا قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1].

اللهم انفعنا بهدي القرآن ووفقنا للاقتداء بسيد الأنام، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.



(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بالتعاون على البرِّ والتقوى ونهى عن الإثم والعدوان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خيرُ الناسِ للناس، وخيرُ الأزواجِ للزوجات، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

إخوة الإسلام! من دعائم بناء الأسرةِ المسلمة وقايتها من النار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1].

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: قوا أنفسكم، وأمروا أهليكم بالذكر والدعاءِ حتى يقيَهم اللهُ بكم، ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآيةُ قال: يا رسولَ الله: نقي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا، فقال: تنهونهم عما نهاكم الله وتأمرونهم بما أمر الله. وقال بعضُ المفسرين- تعليقًا على هذه الآية: علينا تعليمُ أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يُستغنى عنه من الأدب، وهو قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ونحو قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2].

أيها الراعي مسئوليتك في الرعاية عظيمة يعنيك منها قوله ﷺ: «**والرجل راع في أهله ومسئولٌ عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولةٌ عن رعيتها**»[3].

أيها المسلمون! مع كلِّ ما سبق من دعائم لبناء الأسرة المسلمة فثمة دعامة رابعة تحتاج إليها الأسرة لتماسكها وضمان مسيرتها، الإصلاح حين نشوءِ الخلاف،

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) القرطبي ١٨/ ١٩٤، ١٩٥.

(٣) متفق عليه، رياض الصالحين ص١٥١، م ١٨٢٩.

ورأبُ الصدع قبل تصدع البنيان، وليس الناسُ ملائكةً معصومين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فكلُّ ابن آدم خطّاء، ولو قُدِّر لبيت أن يسلم من خلافٍ أو خطأ لسلم بيت رسول الله ﷺ وحين نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الآيات[1]، علم المسلمون أن الخطأ من طبع البشر، وأن التوبة تطلب من أزواجه ﷺ، وأن الطلاق قد يقع منه ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ووقوعه من غيره من باب أولى.

ومع اعتبار ذلك كله فيندب إلى الإصلاح بين الزوجين المتخالفين: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾[2].

ويؤمر الأزواج ممن يخافون نشوزهن بالموعظة والهجر في المضاجع والضرب غير مبرح: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾[3].

ولا بد للزوجين المريدين للإصلاح أن يصلحا ويوفق اللهُ بينهما كما قال تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾[4].

ألا يا أيها الزوج المريد للفراق ترفق وتأمل في العواقب قبل أن تقدم على الفراق. ويا صاحب القرار رويدك حتى تهدأ النفس الثائرة، وتسكن العواطف

---

(١) سورة التحريم، آية: ١.
(٢) سورة النساء، آية: ١٢٨.
(٣) سورة النساء، آية: ٣٤.
(٤) سورة النساء، آية: ٣٥.

المتأججة، وتنطفئ نيران الغضب المحرقة.. ويا أيتها النساء اتقين الله في طاعة أزواجكن، وإياكن أن تخرجن الأزواج عن أطوارهم بسلوك مشين أو منطق سقيم، وإياكن أن تفهمن حسن العشرة من الأزواج ضعفًا، والعفو عن الزلة غفلةً وبلهًا، والرفق بالقوارير جهلًا. كلا.. إنها أخلاق الكرماء، ومروءة النبلاء والحقوق الواجبةُ تؤدَّى.. وتضعها النساءُ العاقلاتُ موضعها اللائق بها، والصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.

أيها المسلمون! ليس من مستلزمات دعائم الأسرة أن تستنوق الجمال، ولا تترجل النساء، ولا أن تضيع قوامة الرجال على النساء، وكفى بالقرآن حكمًا: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[1].

ومصيبة أن تستلب النساء حقوق الرجال في الرعاية والتوجيه والأمر والنهي واتخاذ القرار، وتسترخي في حقوقها اللازمة لها من حسن العشرة أو واجباتها المنزلية، أو المساهمة في إصلاح الذرية. وهنا يطيب عرض نموذجين للأسرة المسلمة فيها عبرة وقدوة في الأسرة الأولى سيدة من سادات نساء العالمين وبنت سيد المرسلين وزوجها رابع الخلفاء الراشدين، أخرج ابنُ سعدٍ بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال يومًا لزوجته فاطمة بنتِ محمدٍ ﷺ: لقد سنوتُ حتى اشتكيتُ صدري، وقد جاء الله بسبي فاذهبي فاستخدمي، فقالت فاطمة: وأنا والله قد طحنتُ حتى مجلت يداي، فأتت النبي ﷺ فقال: «**ما جاء بكِ يا بنيّة؟**» فقالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله، ورجعت، فأتياه جميعًا، فذكر له عليٌّ حالهما، قال: «**لا والله لا أعطيكما وأدعُ أهل الصفة تتلوى بطونهم، لا أجد ما**

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم» فرجعا فأتاهما، وقد دخلا على قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: «**مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟**» فقالا بلى، فقال: «**كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أوتيما إلى فراشكما تسبحان ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين**»، قال عليٌّ: فوالله ما تركتهما منذ علمنيهن، قيل له: ولا ليلة صفين، قال: ولا ليلة صفين(١).

أما النموذج الآخر ففيه بنتُ الصديق، ذات النطاقين، وزوجها حواري رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة -رضي الله عنهم أجمعين. أخرج ابن سعدٍ أيضًا بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض مالٌ، ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه قالت: فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته، وأسوسه وأدق لناضحه، وكنتُ أنقل النوى من أرض الزبير ... الحديث(٢).

هذه نماذج لأسر كريمة عاشت سعيدة وماتت كريمة، عرف الأزواج واجباتهم قاموا بها، وعلمت النساء ما عليهن فأدينها لم تلههم طغيانُ الدنيا عن الحياة الأخرى، ولم يستكبروا عن الخدمة وهم من خير البرية.

أيها المسلمون! هناك مخاطرُ تحيط بالأسرة المسلمة وتهدد بخلخلة البناء العظيم، منها مخاطر من ذوات أنفسنا، ومنها ما هو من كيد أعدائنا.. ولأهميتها وحاجتنا إلى الوعي بها أستبقي الحديث عنها في الجمعة القادمة بإذن الله..

---

(١) الإصابة ١٣/ ٧٦.

(٢) المصدر السابق.

اللهم احفظ علينا أمننا وإيماننا وأصلحنا وأصلح لنا، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.. هذا وصلوا.



مخاطر تهدد الأسرة(١)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وكان فيما أنزل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا﴾(٢).

أحمده تعالى وأشكره إذ جعل البيوتَ سكنًا نأوي إليها ونستتر بها وننتفع بها سائر وجوه الانتفاع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شاءَ وقدَّر أن تكون البيوتُ مكان ستر المرأة وصيانتها، فقال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾(٣)، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أخبر عن مسئولية الرجل في رعاية أهل بيته فقال: «**إن الله تعالى سائلٌ كل راع عما استراعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**»(٤).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ألا فاتقوا الله عبادَ الله، وارعوا الواجبات التي استرعاكم الله إياها، وهو يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(٥).

عبادَ الله! حديثُ اليومِ استكمالٌ للحديث السابق، وإذا كان الحديث فيما مضى

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٨/ ١٠/ ١٤١٧هـ.

(٢) سورة النحل، آية: ٨.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٤) حديث حسن رواه النسائي، وابن حبان (صحيح الجامع الصغير ٢/ ١١٤).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

عن بناءِ الأسرةِ المُسلمة، فحديث اليوم عن المخاطر التي تحيط بهذه الأسرة وسبل الوقاية منها.

ولا شك أن هذه المخاطر منها ما نتسبب فيها لأنفسنا، ومنها ما هو من كيد أعدائِنا ويندرج ضمن محاربتهم لعقيدتنا وأخلاقنا، ولا يسوغ لنا دائمًا أن نبرر لأخطائنا، أو نحيل على عدونا في أمورٍ نعلم أن بإمكاننا علاجها والوقاية منها بقوة إرادتنا، كما لا يسوغ لنا أن نستسلم لكيد الأعداء وننفذ عالمين أو جاهلين مخططات المكر والفساد التي يصدرون لنا، ونحن أمة يفترض فينا أن نؤثر في الآخرين وأن نزرع فيهم الخير، بدل أن تكون بلاد المسلمين سوقًا تروج فيها البضاعة الكاسدة، أو تصدر إليها زبالات الأفكار، ونتن الحضارات الفاسدة.

أيها المسلمون! من هذه المخاطر الداخلية ضعفُ الدين وتضييع الأمانة وإذا ضاع الإيمانُ فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دينًا، وإذا كانت المرأة تنكح لعدةِ أغراضٍ: لجمالها ومالها، ولحسبها ولدينها، فوصية الرسول ﷺ واضحة لذات الدين، هو يقول: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[1] والتحذير واردٌ من «خضراءِ الدمن» وهي المرأة الحسناءُ في منبت السوء.

وقد ينبت المرعي على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هي[2]

وضعف الدين، وتضييع الأمانة، والإعراض عن ذكر الله خطرٌ عظيم يهدد الأسرة بالضياع، وتضيع معه التربية النافعة للأسرة من بنين وبنات وننسى الأهداف الجليلة لقيام الأسرة المسلمة، وهو سببٌ لحياة الضنك والشقاء، سواء كان ذلك

(١) متفق عليه.

(٢) المقاصد الحسنة، للسخاوي، وقد أشار إلى ضعف الحديث ص١٣٥.

من قبل الرجال أو النساء: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[١].

وتتحقق السعادة الأسرية بالإيمان وعملِ الصالحات، ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

وفي الخبر الصحيح: «قلبٌ شاكر، ولسانٌ ذاكر، وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك، خير ما اكتنز الناس»[٣].

أيها المؤمنون! إذا اجتمع إلى ضعفِ الدين توفرت أسباب الفساد كان الخطر أعظم والبلية آكد، فالمجلة الوافدة الخليعة سهمٌ طائش موجه لهدم الأسر، والشريط الذي يحمل صورًا ماجنة، أو يحتوي على كلمات الحب والغرام لا يشك عاقل أو عاقلة في تدميرهما للخلق والفضيلة والحياء، وهاك تحذيرًا صادقًا من ابن القيم وهو يُعلق على أحاديث الغناء وأثره، مع فارق الصورة قديمًا وحديثًا، يقول رحمه الله: «ولا ريب أن كلَّ غيورٍ يجنِّب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الرِّيب، ومن طرَّق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه»[٤]. إلى أن يقول: أما إذا اجتمع إلى هذه الرقية الدفُّ، والشبابةُ والرقص بالتخنث والتكسر، فلو حبلت المرأة من غناءٍ لحبلت من هذا الغناء، فلعمر الله كم حُرَّةٍ صارت بالغناء من البغايا! وكم من حرٍّ أصبح به عبدًا للصبيان والصبايا، وكم من غيورٍ تبدل به اسمًا قبيحًا بين البرايا، وكم من ذي غني وثروة أصبح بسببه على

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤/ ١٤٢.

(٤) إغاثة اللهفان ١/ ٣٧٠.

الأرض بعد المطارف و الحشايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلَّت به أنواعُ البلايا، وكم جرَّع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة، وذلك منه من أحدى العطايا وكم خبَّأ لأهله من آلام منتظرة، وغموم متوقعة، وهمومٍ مستقبلية..[١].

أيها المسلمون! تُشكل صويحبات السوء خطرًا تهدد الأسرة بالانهيار، وذلك بما تهديه من عطايا محرمة، أو تبثه من كلام مسموم وإن بدا ظاهره النصح، أو تبادل الهدايا، وسواء كان ذلك عبر صديقة العمل، أو زميلة الدراسة، أو مُفْسدة بالغيبة والنميمة وقالةِ السوء عبر سماعة الهاتف، فكل ذلك خطر لا بد من الحصانة منه، كما يُشكل الهاتف خطرًا آخر حين يُساء استخدامه، وتضعف الرقابة عليه، وتترك الفرصة لأصحاب المعاكسات والمغازلات يتصلون كيف شاءوا، وربما اصطادوا المرأة البريئة عبر تسجيل حكاياتٍ فارغةٍ لم تتنبه لها فكانت سببًا في الضغط عليها وجرها إلى فسادٍ أكبر جرَّ عارًا على الأسرة كلها وصدَّع أركانها، فتنبهوا لهذا الخطرِ الغادر، وقوا نسائكم وأبناءكم وبناتكم آثاره المدمرة.

عباد الله! خلاف الزوجين دون تبصر، وتحميل الأمور ما لا تحتمل وتعظيم الصغائر، وتوسيع دائرة الشقاق وإدخال أكثر من طرفٍ في الخلاف.. كل ذلك يهدم الأسر ولا يبنيها، ويعجل بانفراط عقدها وتشاحن أفرادها، والشديد ليس بالصرعة ولكن من يملك نفسه عند الغضبِ، والحلمُ والصفح والعفو أخلاق كريمة دعا إليها القرآن، وليست مؤشرًا للضعف أو دليلًا على الهزيمة في الخصومة كما قد يوسوس بها الشيطان.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٧١.

ألا وإن خير الناس بطيء الغضب، سريع الفيء، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء. ويسوءُ الخلاف ويشتد خطره إذا انتهى إلى كسر.

أيها المسلمُ والمسلمة، ثمة داءٌ يهدد الأسر، إنه الإسراف الذي يثقل كواهل الرجال بكثرة طلبات النساء، أو البخل الذي تضيق به عاقلات النساء لشح القادرين من الرجال.

وبشكل عام فإن شدة بعض الأزواج دون مبرر، أو عصيان بعض الزوجات وعدم قيامهن بحقوق الزوجية، كلّ ذلك يُفرق ولا يجمع، ويهدم ولا يبني. وتنساب الحياة الزوجية هادئة مطمئنة إذا عرف كلٌّ من الزوجين واجباته وحقوقه، فأدى ما عليه راضيًا محتسبًا وترفق في طلب حقِّه صابرًا مقتصدًا في هذه الجوِّ المتآخي يعترف بالقوامة للرجل دون أن تمتهن المرأة أو تحتقر..

أيها المؤمنون! إن الإسلام الذي طلب من الرجل أن يُحسن صحبة المرأة، ويستوصي بها خيرًا ويعاشرها بالمعروف، هو الذي أمر المرأة أن تسمع له وتطيع في حدود ما أحل الله -فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق- ولقد أكد الله هذه القوامة في القرآن، وبلغ الرسول ﷺ في تشديد طاعة الزوجة زوجها أن يقول: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها**»(١).

وفي حديث آخر: «.. **والذي نفسُ محمدٍ بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله، حتى لو سألها نفسها وهي على قَتَبٍ لم تمنعه**»(٢).

أيها المسلمون! يُقال هذا عن أهمية قوامة الرجال على النساء وضرورة الطاعة

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥/ ٦٨.
(٢) رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان بسند حسن، صحيح الجامع ٥/ ٦٩.

بالمعروف؛ لأن غياب القوامة من الرجال، وتفرد النساء بالأمر والنهي يحدث خللًا بيِّنًا في البيوت، وهو أحد المخاطر التي تهددها، ولا يفلح قومٌ ولوا أمرَهم امرأة، والنساءُ ناقصات عقلٍ ودين، وتحميلهن فوق طاقتهن ظلمٌ لهن وجناية على المجتمع من حولهن، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[1].



(١) سورة النساء، آية: ١٢٨.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين نبّه المسلمين لعداوة الكافرين وخطرهم فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[١]، ونهى عن اتخاذهم أولياء فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[٢].

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له أرشد إلى أن الصبر والتقوى مبطل لكيد الأعداء: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٣].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله حذر أمته من اتباع سنن من كان قبلهم من الأمم الكافرة حتى وإن دخلوا جحر ضبٍّ لدخلوه معهم، وأوحى الله إليه فيما أوحى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٤].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فمن المخاطر الداخلية التي تهدد الأسرة المسلمة إلى المخاطر الخارجية أحدثكم عن شيء من كيد الأعداء وسهامهم الطائشة لهدم كيان الأسرة بشكل عام، وإفساد المرأة المسلمة على الخصوص.

فمن وسائلهم في ذلك وسائل الإعلام بكافة قنواتها وأجهزتها، ويأتي البث

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٠.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٠.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٥٥.

المباشر والقنوات الفضائية في طليعتها، وبالله كم هدمت هذه البرامجُ الإعلامية المخربة من أسرةٍ! وكم حطمت من كيان! وكم سلخت من خلقٍ ووارت عفةً وحياءً! ولست أدري كيف رضي البعض منا باحتضان العدوِّ داخل عقر بيته، بل وفي غرفة نومه، وقد كنا عبر القرون نجالدهم بالسيوف ونفدي إسلامنا وقيمنا بأرواح آبائنا وأبنائنا، ونستشرف الدماء تراق من أجل الحفاظ على عقيدتنا وأصالتنا.

فيا أيها المسلمُ والمسلمةُ! أيسركما أن يكون منزلكما مسرحًا يستقبل عبر الشاشة الكفر والإلحاد، وتشاهد من خلالها الأفلامُ الداعرة والقنوات المتحللة الساقطة، وتُعرض فيها كؤوسُ الخمر، وصورُ العاهرات الفاجرات من خلال المسلسلات وعرض الأزياء؟ أترضون بذلك لأنفسكما ومن تحت أيديكما من الذرية[1].

إنني أذكركم الله في الأمانة التي تحملتموها وأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، وأذكركم الله في المسئولية التي استرعاكم الله إياها وسوف يسألكم عنها، وليس سرًّا أن يُقال لكم إن هذه البرامج المنتجة مدعومة من الكفار لإفساد أخلاقكم وهدم عقيدتكم، ودونكم الدليل:

فقد عُقد مؤتمرٌ في دولة نصرانية ضم أكثر من مئةِ دولةٍ وحضره أكثر من ثمانية آلاف مُنصِّر، وكلّف أكثر من إحدى وعشرين مليون دولار؟ أتدرون لماذا؟ لدراسة كيفية الاستفادة من البث المباشر في تنصير العالم[2].

وإذا كان هذا جهد النصارى فلا تسأل عن جهد اليهود هم أربابُ المالِ

(١) جريدة الجزيرة، عدد ٨٧٧٤ في ٢٤/٥/١٤١٧هـ.
(٢) المرجع السابق.

وأصحابُ الإعلام؟ ولا تسأل عن النحل والملل والأيدولوجيات الفاسدة الأخرى وعلى سبيل المثال:

فهذه «جولد مائير» رئيسة حكومة الكيان الصهيوني السابق تقول: «تنتابني هواجسُ ويجتاحُني الذعر قبل نومي كلَّ ليلة عندما أتخيلُ عدد الأطفال الفلسطينيين الذين سيولدون في اليوم الثاني»[١].

إنها المؤامرة على العالم والرِّهان على إفساد القيم والأخلاق للشعوب، وليس يُلام الذئبُ في عدوانه.. ولكن المأساة حين تغيبُ عقول المسلمين عن مخططات الكافرين أو تأسرهم الشهوات ولو كانت على حساب العقائدِ والمكرمات.

أيها المسلمون أما الخطرُ الخارجي الآخر على الأسرة المسلمة، فهو: تحديد النسل، هذا الداء الذي يسري فينا دون أن ننتبه له، ويُخطط له أعداؤنا ونحن في غفلةٍ عنهم، ولربما بلغ بنا الأثرُ مبلغه فتصور بعضنا أن قلة الأولاد تحضرًا، وأن تحديد النسل أسلوبًا راقيًا، وتضيع في زحمة الأفكار الدخيلة وصية الرسول ﷺ لنا: «**تزوجوا الودودَ الولودَ فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة**»[٢].

ولربما أرهبنا الأعداء، أو وسوس إلينا الشيطان بصعوبة النفقة أو خشينا الفقر مع كثرة الذرية، والله ينهانا عن ذلك، بل يقدم رزقهم على رزقنا، ويقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[٣].

عباد الله! إن كثرة المسلمين شبحٌ مخيفٌ للكافرين، وإن تحديد نسلهم وسيلة

---

(١) الأهرام ١٢/ ٣/ ١٩٩٤، عن كتاب الغارة على الأسرة المسلمة، عبد القادر أحمد عبد القادر ص٢١.

(٢) (إرواء الغليل ٦/ ١٩٥) رواه أحمد بسند صحيح ٣/ ٢٤٥، المنجد، أربعون وسيلة ص٩.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣١.

من وسائل القضاء عليهم، سواء أكان ذلك بكثرة تعاطي الحبوب المانعة للحمل، أو بوسائل وعمليات أخرى لا تزال تُصدر إلى العالم الإسلامي، والمصيبة حين يسري هذه الداء في مجتمعات المسلمين، وهم في غفلة عن كيد الكافرين، وأسوق لكم شيئا من مخططاتهم في هذا السبيل.

عقدت هيئة اليونسكو مؤتمرها الثالث عشر في «سان فرانسيسكو» بحضور مائةٍ من المفكرين لبحث مشكلة التضخم السكاني في الدول النامية للحدِّ منه، وكان من بين المقترحات مقترحٌ تقدم به (بولس أرليس) أستاذ في جامعة (ستانفورد) الأمريكية، ويقضي بوضع مُركبات منع حمل في الغذاء المرسل للدول النامية، وأعجب من ذلك أن أعلن الدكتور (لي دوبر يدج) المستشار العلمي للرئيس نيكسون في المؤتمر نفسه أن الولايات المتحدة تُفكر في قطع معونتها الاقتصادية عن الدول التي لا توقف تزايد سكانها، وقال إن استخدام مركبات منع الحمل في مياه الشرب والطعام قد يكون حلًّا لهذه المشكلة في الدول النامية[١].

فهل يستيقظ النائمون.. وهل يرعوي المخدوعون، وهل يقتصد المروجون لأفكار الآخرين..، ومما يلفت النظر أن هذه الأفكار والمخططات التي تروج في بلاد المسلمين، يُحذِّر منها الكافرون، ويُشجعون أسرهم على تزايد النسل، فقد أعلن البابا (بولس السادس) أن استخدام وسائل تحديد النسل إثم، وإن مستخدميها آثمون» أما الرئيس الفرنسي النصراني (ديستان) فقد ناشد شعبه ليزيد نسله، وأعلن عن مكافأة ماليةٍ للأسرة التي يزيدُ أفرادُها عن ثلاثة.

إذا كان هذه شأن النصارى، فاليهود لا يعترفون بتنظيم النسل، بل إن

(١) الغارة على الأسرة المسلمة، عبد القادر ص٢٤.

الحاخامات يمنحون أبناء الزنا ولو من غير اليهود الصفة اليهودية ويهتمون بهم، ويعتبر العقم عند اليهود لعنة كبيرة[١].

وبالجملة فكم يخسر المسلمون وهم يجهلون تعاليم دينهم، وواقع عدوهم، ويجهلون مكرَ أعدائهم وينفذون بسذاجة مخططاتهم، فيساهمون معهم في المؤامرة على الأسرة المسلمة.

أيها المسلمون! هناك وسائل أخرى من أعدائنا لهدم أسرنا، كعقد المؤتمرات المشبوهة والخروج منها بتوصيات فاجرة، وما مؤتمر الإسكان بالقاهرة وبكين إلا نماذج صارخة لهذه المؤامرة العالمية على الأسرة المسلمة. ومنها غزو الأفكار الوافدة وتغيير المفاهيم الصحيحة.

فالحجاب الشرعي تخلفٌ ورجعيةٌ، والاختلاط في التعليم أو العمل تقدم وحضارة، وتعددُ الزوجات ظلمٌ للمرأة، وقرار المرأة في بيتها عودةٌ بها إلى القرون المظلمة، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[٢]، وفي ظل هذه الفتنة العمياء، تصور المرأة الكافرة على أنها النموذج المحتذى، ويُسخر بالدين، وتنحر الفضيلة والحياء على مرأى ومسمع الغفلاء، وإلى الله المشتكى وهو وحده المُستعان.

أيها المسلمون! برغم ذلك كله فكيدُ الشيطان ضعيف، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولكن لا بد أنت يصدق المسلمون مع ربهم ويحاسبوا أنفسهم، ويبدءوا بإصلاح بيوتهم فلابد لهم منها، ثم يتناصحوا فيما بينهم ويتواصوا بالحقِّ والصبر

---

(١) الغارة على الأسرة المسلمة، ص٤٧، ٤٨.

(٢) سورة الكهف، آية: ٥.

على ما يصيبهم، حتى يصلح الله حالهم أو يتوفاهم وهو راضٍ عنهم، وصدق الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

اللهم اصلح أحوالنا وبصرنا بمواطن الضعف في نفوسنا، واكفنا شرَّ أعدائنا، وأصلح ذات بيننا.

أيها المسلمون! وما دام الحديث عن المخاطر التي تهدد الأسر..

فلا شك أن مما يهددها في عصرنا الحاضر حوادث السيارات المفزعة، ولا شك أن من أبرز أسبابها السرعةُ المتهورة، أو التساهل في قطع الإشارة المرورية؛ وما ينجم عنه من حوادث مروعة، وإني أوصيكم ونفسي بأن نجنب أنفسنا هذه المخاطر بسبب سوء صنيعنا، فالسرعة الجنونية والاستهانة بالإشارات المرورية، كل ذلك طريق للهلاك وإهلاك الآخرين والله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، والانضباط في القيادة دليلُ العقلِ والرُّشدِ، واحترام قواعد السير المُنظمة دليلُ الوعي وحسن الذوق، وإذا استرخصت نفسك فاعلم أن أنفس الآخرين غالية، وكن قدوة صالحة لغيرك، واعلم أن الإسلام وضع آدابًا للطريق وحقوقًا للآخرين عليك أن ترعاها، وهذا لا ينبغي أن يكتفى بالتنبيه عليه في أسابيع المرور فحسب بل ينبغي أن يكون محلَّ اهتمام في كلِّ وقت. هذا وصلوا.

(١) سورة الأنفال، آية: ٥٣.

(٢) سورة الرعد، آية: ١١.

أيام العشر وأحكام العيد والأضاحي[(١)]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

اللهم لك الحمد إذ بلَّغتنا هذه الأيام الفضيلة، اللهم وكما بلغتنا فأعنَّا على استثمارها بعمل الصالحات، وتقبل منا ومن إخواننا المسلمين سائر الطاعات، وكفِّر عنا السيئات، وارفع لنا الدرجات.

اتقوا الله وعظموا أمره أيها المسلمون، وأنتم في أيام يذكر فيها اسمُ الله، وتُعظم شعائره، ويفد الحجيجُ إلى بيته ابتغاء مرضاته.

أيها المسلمون! كم نُضيِّع من الأوقات هدرًا، وسيندم كل مفرط غدًا، وإذا كنا قد فرطنا فيما مضى، فها هي فرصة سانحةٌ تُتاح لنا، ويُعظم الله فيها الأجور لنا، فهل من مسابقٍ للخيرات، والله تعالى يقول: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

ودونكم هذا الحديث في فضل عشر ذي الحجة فاعقلوه، أخرج الإمام أحمدُ وغيره بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنتُ عند رسول الله ﷺ، قال: فذُكرت له الأعمال فقال: «**ما من أيام العمل فيهن أفضل من هذه العشر**»، قالوا: يا رسول الله الجهاد في سبيل الله؟ فأكبره، فقال: «**ولا**

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٤/ ١٢/ ١٤١٧هـ.

الجهاد، إلا أن يخرج رجلٌ بنفسه وماله في سبيل الله ثم تكون مهجةَ نفسه فيه»[١].

يا أخا الإسلام! قف، وسائل نفسك: ماذا قدمت لآخرتك في هذه الأيام الفاضلة، وبماذا خَصَصتها؟ وهل أيام الدهر عندك سواء؟ هل صمت أو تنوي الصيام فيها؟ هل تصدقت؟ هل وصلت؟ هل أكثرت من ذكر الله؟ وتلاوة كتابه؟ هل ابتهلت إلى الله بالدعاء؟ وإني سائلك ونفسي، فاستحضر السؤال، وفكِّر في الجواب.

أما السؤال فمهم وهو يقول: كيف يجتمع التصديق الجازمُ الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار، ويتخلف العمل، وهل في الطباع البشرية أن يعلم العبد أنه مطلوبٌ غدًا بين يدي بعض الملوك ليعاقبه أشدَّ عقوبة، أو يكرمَه أتمّ كرامة، ويبيت ساهيًا غافلًا..؟

قال ابن القيم رحمه الله: هذا لعمرُ اللهِ سؤال صحيح واردٌ على أكثر هذا الخلق، فاجتماع هذين الأمرين (يعني التصديق بالمعاد، وعدم الاستعداد له) من أعجب الأشياء، ثم حدد-يرحمه الله- أسباب ذلك بعدةِ أمورٍ، فافهموها، وحاولوا الخلاصَ منها، قال:

أحدُها: ضعف العلم ونقصان اليقين، فإذا اجتمع إلى ضعف العلم عدم استحضاره، وغيبته عن القلب في كثير من أوقاته وأكثرها لاشتغاله بما يُضاده، وانضم إلى ذلك تقاضي الطبع وغلبات الهوى، واستيلاء الشهوة، وتسويل النفس، وغرور الشيطان، واستبطاءُ الوعد، وطول الأمل، ورقدة الغفلة، وحب العاجلة، ورُخص التأويل، وإلف العوائد، فهناك لا يمسك الإيمان، إلا الذي يمسك

(١) أحمد ١٠/ ٦٧ تحقيق شاكر.

السماوات والأرض أن تزولا، ولهذا السبب يتفاوت الناسُ في الإيمان والأعمال، حتى ينتهي إلى أدنى مثقال ذرةٍ في القلب[١].

أيها المسلمون! ومع عظمة هذه الأيام فقد أمر الرسولُ ﷺ الأمة وحثها على كثرة الذكر والتسبيح والتهليل في هذه العشرة فقال: «**ما من أيامٍ أعظمُ عند اللهِ ولا أحب إليه العملُ فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**»[٢].

ومن الصفات المشروعة في التكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبر، الله أكبر ولله الحمد[٣].

قال في سبل السلام: وفي الشرع صفاتٌ كثيرةٌ واستحساناتٌ عن عدة من الأئمة، وهو يدل على التوسعة في الأمر، وإطلاق الآية يقتضي ذلك، يعني قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾[٤].

فأحيوا هذه السنة، وليكن لكم في سلف الأمة أسوة فقد أخرج البخاري في صحيحه (معلقًا مجزومًا به) أن ابن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما[٥].

والمراد أنهما يذكران الناس فيتذكرون ويذكرون، ولا يعني التكبير بصوتٍ واحدٍ جماعي، فهذا غير مشروع، قال ابن الحجاج في المدخل: «قد مضت السنة أن كل

---

(١) ابن القيم: الداء والدواء ص٧٥، ٧٦.

(٢) أخرجه أحمد وإسناده صحيح ٧/ ٢٢٤، ٩/ ١٤.

(٣) إرواء الغليل ٣/ ١٢٥.

(٤) سبل الإسلام ٢/ ١٢٥، عبد الله الفوزان، المجالس ص٢٢.

(٥) الفتح ٢/ ٤٥٧.

واحد يكبر لنفسه ولا يمشي على صوت غيره، فإن ذلك من البدع، وفيه خرق حرمة المسجد والمُصلى، برفع الأصوات والتشويش على من به من العابدين والتالين والذاكرين»[(١)].

أيها المؤمنون! قال أهل العلم: والتكبير مطلقٌ ومقيد، فالمقيد عقيب الصلوات، والمطلق في كل حال في الأسواق وفي كل زمان[(٢)].

وإذا كان التكبير المطلق يبدأ من دخول العشر، فإن المقيد- عقب الصلوات المكتوبة- يبدأ من فجر يوم عرفة إلى نهاية أيام التشريق، ومع أن الحافظ ابن حجر -يرحمه الله- قال: ولم يثبت في شيء من ذلك عن النبي ﷺ حديث، وأصح ما ورد فيه عن الصحابة قولُ عليٍّ وابن مسعود أنه من صبح يوم عرفة إلى آخر أيام منى..[(٣)].

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: «أصح الأقوال في التكبير الذي عليه جمهور السلف الفقهاء من الصحابة والأئمة أن يكبر من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق عقب كلِّ صلاة»[(٤)].

وقال ابن كثير: «وهذا أشهر الأقوال وعليه العمل»[(٥)].

وهناك من العلماء من يرى أن التكبير أيام التشريق ليس مقيدًا بأدبار الصلوات، بل هو مطلقٌ في سائر الأحوال..[(٦)].

---

(١) المدخل ٢/ ٢٨٤، ٢٩٠، عن مجالس عشر ذي الحجة، ص٢٣.
(٢) كذا ذكر صاحب المغني ٣/ ٢٥٦.
(٣) الفتح ٢/ ٤٦٢.
(٤) الفتاوى ٢٤/ ٢٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٨.
(٦) انظر: عبد الله الفوزان، مجالس عشر ذي الحجة ص١١٧.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا.

إخوة الإسلام! يومُ عرفة يوم عظيم فاضلٌ من أيام الله، يوم أكمل الله فيه الدين وأتم النعمة فيه على المسلمين، حيث أنزل فيه قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١)، فيه يكثر العتق من النار، وفيه يكفر الله الخطايا والآثام، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثرُ من أن يُعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وأنه ليدنو ثم يُباهي الملائكة فيقول: «ما أراد هؤلاء؟»**»(٢).

قال ابن عبد البر: «وهذا يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يُباهي بأهل الخطايا إلا بعد التوبة والغفران والله أعلم»(٣).

ومن فضائل يوم عرفة خيرية الدعاء فيه، وله فيه مزية على غيره، حتى قال عليه الصلاة والسلام: «**خير الدعاء دعاءُ يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير**»(٤).

قال ابن عبد البر -معلقًا على هذا الحديث-: «وفيه من الفقه أن دعاء يوم عرفة أفضل من غيره، وفي ذلك دليلٌ على فضل يوم عرفة على غيره... وفي الحديث

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) رواه مسلم ح ١٣٤٨.

(٣) التمهيد ١/ ١٢٠.

(٤) أخرجه مالك في موطئه، والترمذي والبيهقي في فضائل الأوقات، وقال هذا مرسلٌ حسن، وصححه الألباني (الصحيحة ٤/ ٦)، مجالس عشر ذي الحجة، الفوزان ص٥٧.

أيضًا دليلٌ على أن دعاء يوم عرفة مجابٌ في الأغلب . .»[١].

إخوة الإسلام! لا يُظن أن هذه الأفضلية بيوم عرفة خاصةٌ بالحجاج فالدعاء للحاج وغيرهم، بل ورد ما يخص غير الحجاج في يوم عرفة ألا وهو الصيام الذي ورد في فضله «**يكفر السنة الماضية والسنة القابلة**»[٢].

فإذا اجتمع أفضلية اليوم، وكان المرءُ صائمًا . . كان الداعي حريًّا بالإجابة، فاحرصوا على صيام هذا اليوم واحرصوا فيه على الدعاء وشاركوا الحجاج في دعائهم وابتهالهم عسى اللهُ أن يتقبل منكم ويغفر لكم ذنوبكم.

أيها المسلمون! كما تحرصون على استثمار هذه الأيام الفاضلة بالأعمال الصالحة، فاحذروا المعاصي، وبادروا بالتوبة النصوح، وللتوبة في الأزمنة الفاضلة شأن عظيم، وإن كان باب التوبة مفتوحًا على الدوام، وإذا كان العقل السليم ينفر من المعاصي على الدوام، فنفرته منها في وقت المواسم والفضائل أشد. وقد ذكر بعض أهل العلم تغليظ عقوبة المعصية في الأيام المباركة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد سئل عن إثم المعصية وحدِّ الزنا هل تزداد في الأيام المباركة أم لا؟ فأجاب: نعم، المعاصي في الأيام المفضلة والأمكنة المفضلة تغلظ، وعقابُها بقدر فضيلة الزمان والمكان»[٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾[٤]. نفعني الله وإياكم بهدي كتابه.

---

(١) التمهيد ٦/ ٤١.
(٢) رواه مسلم رقم ١٦٦٢.
(٣) الفتاوى ٣٤/ ١٨٠.
(٤) سورة الحج آية: ٣٠.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين فضَّل الشهور والأيام، وأسبغ على الخلق من آلائه ونعمه ما يشهد به أولو البصائر والأفهام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل من صلى وحج وصام، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين.

أيها المسلمون! كما هي فاضلة أيام العشر كلها، ويوم عرفة على الخصوص، فثمة يومٌ فاضلٌ من أيام الله، إنه يومُ الحجِّ الأكبر، يومُ النحر، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يومُ الحجِّ الأكبر يومُ النحر**»[١]، وهو أفضل أيام العام لحديث عبد الله بن قرط رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن أعظم الأيام عند الله تعالى يومُ النحر ثم يوم القرِّ**»[٢].

وبهذا كان يُفتي شيخ الإسلام ابن تيمية -يرحمه الله-، وقد سئل عن يوم الجمعة ويوم النحر أيهما أفضل؟ فأجاب: يومُ الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم النحر أفضل أيام العام، ووافقه ابن القيم فقال: «وغير هذا الجواب لا يسلم صاحبُه من الاعتراض الذي لا حيلة له في دفعه»[٣]، «ولقد فضل العلماء عيد النحر على عيد الفطر»[٤].

إخوة الإسلام! إذا عُلم فضل هذا اليوم -أعني عيد الأضحى- أفيسوغ التكاسل

---

(١) أخرجه أبو داود ٥/ ٤٢٠، وابن ماجه ٢/ ١٠١٦، بسند صحيح، وأخرجه البخاري تعليقًا ٨/ ٣٢٠ من الفتح.

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد جيد. كما قال الألباني في تخريج المشكاة ٢/ ٨١٠.

(٣) الفتاوى ٢٥/ ٢٨٩.

(٤) الفوزان ص ١٠١.

فيه عن الطاعة، أم يسوغ فيه اللهو المحرم في الملة، إن بعض الناس يتراخون في حضور صلاة العيد وهي سنة مؤكدة لا ينبغي لمسلم قادرٍ تركُها، ومن أهل العلم من يرى وجوبها كابن تيمية وابن القيم، قال ابن تيمية: «وقولُ من قال: لا تجبُ في غاية البعد، فإنها من أعظمِ شعائر الإسلام، والناس يجتمعون لها أعظمَ من الجمعة وقد شُرع فيها التكبير، وقول من قال: هي فرض على الكفاية لا ينضبط»[١].

وقال ابن القيم عن وجوبها: «وهذا هو الصحيحُ في الدليل»[٢].

وهناك غيرهم قال بالوجوب، واستدل العلامةُ صديق حسن خان على وجوب صلاة العيدين بأنها مسقطة للجمعة إذا اتفقتا في يومٍ واحد، وما ليس بواجب لا يسقط ما كان واجبًا..»[٣].

يا أخا الإسلام! إذا كان رسولُ الهدى ﷺ أمر النساء العواتق وذوات الخدور والحيض -مع اعتزالهن للصلاة- بالخروج لصلاة العيدين، أفيليق بك أن تتأخر عنها، أو تترك أهلك وأولادك عن حضورها مع المسلمين! إنها أعيادُنا المشروعة في الإسلام «عيد الفطر وعيد الأضحى» يعظم فيها ذكر الله، ويجتمع المسلمون توحدهم رابطة العقيدة وإن اختلفت بلادهم، أو تعددت لغاتهم، أو تباينت ألوانهم.. وإذا لزم إظهارُ هذه الشعيرة في كلِّ حالٍ، فهي في حال ضعف المسلمين وهوانِهم أحرى وأولى.. وكم فيها من غيظ للأعداء.. وكم في اجتماع المسلمين بشكلٍ عام من قوة تُرهب الأعداء لو عقل المسلمون قيمة اجتماعِهم

---

(١) الفتاوى ٢٣/ ١٦١.
(٢) كتاب الصلاة لابن القيم ص ٢٩، عن مجالس عشر ذي الحجة، الفوزان ص ١٠٥.
(٣) الموعظة الحسنة ٤٢، ٤٣، والروضة الندية، عن مجالس العشر ص ١٠٥.

وتوحدت قلوبهم كما اجتمعت أبدانهم.

أيها المسلم! السنة أن تتنظف وتتطيب وتلبس أحسن ثيابك لصلاة العيد، وأن تخرج إليها مبكرًا، مُكبرًا، وألا تأكل شيئًا في عيد الأضحى قبل الصلاة، فقد كان رسول الله ﷺ لا يطعمُ في عيد الأضحى حتى يرجع من الصلاة فيأكل من أضحيته[١].

عباد الله! الأضحية مشروعة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وقد اختلف العلماءُ هل هي واجبة أم سنة، والأكثرون على أنها سنة مؤكدة في حقِّ الموسر، ومن أهل العلم من قال بوجوبها..[٢].

وقد جاء في فضلها ما يدعو إلى المسارعة والمسابقة فيها ابتغاء فضل الله، بل لقد جعل الله لكلِّ أمةٍ منسكًا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام كما في آية الحج (٣٤) قال ابن كثير وحمة الله: يخبر تعالى أنه لم يزلْ ذبحُ المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعًا في جميع الملل[٣].

أيها المسلمون! اختاروا أضاحيكم وطيبوا بها نفسًا، وكلما كانت أغلى وأكمل فهي أحب إلى الله، قال ابن تيمية -يرحمه الله-: «والأجرُ في الأضحية على قدر القيمة مطلقًا»[٤]. وتحققوا من خلوها من العيوبّ المانعة للإجزاء، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أربع لا تجوز في الأضاحي** -وفي رواية: لا تجزئ- **العوراء البينُ عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ضلعها، والكسيرة التي لا**

---

(١) زاد المعاد ١/ ٤٤١.

(٢) الفوزان .. المجالس ص ٧١.

(٣) تفسير ابن كثير ٤٢٠.

(٤) الاختيارات ص١٢٠، عن المجالس ص ٨٢.

تنقي»[١]، ويقاس على هذه العيوب ما كان مثلها أو أشد.

قال الإمام النووي: «وأجمعوا على أن العيوب الأربعة المذكورة لا تجزئ التضحية بها، وكذا ما كان في معناها أو أقبح منها كالعمى، وقطع الرجل وشبهه»[٢].

يا أيها المؤمنون! قال العلماء: والأصل في الأضحية أنها مشروعة في حقّ الأحياء، أما عن الأموات فهي على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يُضحى عنهم تبعًا للأحياء بأن يشركوا مع الأحياء في ثوابها- كما فعل رسول الله ﷺ عنه وعن أهل بيته ومنهم من مات قبله.

الثاني: التضحية عن الأموات بمقتضى وصاياهم تنفيذاً لها، وقد قال تعالى عن الوصية: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾[٣].

الثالث: أن نضحي عن الأموات تبرعًا مستقلين عن الأحياء، فهذه جائزة كذلك، ولكن قال بعض أهل العلم: لا نرى أن تخصيص الميت بالأضحية من السنة؛ لأن النبي ﷺ لم يضح عن أحدٍ من أمواته بخصوصه، ولم يرد عن أحد! من أصحابه في عهده أن أحدًا منهم ضحى عن أحدٍ من أمواته، ومن الخطأ أيضًا ما يفعله بعض الناس ممن يضحون عن الميت أول سنة يموت أضحية يسمونها (أضحية المقرة)، أو يضحون عن أمواتهم تبرعًا ولا يضحون عن أنفسهم، وأضحية الرجل تكفي عنه وعن أهل بيته، الأحياء والأموات وذلك من فضل الله ورحمته[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود ٧/ ٥٠٥، والترمذي ٥/ ٨١، والنسائي ٧/ ٢١٤.

(٢) شرح مسلم ١٣/ ١٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨١.

(٤) ابن عثيمين: تلخيص كتاب أحكام الأضحية والذكاة.

عباد الله! سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض.. وتعرضوا لنفحات الله في هذه الأيام الفاضلة، فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير وربك بالمرصاد ولا يظلم ربك أحدًا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1] اللهم اسلك بنا طريق المتقين الأبرار، وأعذنا من خزي الدنيا وعذاب النار.. وتقبل منا واغفر لنا يا كريم يا غفار. هذا وصلوا.



(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

مقاصد السفر في الإسلام[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

عباد الله! انقضت أيام الامتحانات، ونجح من نجح، وأخفق من أخفق.. وكما طويت هذه الصفحة من الحياة، وانتهت هذه المدة من العمر كلمح البصر، فستطوى صفحةُ العمرِ كلها وسيؤول الناس كلهم إلى امتحان صعب، الخسارة فيه لا تعوض.. والنجاح فيه خلود في النعيم إلى الأبد، وكم هم الذين تغرهم الأماني.. ويطول عليهم المد وتمتد بهم حبال الأمل والرجاء في هذه الحياة فينسون أو يغفلون عن هذه الحقائق الكبرى والمشاهد العظمى ليوم القيامة.. وإن يومًا عند وبك كألف سنة مما تعدون..

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢٥/ ٢/ ١٤١٩هـ.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة الحشر، آية: ١٨.

أيها المسلم! أما وقد انتهت الامتحانات وابتدأت الإجازة فكأني بك تفكر بالرحيل وتحزم أمتعةِ السفر، ناويًا لرحلة هنا أو هناك.. بمفردك أو بصحبة عائلتك، وإنني بهذه المناسبة أخاطبك مذكرًا.. وأُسائلك ناصحًا لا مُشهرًا، وأقول: لماذا، وإلى أين السفر؟ فذانك سؤالان مهمان قبل السفر، ولابد من استصحابهما أثناء السفر، وإنني إذ أدعو الله أن يحفظك ومن بصحبتك في حال حلِّك وترحالك فإنني أدعوك للتعرف على شيء من مقاصد السفر وأنواعه كشفها العلماء قديمًا.

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[(١)].

المسألة الرابعة: في السفر في الأرض، تتعدد أقسامه من جهات مختلفة، فتنقسم من جهة المقصود به إلى هربٍ أو طلب، وتنقسم من جهة الأحكام إلى خمسة: واجبٍ، ومندوب، ومباح، ومكروه، وحرام، وينقسم من جهة التنويع في المقاصد إلى أقسام، ثم ذكر أنواعًا ستةً -داخلة ضمن سفر الهرب- وهي كما ذكرها ابن العربي ونقلها عنه القرطبي: الأول: الهجرة، وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضًا في أيام النبي ﷺ، وهي باقية مفروضة إلى يوم القيامة.

الثاني: الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسبُّ فيها السلفُ، قال ابن العربي: وهذا صحيح فإن

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠١.

المنكر إذا لم تقدر أن تُغيره فزل عنه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية[1].

الثالث: الخروج من أرضٍ غلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فرض.
الرابع: الفرارُ من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله أرخص فيه، فإذا خشي على نفسه فقد أذن الله في الخروج عنه والفرار بنفسه لتخليصها من ذلك المحذور، وأول من فعله إبراهيم عليه السلام، فإنه لما خاف من قومه قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾، وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، وقال مخبرًا عن موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

الخامس: خوفُ المرض في البلاد الوخمة، والخروجُ منها إلى الأرض النَّزهة، فقد أذن الرسول ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح فيكونوا فيه حتى يصحوا، وقد استُثني من ذلك الخروج من الطاعون.. كما جاء في الحديث الصحيح.

السادس: الفرارُ خوف الأذية في المال، فإن حرمة مالِ المسلم كحرمةِ دمه، والأهلُ مثلُه وأوكد.

أيها المسلمون! وإذا كان ما مضى في أنواع قسم سفر الهرب فقد قال العلماء: وأما قسم الطلب فينقسم إلى قسمين: طلب دين وطلب دنيا، فأما طلب الدين فيتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام، وهي مهمة فتأملوها، هي:

أولًا: سفر العبرة، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[2]، وهذا كثير في القرآن، ويقال إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها، وقيل لينفذ الحق فيها.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٨.

(٢) سورة الروم، آية: ٩.

الثاني: سفر الحج وهذا فرض.

الثالث: سفر الجهاد وله أحكامه.

الرابع: سفر المعاش، فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه.

الخامس: سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وذلك جائز بفضل الله، فإذا كانت نعمة منَّ الله بها في سفر الحج فكيف إذا انفردت.

السادس: السفر في طلب العلم وهو مشهور.

السابع: قصد البقاع الكريمة، قال ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**» فك الله أسره من الاحتلال الصهيوني.

الثامن: الثغور للرباط بها، وتكثير سوادها للذّب عنها.

التاسع: السفر لزيارة الإخوان في الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**زار رجل أخًا له في قرية فأرسل الله على مدرجته مَلكًا فقال: أين تريد؟ قال: أريد أخي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[١].

يا أخا الإسلام! واسأل نفسك لأي من هذه الأغراض الطلبية تطلب السفر؟ ولا يفوتنك أن للنية أثرًا في ثواب السفر أو عقابه.. وفي كونه محرمًا أو واجبًا أو مندوبًا.. فقد يمكث الرجلُ في أرض بدعة أو مكان يطغى فيه الشر وينتشر

---

(١) رواه مسلم وغيره.

الحرام. . ولكن قصده مدافعة الشر والدعوة للخير. . فذلك مأجور على مجاهدته ودعوته.

ودونك هذا الحوار فتأمله، يقول أبو بكر بن العربي: قد كنت قلتُ لشيخنا الإمام الزاهد أبي بكر الفهري: ارحل عن أرض مصرَ إلى بلادك، فيقول: لا أحبُّ أن أدخل بلادًا غلب عليها كثرةُ الجهل، وقلةُ العقل، فأقول له: فارتحلْ إلى مكة أقم في جوار الله وجوار رسوله، فقد علمتَ أن الخروج عن هذه الأرض فرضٌ لما فيها من البدعة والحرام، فيقولُ: وعلى يدي فيها هدى كثير، وإرشاد للخلق، وتوحيد، وصدّ عن العقائد السيئة، ودعا إلى الله ﷻ. وتعالى الكلامُ بيني وبينه. .

قال أبو بكر مبينًا أهمية النية في السفر إثر تعداده أنواع السفر:

وبعد هذا فالنية تقلب الواجب من هذا حرامًا، والحرام حلالًا بحسب حسن القصد، وإخلاص السرِّ عن الشوائب[1].

إخوة الإسلام! من عجب أنكم لا ترون عند هؤلاء الأئمة ذكرًا للسفر من أجل المتعة المحرمة، أو النزهة المتحللة. . أفكان في المسلمين شغل عنها في زمنهم؟ أم أن أحوال المسلمين لم تنحدر إلى ما نراه اليوم في الواقع المنظور. . وأغراض السفر عند نفرٍ من أبناء المسلمين كما تعلمون إلى حدٍّ باتت الإعلانات تشهر لسفر مجموعة من النساء لأغراض تجارية. . وفي ثنايا الخبر لا يُستحى من ذكر الاحتفالات لهن واللقاءات المختلطة معهن في أكثر بلاد الدنيا تحررًا من الفضيلة وتمرغًا في أوحال الرذيلة. . بل وفي أشهر المدن بكثرة الجرائم والسطو على

---

(١) انظر: أحكام القرآن ١/ ٤٨٤-٤٨٧، تفسير القرطبي ٥/ ٣٤٩-٣٥١.

مستوى العالم، وإذا خرجتما النساءُ عن قيود السفر المباحة، فلا تسأل عن سفر فئة من الشباب والرجال.. اللهم احفظ علينا ديننا وأمننا وإيماننا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].



(١) سورة الحج: آية ٤٦.

الخطبة الثانية:

الحمد لله القائل في محكم التنزيل ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.. أيها الإخوة المؤمنون! إذا تعددت أغراض السفر واختلفت نوايا المسافرين، فالمسلمُ الحق هو الذي يعبد الله حيث كان، ويراقبه في اجتماعه خلواته وحيث حلَّ أو ارتحل؛ لأنه مدرك لعظمة الله وسعة علمه، ومحاسبته لعبده- يوم الحساب- وفي كتاب الله يقرأ المسلم: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾(٢).

أخي المسافر استصحب في سفرك عظمة الله، وليكن قصدك من سفرك حسنًا، فقد تنتهي أيامُك من هذه الحياة قبل عودتك من السفر، فإن مِت مُت سعيدًا، وإن بقيت عشت حميدًا كريمًا.

يا أخا الإيمان! في الأسفار تبدو عظمة الخالق من خلال رؤية ما خلق، والتأمل في الكون الفسيح، وتنوع الحياة وانتشار الأحياء.. وذلك ضمن إطار سفر العبرة التي تحدث عنه العلماء، وأفاضت في ذكره آيات الكتاب الحميد.

أخي المسافر! لا تنس عبودية الشكر إن رأيت في سفرك أصحاب بلاء ومحنة أو فقر ومسغبة ومن الشكر المساهمة في دفع المكروه عن إخوانك المسلمين،

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٧.

واستصحب وسيلة الدعوة علاجًا لما تراه من انحراف في المعتقد والأخلاق، أو جهلٍ في الفرائض والسنن المشروعة في الإسلام.. ولا يكن همُّك النقد للآخرين أو مجرد التأسف على واقع المسلمين!! لا تحقرن من المعروف شيئًا بالكلمة الطيبة، والهدية المُفرحة، والكتيب أو الأشرطة المعلمة.. فكم يحتاج الآخرون إلى ما تراه أنت أمرًا عاديًا.

أخي المسافر! لك دعوةٌ مستجابة في السفر فلا تحرم نفسك وذويك والمسلمين منها.. وإذا أخلصت الدعاء ولم تتجاوز فيه.. فلا تستعجل الإجابة.. ولا يفوتنك هذا الخير العميم في الدعاء في ابتداء السفر حين تقول: «اللهم إني أسألك في سفري هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم هوّن عليَّ سفري هذا واطو عني بعده، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل..». ويا لها من دعواتٍ لو تأملها واعتصم بها المسافرون.

أخي المسافر! احفظ نفسك ومن يصحبك في السفر من مقارفةِ المحرمات.. أو مشاهدة المنكرات.. أو تضييع الواجبات، ولا تنس أن السفر فرصة لتنفيذ البرامج المفيدة، فقد تتقبل النفوس في حال السفر والنزهة أكثر مما تتقبل في حالة الإقامة على القراءة النافعة لكتاب الله.. وسير الأعلام النبلاء.. والتأمل في أحاديث المصطفى أو نحو ذلك من أنواع المعرفة المفيدة، مما يبقى رصيدًا للمرء في هذه الحياة وبعد الممات.

عباد الله! في هذا الصدد - كم نحن بحاجة إلى الوعي في أمور ديننا كما نحن بحاجة إلى الوعي في أمور دنيانا.. إننا نعيش اليوم في عالم يختلط فيه الحق بالباطل، وربما روّج للرذيلة باسم الفضيلة، ولا أظنك ممن تنطلي عليه وصف

الخيرين أهل الصلاح بالرجعية والتطرف أو نحوها.. وصف أهل الفساد بالتحرر والتنور ودعاة الإصلاح.. والله أعلم بما يكتمون..

إن الخداع والتزوير بات يملأ الكون فيه جعجعة أهل الريب والشهوة والنفاق ومن في قلوبهم مرض بشكل عام، وبدأ يتعاظم منه شأن المرأة في هذه الأيام، فكثرت المطالبة باسمهن.. وكثرت الأصوات المشبوهة الداعية إلى تحررهن من العفة والفضيلة والحياء. ويدرك العقلاء وأهل الغيرة والشهامة فضلًا عن أهل العلم والمعرفة.. أن المرأة بوابة واسعة للفساد يُراهن عليها الموتورون.. ويرونها أقصر الطرق لإفساد المجتمع بأسره.. فما من فتنة أضرَّ على الرجال من النساء.. وأول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء كذا قال المصطفى ﷺ، وما ترك الإسلام في نظرته للمرأة وتكريمها مجالًا ينفذ منه المفسدون باسم الدين يتوقع أن تؤول إليه.. متمثلين قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾(١). وحين تستغل المرأة بالمطالبة حينًا.. وبالدعوات المشبوهة حينًا فذلك مؤشر إلى أن وراء الأكمة ما وراءها.. وإذا هانت على فئة من أهل الريب أخلاقهم وكرامةُ نسائهم، وما تتميز به بلادهم ومجتمعهم عن الآخرين.. فينبغي أن يقف المجتمع بأسره سدًّا منيعًا تجاه أفكارهم ومخططاتهم.. فالفساد إذا بدأ ولم يُستنكر استشرى، ولا تقف آثاره عند مريديه، بل تحصل الفتنة للظالمين وغيرهم، ولا يقف مخطط الفساد وشهوات المفسدين عند حدٍّ، وصدق الله ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾(٢).

عباد الله! ألا فتنبهوا، وقوموا بواجب الله عليكم، ولتكن غيرتكم لدينكم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٧.

ومحارمكم وبلادكم والمسلمين من حولكم غيرة أساسها الدين.. ومبعثها الوعيُ بحقائق الأمور، وقد حان الأوان للتربية الجادة للأسرة عمومًا، وللمرأة خصوصًا وتذكيرها بتكريم الإسلام لها، وبالهدف الحقيقي من وجوده، وتبصيرها بما يخططه الأعداء لها.. كل ذلك بإذن الله سيقف سدًّا منيعًا وسيفشل خطط الماكرين ويرد مكرهم عليهم.

عباد الله! تذكروا الآثار المترتبة على عدم إنكار المنكر، فالله حكم بنجاة الناهين عن السوء، وهلاك من سواهم فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[1].

اللهم احفظ بلادنا ونساءنا من كل مكروهٍ وفتنة، اللهم وفق ولاة الأمر للأخذ على أيدي السفهاء والمفسدين، اللهم أعن علماءنا ورجال الفكر فينا لقيادة الأمة لكل خير، والوقوف في وجه أهل الفساد والريب..

اللهم احفظ علينا أمننا وإيماننا، وأبق سلطان الدين حيًّا قويًّا في نفوسنا، اللهم ومن أراد تفريق جمعنا أو الإفساد في مجتمعنا فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره.. اللهم اجعل تدبيرهم تدميرًا عليهم يا حي يا قيوم.. هذا وصلوا.



(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦٤، ١٦٥.

وباء المُسكرات والمخدرات (تاريخ وتحذير)[١]

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين كرّم بنى آدم وفضلهم على كثير ممن خلق ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نعمه ظاهرة وباطنة.. ومن أجلِّها -بعد نعمة الإسلام- نعمة العقل المبصر، فبه يميز المرءُ بين الخير والشر، والضار والنافع، وبه يرتقي العبد وتتقدم الأمم وتنتظم الحياة.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله جاءت شريعته لتخلص العقل من أوضار الجاهلية، وترتفع به من دركات التفكير وتعطيل القدرات.. إلى أسمى الغايات وأعلى المقامات.. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣].

﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

أيها المسلمون وإذا كان العقل من أكبر نعم الله على الإنسان فالموفق من

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٢/ ٣/ ١٤١٩هـ.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠٠.

استثمر هذا العقل فيما يصلح دينه ودنياه، وإن المرء ينحدر عن مقام الأنعام حين لا يستثمر هذا العقل فيما خلق الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

وإذا كانت الغفلة عن الهدف الذي من أجله خلق الإنسان واحدة من أنماط عدم استثمار العقل -وليس هذا موطن الحديث عنها- فثمة نمطٌ آخر أكثر سوءًا يُزهق به العقلُ، وتقتل به الإرادة الحية.. وينتحر المرءُ وإن كان بعدُ حيًّا، وذلكم بتعاطي المسكرات والمخدرات.

لقد قيل: إن المخدرات ما هي إلا لُغمٌ يفجر حضارات الشعوب ويهدد قيمها بالزوال، وأخلاقها بالدمار. وقيل: إن إدمان المخدرات والمسكرات ما هو إلا وحشٌ كاسر، أنشب مخالب الموتِ في عنقِ مجتمعاتنا الإسلامية[2].

وقالوا: إن خطر المخدرات على الأمم والشعوب، وتأثيرها المدمِّر عليها أشد من الحروب التي تأكل الأخضر واليابس، وتدمر الحضارات، وتقضي على القدرات، ولذا جندت حكومات العالم كل إمكاناتها لمحاربتها والحدِّ من انتشارها[3].

أيها المسلمون! إن انتشار المسكرات والمخدرات سمةٌ من سمات الجاهلية قديمًا وحديثًا، ففي الجاهلية الأولى تغنى الشعراء بالخمرة، وصُدرت أعظم معلقات العرب في جاهليتهم بذكرها، وقال شاعرهم (عمرو بن كلثوم):

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) عبيد العصيمي: المخدرات دمار للمجتمعات ص٥، ٦.

(٣) أحمد الغامدي، أثر المخدرات ص٧، ٨.

ألا هُبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمورَ الأندرينا

وكان ذلك من مفاخرهم، ومما أضاع عقولهم وأوقاتهم حتى شعَّ نور الإسلام في أرضهم، وجاء محمد ﷺ محررًا لعقولهم، ومستدركًا لما بقي من طاقتهم، ومعلنًا لهم ولغيرهم «**ألا إن كلَّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع**»(١).

جاء محمدٌ ﷺ ليهدي الناس إلى فطرة الله التي فطرهم عليها.. وجاء ليُنهي عهد الغواية ويحفظ الطاقة، ثبت في الصحيحين -في حادثة الإسراء- أنه ﷺ قال: «**وأُتيت بإنائين في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر قيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربت فقيل لي: هُديت الفطرة، أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتُك**».

وإذا كانت تلك إطلالة على الجاهلية الأولى وكيف استنقذت منها، فالجاهلية الحديثة أعتى وأشد وهي جاهلية مقننة.. وذات خطط وأهداف بعيدة المدى.. وقد اتخذت من المخدرات والمسكرات وسيلةً للسيطرة والعدوان، واستلاب العقول والأموال فضلًا عن مصادرة الدين وما يتبعه من خُلق أو حياء، لقد قام المستعمرُ البريطاني بإدخال القاتِ وشجع زراعته باليمن، وكانوا ينقلونه فترة من الزمن يوميًّا من أثيوبيا والصومال إلى أرض اليمن السعيد كما قامت بريطانيا بالعمل على إيجاده بين مواطني الهند والصين.

وقامت دول أخرى بإدخال المخدرات إلى بعض الدول لتحطيمها اجتماعيًّا واقتصاديًّا حتى تتم السيطرة عليها. وإذا كان هذا قبل عقودٍ من الزمن.. فلا يزال

---

(١) أخرجه مسلم.

الخطرُ يستشري، والداء يُنقل، والحربُ قائمة حتى أضحت حربُ المخدرات أحدَ أنواع الحروب المعاصرة الخطيرة..

ولئن لم تتوقف الدول الكافرة الكبرى عن هجومها بالمخدرات لمن سواها، ولا سيما بلاد المسلمين.. فقد زادت الطين بلة، حين غرست في عمق بلاد المسلمين ربيبة لها تنفذ مخططاتها، وتستولي على جزء من مقدسات المسلمين، ويشرد شعوبهم وفوق ذلك كله تنشر وباء المخدرات في دول المنطقة المحيطة بها..

أجل إن إسرائيل عانت من عزلتها الاقتصادية زمنًا وكسْرُ هذا الطوق.. يمهد السبيل لتجارة المخدرات التي تراهن عليها إسرائيل في إفساد الشعوب العربية والإسلامية.. ولقد أثار تهريبُ إسرائيل للمخدرات قبل فترة قلقًا للشعوب المسلمة، وتنادت وسائل الإعلام كاشفة هذا الخطر، ويكفي أن أحد المقالات كان عنوانه: إمبراطورية الحشيش(١).

وهذه لفتة ينبغي أن ندركها.. وأن نظمها إلى أهداف دولة بني صهيون في عمق العالم الإسلامي، وأن نعي أن تعاطي أحد أبناء المسلمين لوباء المخدرات، أو تهريبها إنما ينسجم ويخدم أهداف الدول الكافرة المستعمرة وهو قبل ذلك واقع في مصيدة الشيطان، ومغضب للرحمن.

إخوة الإسلام! إذا كان من أبرز أسباب انتشار المسكرات والمخدرات وتعاطيها الفساد المستشري في سبل الحياة كلها، حتى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وزادت الهموم وانتشر القلق فظن البعض -مخطئًا- أن الخلاص من

---

(١) إبراهيم الطخيس، المخدرات، ص٢٣.

نكد العيش وقسوة الحياة يكون في شرب كأسة خمرٍ، أو جرعةِ مخدر، أو استنشاق مسكر أو شرب مفتر.. فإذا السراب يزول، وإذا الهم يتجدد ويزداد، بل ويبدأ مسلسل القلق والضياع، ويبدأ المرء حينها طريق الانحراف. وظن آخرون أن في الكأس متعةً.. وفي المخدر راحةً وهدوء بال، وتجديدًا للحيوية والنشاط، وإذا بالإحصاءات تكشف وتفضح عن تزايد أعداد المجرمين، وكثرة المرضى والمصابين بالأزمات النفسية فضلًا عن الأمراض العضوية. وتردي الأوضاع الاقتصادية، والتشرذم وتفكك الأسرة.. وعاد العقلاء يدركون عظمة الإسلام فيما حرم، ويقفون متأملين في النص القرآني المحكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].



(١) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أحل الحلال وفضله، وبيّن الحرام وحذر منه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يجعل دواء الأمة وعافيتها وأنسها فيما حرم عليها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بُعث بأكرم الأخلاق وأتمِّها.. ونهى عن السفاسف صغيرها وكبيرها، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عباد الله! حين تتنادى الأمم والدولُ كلها مسلمها وكافرُها، غنيُّها وفقيرها محذرةً من وباء المخدرات، ومتخذة الوسائل في محاربتها، وحماية الشعوب منها -على اختلافٍ في صدقها وفي أهدافها- فإن ذلك واحدٌ من مؤشرات عظمة هذا الدين، وسمو رسالة محمد عليه الصلاة والسلام حيث نزل القرآن وجاءت السنة بالنهي والتحذير من وباء الخمر، وما يندرج تحته من مسكرٍ أو مفترٍ أو مخدر، قبل ما يقرب من ألف وخمسمائة عام.

أيها المسلمون! لقد جاء حديث القرآن حريصًا عن الخمر في أكثر من آية، ولم يكن للمخدرات حينها وجود يذكر، وهذا يعني أن هذا الداءَ العُضال، والشبحَ المخيف لم يوجد في البيئة الإسلامية إلا متأخرًا، فابن كثير مثلًا يذكر في حوادث سنة (٤٩٤هـ) أربع وتسعين وأربعمائة، أن الحسن بن الصباح، زعيم الطائفة المعروفة بالحشاشين كان يستعمل مادتي الجوز والشونيز ممزوجتين بالعسل فيطعم بذلك من اتجه لدعوته من الناس حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه حتى يستجيب له، ويصير أطوع له من أمه وأبيه[1].

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ١٥٩.

وهذا يعني أن نوعًا من المخدرات عُرف في ذلك الوقت الذي ظهرت فيه هذه الطائفة[١].

ويرى ابنُ تيمية أن الحشيشة دخلت بلاد المسلمين حين اجتاح التترُ بلاد المسلمين ويقول: وهذه الحشيشة كان أول ما بلغنا أنها ظهرت بين المسلمين في أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة حين ظهرت دولة التتر، وكانت هذه الحشيشة الملعونة من أعظم المنكرات، وهي شرّ من الشراب المسكر من بعض الوجوه، والمسكرُ شرٌّ منها من وجه آخر..[٢]

عبادَ الله! في زماننا المعاصر تفنن المجرمون في إنتاج أنواع المخدرات، واستُخدم العقلُ لتدمير العقل وكان تصديرُ المخدرات -بأنواعها المختلفة- أحدَ الوجوه الكالحة لجاهلية القرن العشرين؟ ومع ذلك كله يبقى النصُّ القرآني عظيمًا وشاملًا في حرمته لكلِّ ما خامر العقل وغطاه.. وإن لم يُذكر بنصه..

وجاءت نصوص السنة النبوية شاملة في التحريم للخمر وجميع أنواع المسكرات لقوله ﷺ: «**كلُّ مسكر خمر، وكلُّ مسكر حرام**»[٣].

ثم جاء كلام الأئمة الأعلام شاملًا في الحكم والتحريم لكل ما يندرج تحت مسمى الخمر، حتى قال ابن القيم -يرحمه الله-: «إن الخمر يدخل فيها كلُّ مسكرٍ مائعًا كان أو جامدًا عصيرًا أو مطبوخًا».. إلى أن قال: «فقد صح عنه ﷺ أنه قال: (**كل مسكرٍ خمر**)، وصحّ عن أصحابه الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده أن الخمر: ما خامر العقل على أنه لو لم يتناول لفظه ﷺ كلَّ مسكر، لكان القياس

---

(١) أحمد الغامدي، أثر المخدرات وسبل الوقاية ص١٨.
(٢) الفتاوى ٣٤/ ٢٠٥.
(٣) رواه أحمد ومسلم وغيرهما، صحيح الجامع ٤/ ١٨٠.

الصريحُ الذي استوى فيه الأصلُ والفرعُ من كل وجهٍ، حاكمًا بالتسوية بين أنواع المسكر، فالتفريق بين نوعٍ ونوع تفريق بين متماثلين من جميع الوجوه»[١].

يا أخا الإسلام يا من تُقاد بأمر الإسلام، وتنتهي عند حدوده كفاك تحذير القرآن وأنها رجس من عمل الشيطان.. وموقعة للعداوة والبغضاء بين الخلان.. ويكفي من شؤمها أنها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنت منتهي؟

يا أخا الإيمان! في السنة المطهرة بيان أن الإيمان وشرب الخمر لا يجتمعان: «**فلا يشرب الخمرة حين يشربها وهو مؤمن**». وهل ترضى أن تلقى الله كعابد وثن، قال ﷺ: «**مدمنُ الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن**»[٢].

وهل ترضى بحرمان نفسك لذةً دائمة لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون، بلذة عابرة، بعضها حسرة وندامة في الدنيا، يقول ﷺ: «**.. ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتبْ، لم يشربها في الآخرة**»[٣].

أم ترضى بسببها أن تسقى من عرق أهل النار، ففي صحيح مسلم قال ﷺ: «**كلُّ مسكر حرام، إن على الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**». قيل يا رسول الله: وما طينة الخبال؟ قال: «**عرقُ أهل النار أو عصارة أهل النار**».

يا عبدَ الله! حين لا يهون عليك دينُك، فعقلك حريّ بالعناية، وهو جوهرة ثمينة لا أخالك تفرط فيها لأتفه الأسباب، قال الحسن البصري -يرحمه الله-: «لو كان العقل يُشترى لتغالي الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده»[٤].

(١) زاد المعاد.
(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
(٣) رواه أحمد ومسلم وغيرهما، صحيح الجامع ٤/ ١٨٠.
(٤) الشريم، وميض من الحرم ص٦٧.

احذر يا عبد الله من كل ما يهضم الدين والعقل، قال الضحاك بن مزاحم -يرحمه الله- لرجلٍ: «ما تصنع بالخمر؟ قال: يهضم من طعامي، قال: أما إنه يهضم من دينك وعقلكِ أكثر»[١].

أيها المسلمون! لا يقف الحديث عن المسكرات والمخدرات عند هذا الحد.. فثمة أسباب لتعاطيها وانتشارها، وثمة أضرار مختلفة لمتعاطيها ومروجيها.. وسبل لوقاية الفرد والمجتمع فيها، وأمور أخرى أرجئ الحديث عنها لخطبة لاحقة بإذن الله.

أسأله تعالى أن يلهمنا رشدنا.. وأن يحفظ علينا ديننا ويصلح عقولنا.. وأن يجنبنا وإخواننا المسلمين مواطن الزلل ومواقع الخطر.. إنه ولي ذلك والقادر عليه..



(١) السابق ص٦٧.

(٢) وباء المسكرات والمخدرات[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[3].

أيها المسلمون! حديث اليوم استكمال للحديث السابق عن وباء المسكرات والمخدرات، وتركيز أكثر على أسباب تعاطيها وانتشارها، وما شهد به الشرعُ والعقل والواقع من أضرارها وآثارها، وسبل الوقاية منها، ومشروبات أو مأكولات أخرى تعد مقدمة لها.

إن من أعظم أسباب انتشار المسكرات والمخدرات وتعاطيها الأزمة الروحية التي يعيشها بعضُ المسلمين بعيدًا عن هدي الله وذكره مما سبب ضعفًا في الوازع

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٩/ ٣/ ١٤١٩هـ.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.
(٣) سورة النساء، آية: ١.

الديني والمستوى الأخلاقي، إنها أزمةُ صلةٍ بين الخالق والمخلوق تهوّن على المرء ارتكاب أي محظور.. وترك أي واجب وعدم التفكير مليًّا في العواقب، وضعف التخوف من عذاب الله في الآخرة، إن سلم من عذابه في الدنيا. والمصيبة أن متعاطي المخدرات والمسكرات ينتقل من أزمة إلى أزمة أعظم منها، إلا أن يتداركه الله منه برحمةٍ وتوبةٍ صادقة.

والفراغ القاتل سبب مهم آخر في الإطلال على نافذة المسكرات والمخدرات، ولاسيما عند فئة الشباب وتزداد المشكلة ويقترب الشاب أكثر من هذه المشكلة إذا اقترن برفقة سيئة، وأصدقاء سوء، يهونون عليه الأمر، ويدعونه إلى مجاراتهم في ورطتهم، أو يتهمونه بالجبن والبخل إذا لم يستجب لمطالبهم. وآفات صديق السوء كثيرة، ليست هذه إلا واحدة منها، وكثرة العمالة الوافدة ذات الأهداف السيئة في ترويج المخدرات.. سبب كبيرٌ في انتشارها عند من لا يستطيعون جلبها ولا السفر إليها، وتؤكد الإحصاءات المتعلقة بالمقبوض عليهم في جرائم التهريب والترويج على دور هذه العمالة في انتشار هذا الوباء، فكيف إذا انتشرت هذه العمالة في الأحياء السكنية وكانت الغالبية منهم عُزابًا، وتيسر لهم الاتصال والاختلاط بشباب أغرار، يسهل اصطيادهم والتأثير عليهم، إنها مشكلة لا بد من التفطن لها.

وفي السفر للخارج، مع توفر المادة، وضعف الرقيب وكثرة المغريات، ما يدعو ضعفاء النفوس لتعاطي المسكرات والمخدرات، في البداية بعيدًا عن الأهل والوطن.. ثم يستفحل الأمرُ، ويقود الإدمان إلى تعاطيها وجلبها في أي مكان وجدها بأي ثمن اشتراها[١].

إخوة الإسلام! تأتي العوامل السياسية بين الدول نتيجة الاضطهاد والاستعمار

(١) إبراهيم الطخيس، المخدرات ص٥٠- ٥٤.

والرغبة في الإفساد سببًا مهما من أسباب انتشار المسكرات والمخدرات، وقد استخدم الفيتناميون سلاح المخدرات في إضعاف قوة الجنود الأمريكان في حرب فيتنام، ولعب الاستعمار الإنجليزي والفرنسي -فيما مضى- دورًا بارزًا في نشر المخدرات في العالم العربي، ثم استلمت الراية إسرائيل ولا تزال جاهدة في إفساد شعوب المنطقة بهذا الداء العضال، إلى غير ذلكم من أسباب، لا شك أن لوسائل الإعلام الفاسدة وكثرة القنوات الفضائية الغازية دورًا في الدعوة إليها وعدم التحذير منها.

إخوة الإيمان! وتُخلِّف هذه المسكرات والمخدرات آثارًا سيئة على الفرد والمجتمع، وعلى دين المتعاطي ودنياه، كيف لا وقد حكم الإلهُ أنها موقعة للعداوة والبغضاء، صادةٌ عن ذكر الله وعن الصلاة.. وهذه الأهداف التي يريدها الشيطان أمور واقعة يستطيع المسلمون أن يروها في عالم الواقع بعد تصديقها من خلال القول الإلهي الصادق بذاته، وقد قيل: إن الخمرَ ينسي والميسر يلهي.

ويقف الطب الحديث معترفًا بعظمة القرآن ومؤكدًا الآثار السيئة والأضرار الصحية لهذا الوباء، ومؤكدًا تأثيرها على المخِّ والجهاز العصبي، والهضمي، والكبد والبنكرياس، وعلى القلب والدورة الدموية، وحدوث الأورام الخبيثة، بل جاوز الأطباءُ أثره على الأجنة والمواليد.

إن في ذلك لآية.. وما يعقلها إلا العالمون؟

وآثارها الأمنية لا تخفى، والعلاقة بين تفشي الجريمة وبين السكر وتعاطي المخدرات يكشفها نسبُ المقبوض عليهم وتؤكدها البحوث والدراسات التي كتبت عن صلة الجريمة بالمخدرات..[1].

---

(١) أثر المخدرات: أحمد الغامدي ص٣٧.

أما آثارها الاقتصادية. فيأبى الله أن يكون الثراءُ فيما حرم الله، ومع ارتفاع أسعار المخدرات فمروجُها من أفقر الناس.. أما المتعاطون فلا تزالُ يستنزف أموالهم حتى يضيقوا بالنفقة الواجبة لأهليهم وأولادهم، وربما أصبحت عوائلهم عالةً يتكففون الناس، نسأل الله السلامة والعافية لنا ولإخواننا المسلمين.

وللمسكرات والمخدرات آثارها الاجتماعية المدمرة، فهي سبيل لانعدام الأخلاق، وتفكك الأسر، وهي طريق لانعدام القيم، وانتشار الكسل، وربما كانت نهايتها القتل من قبل سلطة رادعة.. بل قبل ذلك من الشخص المدمن أو من أقرب الناس إليه، ودونكم قصةً ذات مغزى(١)، وهي قصة أمٍّ انتهى النزاعُ مع ابنها المدمن على المخدرات، والذي كان يُلح عليها في الحصول على مبلغ يستطيع به أن يشتري جرعته المعتادة، إلى الانتحار بمسدس أمام نظر أمه، ولما رأته الأم لم يمت لتوه تناولت المسدس من يده المرتعشة وأطلقت على رأسه ما تبقى من رصاصات، لترديه قتيلًا وتسارع بموته، ثم تذهب لتسلم نفسها(٢).

عباد الله! هل من قلوب تعي، أو عقول تفكر في النهاية الموحشة والآثار المدمرة لهذه المسكرات والمخدرات.

كيف وقد ذكر أهل العلم.. أن الحشيشة -وهي نوعٌ من المخدرات- توجب الفتور والذلة، وفيها فساد للمزاج والعقل، وفتحُ باب الشهوة، وموجبة للدياثة..(٣)، بل قالوا: إنها رشوة الشيطان يرشو بها المبطلين ليطيعوه، وهي مورثة لقلة الغيرة -على المحارم- وزوال الحمية، وآكلها يعني الحشيشة -إما أن

---

(١) أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة المخدرات ص٢٩، ٣٠.

(٢) أثر المخدرات ص٤٥.

(٣) الفتاوى ٣٤/ ٢١١.

يصير ديوثًا، أو مأبونًا، أو كلاهما، كذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله-[١].

إخوة الإيمان! كفى بالمسكرات والمخدرات سوءًا أنها أمُّ الخبائث، خطب عثمان رضي الله عنه يومًا فقال: أيها الناس، اتقوا الخمر فإنها أمُّ الخبائث، وأن رجلًا مما كان قبلكم من العباد كان يختلف إلى المسجد فلقيته امرأةُ سوءٍ، فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل فأغلقت الباب، وعندها باطية من خمر، وعندها صبي فقالت له: لا تفارقني حتى تشرب كأسًا من هذا الخمر، أو تواقعني، أو تقتل الصبي، وإلا صِحتُ وقلت: دخل عليَّ في بيتي فمن الذي يُصدقك؟ فضعف الرجل عند ذلك وقال: أما الفاحشة فلا آتيها، وأما النفس فلا أقتلها، فشرب كأسًا من الخمر، فقال: زيديني، فزادته، فوالله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبي، قال عثمان رضي الله عنه: فاجتنبوها فإنها أمُّ الخبائث، وإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر في قلب رجل إلا يوشك أحدهما أن يذهب بالآخر[٢].

عباد الله! أرأيتم كيف تدعو هذه الفاحشة لغيرها من المنكرات.. فكيف وقد ذكر فيها أكثرُ من مائةٍ وعشرين مضرةً دينيةً ودنيوية.

ألا فالتزموا حدود الله وقوا أنفسكم وأهليكم ومجتمعكم الشرور والآثام: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه ﷺ.



(١) الفتاوى ٣٤/ ٢٢٣.

(٢) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى إخوانه وآله. .

معاشر المسلمين! أما عن سُبل الوقاية من هذه الأوبئة الفتاكة لا بد أولًا من صدق العزيمة -بالنسبة للفرد المُبتلى- ولابد من تعاون فئات المجتمع على محاربة هذا الداء ومشاركة الجهات المسؤولة مهمتها. . فالداءُ يتجاوز الفرد إلى المجتمع إذا لم يُسارع بالدواء.

ولابد من تكثيف التوعية بأضرار المسكرات والمخدرات والتركيز في ذلك على المناهج الدراسية، وفي وسائل الإعلام المختلفة، ولابد من تأكيد دور الأسرة في رعاية أبنائها والحفاظ عليهم، ولابد من الجدية في ردع المجرمين وتطبيق حدود الشرع في المتعاطين والمروجين والمهربين، ولقد كان للقرار الحكيم الذي صدر في هذه البلاد ويقضي بقتل المهربين، أو المروجين الذين يتكرر منهم ذلك أثره في الحدِّ من انتشار هذا الوباء، ونأمل المزيد من العناية به وتعميمه، ففي القصاص حياة، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ولابد -في سبيل وقاية الشباب من هذا الداء، من العناية بتربيتهم وملء وقت فراغهم بما يفيدهم ويفيد مجتمعهم وأمتهم. ولابد من رعايتهم وحفظهم عن قرناء السوء، وأبالسة الإنس، ووقايتهم من وسائل الدمار الخُلقي بكافة أنواعها (المرئي منها، والمقروء، والمسموع)، ولابد -في سبيل الوقاية من وباء المخدرات- من

التحذير من السفر للخارج ولاسيما للشباب المراهقين الذين لا هدف ولا منفعة لهم من وراء السفر.

ومع ذلك كله فكم هو جميل لو درست حالات المتعاطين والمروجين وعرفت الأسبابُ والدوافع ثم قُدم العلاج المناسب لها، ووضعت الاحتياطات المستقبلية حتى لا يقع غيرُهم فيما وقعوا فيه -فالوقاية خير من العلاج.

إخوة الإيمان! حين يكون الحديث عن المسكرات والمخدرات فلابد من همسةٍ عن بعض المُفترات التي عمت البلوى بها إلا من رحم الله، وضررها على الدين والمال والبدن ظاهرٌ لا يحتاج إلى كثير عناء.. فمن يجهل آثارَ الدخان على المدخنين، ومن يشك في كونه هدر للمال، واعتداء على الصحة.. وحيث توجد عيادات للمدخنين فذلك شعور واعٍ من أهل الصحة لأضرارها وضرورة معالجة أصحابها، أما فتاوى العلمَاء، وأدلتهم على تحريمها فتلك تُجيب على أسئلة السائلين عن حكمها، وتوقظ بصائر الجاهلين بحكم الشرع ورأي أهل العلم في تحريمها.

إن مشكلة التدخين -فوق ما فيها من أضرار لا تخفى- فهي سبيل لاختيار رفقة السوء، والوحشة من رفقة أهل الخير.. وتلك سيئة كبرى من مساوئها.. وسيئة أخرى أنها داعية للكسل عن الطاعات، وربما كانت مقدمةً لأنواع من المحرمات. وتلك سيئة أخرى، فإياك أيها الشهمُ وإياها، وبادر أيها المبتلى بالإقلاع عنها قبل أن يستفحل فيك خطرُها، وتعظم آثارُها.

والحديث عنها محتاج لمزيد بسط وبيان وليس هذا موضعها -أما القاتُ- فهو بلية أخرى مفترٌ وملهٍ عن ذكر الله، ولها أضرار ومضاعفات ذكرها العارفون، وهي لا تخفى، ولكن انتشاره أقلُّ بكثير من انتشار التدخين، ومن مخاطره على المدى

البعيد سوءُ الهضم، وتليفُ الكبد، وإضعاف القدرة الجنسية والتعرض بسهولة لمرض السل[١]. .

عباد الله! من الخمور الحسية إلى الخمور المعنوية أنقلكم، فللخمور الفكرية آثارٌ سيئة، وتلك هي التي تنشأ عن تعظيم العقل وإعطائه حجمًا أكبر مما أراده الله له، فيجعل أحيانًا مساويًا للنص، ولربما قُدم على النص، وتلك سبب ضلال المعتزلة فيما مضى، ومحلُّ فتنة العقلانيين في هذا الزمن. . وليت الآخرون يعتبرون بما انتهى إليه السابقون وأحدُهم يقول بعد طول تجربة وعناء في تعظيم العقل:

نهاية إقدام العقولِ عقالُ وأكثر سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا قيل وقالوا

إن الإسلام يقدر العقل ويعتني به، بل ويحرم كلَّ ما يؤثر عليه، ولكنه يجعل له حدودًا ينتهي عليها حتى لا يتيه أصحابه في بيداء مهلكة لا نهاية لها. . وكم زلَّت أقدامٌ ونشأت نِحَل ضلت وأضلت بسبب زيغ العقل. . وكم زل آخرون وهم يظنون أنهم أصحابُ فكرٍ مستنيرٍ، زعموا أنه لا بد من تحرير العقول، فطالت آثارُهم النصوص الثابتة المحكمة فأولوها أو أنكروها.

وعلماء الإسلام الربانيون لم يتجاهلوا دور العقل، ولكنهم لم يعتدوا على النقل، وكتب أحدهم كتابًا سماه «درء تعارض العقل والنقل» ثم خلفت خلوف رأت أن بإمكانها -وفى ديار المسلمين- أن تتخلص من أي تقييد على العقل، فراحوا يسخّرون بالدين ونالت سخريتهم الذات الإلهية ومقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وآخر ما أحدث ضجةً ذلك الرسمُ الكاريكتوري في جريدة القبس الكويتية، ويحمل نكتةً ساخرةً تقول: «إن آدم وحواء طردا من الجنة لأنهما لم يدفعا

---

(١) المخدرات والعقاقير المخدرة ص ١٨٤، ١٨٥.

الإيجار» وأعوذ بالله مما قالوا.. وأستغفره وأنزهه عما يقول الظالمون، وأتذكر سخرية المنافقين في عصر الرسالة ونزول القرآن حاكمًا بكفرهم في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[١].

عباد الله! حين صدر حكم بسجن رئيس التحرير ستة أشهر، وإيقاف الصحيفة عن الصدور لمدة أسبوع.. تنادت أقلام موتورة، تستغرب الحكم وتتخوف على مستقبل الحرية في الكويت، وجاءت عناوين مقالات بعض صحفنا تقول: لأول مرة في الكويت، ونسي هؤلاء أن يقولوا ليست هذه المرة الأولى التي يسخر بها من الدين، فقد سبق للسياسة سخرية أخرى.. وأين حرية الرأي من الاعتداء على الحرمات، بل والتطاول على قيم الإسلام الكبرى في بلد يحكم بالإسلام وتدين شعوبه بالإسلام.. إنها مأساة. بل زمن الوقاحة الإعلامية، كما عبر أحد كتّابنا - وهو يتحدث عن تخوفنا من البث الإعلاني الغربي- وكيف نواجهه، حيث قال: غير أننا بعد أن هطلت علينا سحائب البث الفضائي الغربي وغمرتنا ذبذباته وموجاته اكتشفنا حقيقة مرةً مذهلة هي أن الخطر الذي كنا نظنه آتيًا من بعيد قد تفجّر من تحت أقدامنا، وأن ما كنا نظنه قادمًا من الغرب بصلفه الحضاري قد قام به أبناء جلدتنا، وبدل من أن نكون نحن وأبناءُ عمنا على الغريب -في هذا المجال- أصبح أبناءُ عمنا والغريبُ من خلالهم علينا جميعًا[٢].

ومن عجب أن هذا المقال كتبه د. أحمد الضبيب، قبل ما حصل من جريدة القبس، فماذا تراه يقول أو يقول غيره بعد ما حصل.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٢) د. أحمد الضبيب، الجزيرة، عدد ٩٣٩٤ في ١٤١٩/٢/٢٤هـ.

١٠ ملاحظات في أيام الامتحانات(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله خلق الموتَ والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملًا.. ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل هذه الدار دار امتحان وبلاء وعمل، والآخرة دار جزاء وقرار إلى الأبد.. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بلغ البلاغ المبين وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن أصحابه الغرِّ الميامين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾(٢). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾(٣).

إخوة الإسلام! غدًا موعدُ الامتحان لمعظم الطلاب والطالبات.. وللامتحان رهبة وهيبة.. والنفوس بطبعها تخاف من مساءلتها.. وتقلق من غيبٍ لا تدري ما الله صانع فيه لها.. ولكن القلق أو التخوف الذي يعقبه الطمأنينة والنجاح سرعان ما ينتهي، وتشعر النفس معه بلذة الراحة بعد التعب، والسرور بعد الكبد. وما أتعس عيش الذين يتواصل كبدهم قبل الامتحان وبعده.. وأشدُّ تعاسة الذين يستمر كبدُهم في تلك الحياة الدنيا وفي الآخرة.. ألا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١١/ ٢/ ١٤١٩هـ.
(٢) سورة الحشر، آية: ١٨.
(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

أيها الطلبةُ والطالبات، وأولياء الأمور آباء كانوا وأمهات، إخوانًا كانوا أو أخوات، وإليكم جميعًا أوجه هذه النصائح الملاحظات العشر بمناسبة أيام الامتحانات:

الملاحظة الأولى: ومع رهبة الامتحان فمما يخفف من هذه الرهبة قوة اليقين والتوكل على الله بعد فعل الأسباب المطلوبة شرعًا من حسن المذاكرة والتركيز في الفهم. وكن واثقًا مطمئنا لقضاء الله وقدره، فما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.. دافع القلق وكثرة الهموم فلربما كانت هذه وتلك أسبابًا لضياع معلوماتك وفشلك في الامتحان.

الملحوظة الثانية: إياك وكثرة السهر المفضي إلى الإعياء وعدم القدرة على التركيز أثناء الإجابة.. وإياك أن يطول سهرُك إلى قرب الفجر ثم تنام عن الصلاة، وربما استيقظت متأخرًا فأتيت إلى قاعة الامتحان ولم تصلِّ فرض الله بعدُ، متأولًا أن الله غفور رحيم، وناسيًا أَن الله شديد العقاب.. ولا خير فيك إن فوَّتَ شيئًا من الصلوات أثناء الامتحانات، ولا خير أيضًا إن لم تصل إلا أيام الامتحانات.

الملحوظة الثالثة: وهناك من يعمد من الطلبة أو الطالبات إلى تعاطي المنبهات أو المخدرات أيام الامتحانات، وذلك لدفع النوم -كما يظنون- ولكنها البداية النكدة لو كانوا يعلمون.. وهي مورثة لخلل التفكر وتعب الجسد فيما بعد.. الأمر الذي يدعو إلى كثرة النوم بعد وضياع أوقات مضاعفة.. لو كانوا يعلقون.

الملحوظة الرابعة: وهى همسةٌ لأولياء الأمور، وتنبيه من لم يبتل بعد بهذا الداء.. ذلكم أنّ هناك أشرارًا يصيدون في الماء العكر، فيلقون سمومهم إلى غيرهم.. وربما فتنوا بالمخدرات شابًا أو شابة لا علم لهم بمثل هذه الأمراض الفتاكة، مستغلين ظروف الامتحانات.. ومُسوّلين للطالب أو الطالبة أن تعاطي حبةً

مخدرة كفيل بالحيوية والنشاط ومن ثمَّ النجاح في الامتحان.. ومن هنا تبدأ المشكلة ويتلوث الأبرياء بأدواء الخبثاء.. ولربما تطور الأمر إلى ما هو أعظم من ذلك، فراودوا المتعاطي عن نفسه، إذا اعتاد جسمه عليها ولم تتوفر في حينها.. فباعوها له بأغلى الأثمان.. وربما كان الثمن انتهاك العرض ووأد الفضيلة والحياء ولا حول ولا قوة إلا بالله.. فانتبهوا لهذه المخاطر وبداياتها في كل حين.. ولاسيما في أيام الامتحانات.

الملحوظة الخامسة: وهى قريبة من سابقتها.. ولكنها بلون آخر من الإغراء.. فقد تخدع هذه الذئاب المفترسة شابًّا غِرًّا.. فتعرض عليه الركوب معهم في السيارة لسرعة إيصاله إلى بيت أهله أو إلى مدرسته.. فإذا استجاب وركب بدأ مسلسل الإغراء والعروض أولًا.. فإن لم يستجب الشابُّ بدأ مسلسل التهديد والوعيد.. ولربما كاد من وسائلهم تهديدُ الشاب بعدم تمكينه من الامتحان إن لم يستجب لمطالبهم الخبيثة.. ولربما استجاب الشاب المسكين في البداية خشية فوات الامتحان عليه ولوم الأهل له، ثم كانت هذه الفضيحة ورقةً يُهدد بها إذا لم يستجب لمثلها.. وكل ذلك يقع في غيبة ولي الأمر وغفلة المدرسة.. وسببها الأول الاستجابة للركوب مع هذه الشلل الفاسدة.. فاحذر أخي الشاب من الركوب مع من لا تعرفه معرفةً جيدةً وتثق بدينه وخلقه، وتنبه أيها الولي لمسيرة ابنك وذهابه وإيابه من المدرسة.. وعلى المدرسة ورجالات الشرطة والحسبة ثقل من المسؤولية ومتابعة هذه الحالات الشاذة.

الملحوظة السادسة: وثمة ظاهرة يغفل عنها كثير من الناس، وهي مقلقة لرجالات الحسبة والدوريات وتحتاج إلى يقظة وحزم وحسم يقطع دابر الفتنة ويحفظ بنات المسلمين من أوغاد قل حياؤهم واستطار شرُّهم، وجعلوا مهمتهم

التحرش بالطالبات، إنها ظاهر مؤلمة تقع عند مدارس البنات -وتكثر أيام الامتحانات- والذئابُ ترصد خروجهن فتبدأ المضايقة بكلمة أحيانًا أو برسالة مختصرة أحيانًا أخرى وبرمي رقم هاتف تتم المحادثة والمهاتفة عليه فيما بعد.. وكم خَدع هؤلاء الذئاب بوسائلهم المختلفة عددًا من الفتيات فأصابهن من لوثة العرضِ ما دنَّس حياءَهن.. وجاء بالفضيحة على عوائلهن.

أيها الأولياء! ربما كان الخلل من الفتاة أحيانًا.. فالطالبة مثلًا حين تُنهي امتحانها يكون هناك زمن بين نهاية الامتحان ووصولها إلى منزلها.. ويظن الأهل أنها في المدرسة، وتعتقد المدرسة أنها في بيت أهلها.. وهي خلال هذه المدة متعرضة للفتنة وربما ضربت مواعيد مع أولئك الفساق، فكانت بدايات النكدِ والشقاء لها ولأسرتها وللمجتمع من حولها.

أيها الأولياء.. أباءً كنتم أو أمهاتٍ أو إخوانًا أو أخوات. هل تأكدتم من ذهاب الطالبة إلى المدرسة ومجيئها عن طريق النقل الرسمي، أو عن طريقكم؟ أم خاطرتم بذهابها على رجليها.. ولا تدرون ما يحدث لها؟ هل تنبهتم للمكالمات الهاتفية المثيرة من الفتيات، وهل احتطتم في مكان الهاتف.. وأكدتم على عدم استخدامه إلا للضرورة وفي مكان بارز.. وليس في غرفة مختصة؟ هل تسامحتم في مذاكرة الطالبة مع زميلتها.. ثم لا تعلمون ما يحدث في هذه المذاكرة؟ هل نتعاون جميعًا في معرفة من يدورون حول المدارس وبلغنا الجهات الرسمية بهم أو برقم سياراتهم.. إنها فتن يشيب لهولها الولدان.. وفضائح إذا ما وقعت -لا قدر الله- طأطأت رؤوس الرجال، وتسري الفتن لتعم الظالم وغيره، وصدق الله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين. . وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين. . اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين.

إخوة الإيمان! حين نذكر مظاهر سلبية فللحذر منها. . وحين نومئ إلى نماذج فاسدة فلا يعني أنها شاملة. . ولا يزال في الناس خير. ، فتيانًا كانوا أم فتيات. . أولياء. . أو معلمين أو معلمات.

ولكن الظاهرة إذا بدأت فلم تعالج سريعًا ولم يتنبه الناس لمخاطرها. . اتسعت رقعتها وكثُرُ أعداد المتضررين بها، وصعب علاجُها، وبعض الناس يخلطون بين الثقة والاحتياط، فالثقة أصل والاحتياط مطلوب. . وبعض الناس لديهم ثقة زائدة. . وإن شئت فقل سطحية وإهمال، وقد تجري الأمور على غير ما يريدون وهم في غفلتهم وثقتهم يترددون. . فالتربية أمانة والمسئولية كبيرة، والوقاية خير من العلاج، والسعيد من وعظ بغيره، ومن عوفي فليحمد الله، ومن ابتلي فليستعن بالله وليسارع بالعلاج.

أيتها المعلمات. . وقبل أن تذبل الزهرةُ، عليكن كفل كبير من المسؤولية - فتداول الصور، أو أرقام الهواتف، أو الأشرطة الماجنة -أو الرسائل المثيرة، أو غير ذلك من ممنوعات. . لا بد من مراقبة الطالبات وأخذهن بالحزم. . ولابد من جولات تفتيشية مفاجئة أحيانًا. . ولابد من تكثيف المراقبة أيام الامتحانات خصوصًا. ولا بد من كلمات مضيئة تحذر من صديق أو صديقات السوء. . وتكشف لهن المخاطر المترتبة على ذلك مستقبلًا، ولابد من التحذير من سماعة الهاتف لغير حاجة، ومثل ذلك يُقال للمعلمين أو أزيد فحركة الشباب أكثر، وأبعدُ للريب من حركة الفتيات.

أيها المسلمون.. إنما أطلت في هذه الظاهرة لكثرة ما حدثت أو قرأت عن هذه الظواهر.. وكم حذر الخيرون من هذه المظاهر ورغبوا في التحذير عنها.. فلننتبه جميعًا.. ولنكن يدًا واحدةً في محاصرة الفساد والتضييق على المفسدين.. ولنتعاون مع الجهات الرسمية في المتابعة والعلاج، فالله أمر بالتعاون على البرِّ والتقى ونهانا عن التعاون على الإثم والعدوان..

الملحوظة السابعة: بعض البيوت مبتلاة بوجود عدد من وسائل الفساد عبر قناة مثيرة.. أو مجلة ساقطة -أو شريط ماجن- والعجب إنك تراهم يدركون خطر هذه الوسائل على الأبناء والبنات أيام الامتحانات، فيغلقون ما يغلقون منها، ويمنعون الأبناء والبنات من تداولها.. وحجتهم في ذلك حتى لا تؤثر هذه وتلك عن مذاكرتهم وتحصيلهم ونتائج امتحاناتهم، وهذا أمر يوافقون عليهم، ولكن السؤال المهم كيف يقتنع هؤلاء بضررها عليهم في أيام الامتحانات فقط؟ أوليس التأثير على المعتقد والدين والخلق أولى بالعناية وأحوج إلى الاستمرار.. هل نسينا أنهم قد ينجحون في امتحان الدنيا.. ولكنهم معرضون للإخفاق في الامتحان الأكبر.. ما حجتُك أيها الولي إذا وقفت بين يدي الله وأنت مدرك لأضرار هذه الوسائل الهادمة ولكنك اكتفيت بوقايتهم منها لغرضٍ زائل من أغراض الدنيا.. وأهملت وقايتهم منها في سائر الأيام، فلوثت فكرهم، وخدشت حياءهم، وجعلتهم كالأيتام على موائد اللئام.. ثم أنت بعدُ ترجو برَّهم وصلاحهم؟ إنها مسؤولية سترد على الله مسؤولًا عنها فأعد للسؤال جوابًا صوابًا.

الملحوظة الثامنة: ويحدث عند بعض الطلاب والطالبات فصام نكد بين المفاهيم التربوية التي تعلموها، وبين الواقع السلوكي الذي يمارسونه.. فقد ربوا طويلًا على الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك،

وربوا على أن العبادة مفهوم شامل لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال.. وربوا على المراقبة الدائمة للّه.. وعلى التوكل عليه، والخوف منه.. إلى غير ذلك من مفاهيم جليلة.. ولكن أين هذا مثلًا من ظاهرة الغش في الامتحان وبعض الطلبة قد لا يمنعهم من مزاولتها إلا عدم القدرة عليها. فإذا وجد فرصة سارع إليها، وأين هذه المفاهيم من مقارفة بعض السلوكيات الخاطئة وترك الواجبات.. وفعل المحرمات..

إن هذه المفاهيم وغيرها لا يُراد منها التلقين والأداء في الامتحان، وإنما القصدُ بناء شخصية الطالب عليها داخل المدرسة وخارجها وفي أيام الامتحانات وغيرها.

وإذا ما نجحنا في التوفيق بين ما يحصله الطالب والطالبة من معلومات وبين التطبيق السلوكي لها.. فذلك المؤشر الحقيقي لنجاح العملية التربوية.. وإلا فلنبحث عن الخلل حيث يكون ولنسارع بالعلاج.

الملحوظة التاسعة: ووصيتي إليكم معاشر الطلبة والطالبات ألا يبدأ الاستذكار عندكم أيام الامتحانات فقط، فهذه مع كونها سببًا للقلق، فالمحصلة العلمية فيها قليلة، والعلمُ ليس ثقلًا يرمى في ورقة الإجابة ثم ينسى، بل هو رصيد يستحق العناية والحفظ..

أما أنتم معاشر الأولياء فلا يسوغ لكم إهمال أبنائكم وبناتكم طوال العام، فإذا خرجت النتيجة على غير ما تشتهون كانت المخاصمة والسبابُ لإدارة المدرسة ومعلميها.

الملحوظة العاشرة والأخيرة: -وهي أهمها- وهي موجهة للممتَحَنين وللممتحِنين بل لنا جميعًا.. فليت هذه الامتحانات الصغرى تذكرنا بالامتحان الأكبر، وهناك لا فرصة للمحاولة بعد الفشل، ولا محيص للغش والتدليس، لا

واسطة ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولًا ، النجاحُ هناك إلى الأبد، والمستقر في جنات ونهر ما دامت السموات والأرض، والعطاء غير مجذوذ، والنعيم لا يوصف، والسعادة لا تحد. . أما الخسران فخلود في النار إلى الأبد. . النهاية إلى الهاوية حيث الزفيرُ والشهيق والزقوم ومقامع الحديد، ولك أن تتصور هذا المشهد والجلود كلما نضجت أبدلوا غيرها ليستمر الإحساس بالعذاب، فماذا أعددنا لهذا الامتحان

الصعب. . وليختر كلّ منا لنفسه إحدى المنزلتين. . ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].



(١) سورة الكهف، آية: ٤٩.

المحاسبة على مستوى المجتمع والأمة[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3].

أيها المسلمون! مع في دورة الأفلاك، وتعاقب الليل والنهار وانصرام الشهر، ومجيء العام بعد العام، ومع تذكر الموت واستحضار الحشر والمعاد.. لا بد من المحاسبة اليوم.. لأنه لا مفرَّ من المُساءلة غدًا، فالقرآن مذكر للأمة، لكن

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١٢/ ٤/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

سيسألون عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[1]، والسؤال شامل لمن أرسل إليهم والمرسلين: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2].

وإذا كان الصادقون يسألون، فما الظنُّ بمن دونهم؟ ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3].

وإذا لم تُنس الموءودة بالسؤال وهي لا تملك من أمرها شيئًا، فكيف سيكون السؤال لمن وأدها. ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[4].

لابد من المساءلة يا عباد الله عن النقير، والقطمير، ولابد من المجازاة على العمل ولو كان مثقال ذرة، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، حتى ولو كانت ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[5].

عباد الله! إذا سبق الحديث عن المحاسبة للنفس على مستوى الفرد، فثمة حساب ينبغي أن نعيه على حساب المجتمع والأمة. وإذا أعطى الله قومًا نعمةً حاسبهم علي شكرها أو كفرها.

ومن أعظم النعم في مجتمع المسلمين نعمة اجتماع الكلمة، والألفة والمحبة، والقيام بحقوق الأخوة الإسلامية. هذه نعمة يُذكَّرُ بها المؤمنون، ويذكرون بما يُضادُّها من الفرقة والشحناء والبغضاء، وهذه النعمة أساسُها التقوى وعمادها

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٤٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٨.

(٤) سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩.

(٥) سورة لقمان، آية: ١٦.

الاعتصام بالكتاب والسنة، كما قال جلَّ من قائل عليمًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

وهذه النعمة لا يستطيع البشر أن يوفروها لأنفسهم مهما أوتوا من العلم، ومهما بلغت بهم الحضارة، إذا كانوا بمنأى عن تعاليم السماء، وهم عاجزون عن جلبها بأغراض الدنيا ولو أنفقوا في ذلك ما أنفقوا، إنها منحة إلهية وكفى ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

تُرى كم يخسر المسلمون وهم يُفرطون في هذه النعمة الكبرى، حين تنشأ في صفوفهم الإحن، وتسود القطيعة، وتتسع دائرة الخلاف والفرقة، وكم تضعف المجتمعات المسلمة من قوتها حين يُساء الجوار، ويُتنابز بالألقاب، كم تهدر من طاقة وتهدُّ أركان بالحق قائمة، وتشل قوى متربصة، ويختلط النفاق بالإيمان، ويغيب الحقُّ أو يكاد، وتظلل الرؤية أصواتُ المبطلين، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

أيها المسلمون! لا بد أن نحاسب أنفسنا على نعمة الأخوة واجتماع الكلمة حتى لا تتقطع أوصالنا، وتذهب ريحنا، ونكون محل شماتة الأعداء وفساد في ديننا، لا

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٣.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٥٣.

بد من معرفة الداء ولابد من الدواء، وابدأ بنفسك أيها المسلم فعالج ما تجد فيها من بُغض أو نُفرة أو حقد أو حسد لأي من إخوانك المسلمين دون سبب مشروع.

إخوة الإسلام! المسلمون أمة واحد، وقوة ضاربة في أعماق الزمن، لا يدانيهم في ذلك أمة من الأمم، كيف لا؟ والمسلمون مهما تباعدت ديارهم، واختلفت ألسنتهم وألوانهم، ومهما علت أو قلّت مراتبهم يلتقون تحت شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وتمتد مسيرة الأمة الواحدة في أعماق الزمن لتشمل جموع المؤمنين من أتباع الأنبياء والمرسلين منذ بُعث أول نبي وحتى ختِمت الرسالات بمحمدٍ ﷺ، كذلك أراد الله لنا، وكذلك قص القرآن علينا: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾(١)، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾(٢). فهل يدرك المسلمون سرَّ هذه القوة، هذه الأمة أمة عقيدة ودعوة.. عقيدة صادقة صافية تعتز بها، ودعوة إلى الخير يتشرف كلٌّ من انضوى تحت لوائها ومع خيرية الأمم السابقة، فأمة محمد ﷺ خيرها على الإطلاق.. ولكن هذه الخيرية مشروطة بعدة أمور، ومن أبرزها القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٣).

وهذه الخيرية مسؤولية ونعمة أخرى لا بد أن يحاسب المسلمون أنفسهم عليها،

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٢.
(٢) سورة المؤمنون، آية: ٥٢.
(٣) سورة آل عمران، آية ١١٠.

هل قاموا بواجبها، ما العقبات التي تعترض سبيلها، ما أنسب الوسائل والطرق لتحقيقها.

إن أمم الأرض كلَّها تنتظر من المسلمين أن يفيئوا عليهم من هذه الخيرية، وقد لجَّت بهم المذاهب والأفكار والنحل الباطلة فهل يقود المسلمون زمام السفينة وينقذوا أهلها من الغرق المحتمل بين عشية أو ضحاها. تلك -وربي- مسؤولية وتبعة، وسوف يسأل عنها المسلمون.

أيها المؤمنون! مع خيرية أمة الإسلام فهي أمة وسط وهي شاهدة يوم القيامة على الأمم الأخرى.. يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]. والوسط هنا - كما قال أهلُ التفسير[2] الخيار والأجود، ووسطيتها تشمل المنهج والسلوك، فقد خصها اللهُ بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، فلا رهبانية في الإسلام، ولا حرج في الدين ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[3].

أيها المسلمون! إن من الخزي والعار أن تشهد الأمم الكافرة في الدنيا على أمة الإسلام بالضعف والتفكك والتبعية، وكيف لأمة مغلوبة، ومهزومة نفسيًّا أن تقود ركب الأمم؟ وهذه الانهزامية ليست من طبيعة منهجها، وهذا التفكك والضعف ليس من سمات تاريخها..

فلقد ملكنا هذه الدنيا قرونًا وأخضعها جدودٌ خالدونا

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٣.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٥.
(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

وسطرنا صحائف من ضياءٍ فما نسي الزمان ولا نسينا

عباد الله! هذه المعالم الثلاثة: الأخوةُ الإسلامية، وخيرية هذه الأمة بعقيدتها ودعوتها، ووسطيتها بمنهجها، مُسَلَّمات لا بد أن تحاسب الأمة نفسها عليها بين الفينة والأخرى، ولئن أصابها شيءٌ من الضمور أحيانًا، أو تخلف أثرها في الواقع، أو قصر المسلمون في الوصول إلى مستواها حينًا من الدهر، فينبغي أن تكون حقائق مستقرة في الأذهان، وهدفًا يُسعى إلى تحقيقه في واقع الحياة، ومما يُسلِّي ويسرِّي أن الأمة المسلمة تمر أحيانًا بمراحل ضعف، لكنها لا تلبث أن تفيء إلى دينها، وتجدد ما اندثر من حضارتها، وتسدد ما أصابه الخللُ من قيمها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

نفعني الله وإياكم.

***

(١) سورة الحج، الآيات: ٣٩- ٤١.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بعثه الله بالحنيفية السمحة ليتمم مكارم الأخلاق فكانت بعثته رحمةً للعالمين، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين.

إخوة الإسلام! من الأمور التي ينبغي للمجتمع المسلم أن يحاسب نفسه عليها، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، إذ إن الإسلام أمر بجملة من الأخلاق الفاضلة ورتب الجزاء لها، ونهى عن جملة من الأخلاق السيئة وشرع العقوبة عليها، ووضع الحدود لمرتكبيها، ويظن بعض الناس ظنًّا خاطئًا أن آثار الخلق الحسن لا يستفيد منها غير صاحبها، وأن شؤم المعصية لا تمتد إلى المجتمع، وآثار الخلق المشين لا يتضرر منها المجتمع من حوله، صحيح أن هناك مسؤولية فردية فكل نفس بما كسبت رهينة، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[(١)]. ولكن المسؤولية الجماعية تُعد امتدادًا للمسؤولية الذاتية فحينما نسأل عن أعمال غيرنا إنما نسأل عن انعكاسات مواقفنا الإيجابية أو السلبية، ولولا ذلك لما قام سوقُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما مُيزت به هذه الأمة عن غيرها من الأمم وأُمرت به ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)]. ولولاه لما قام واجبُ الإصلاح بين أفراد المجتمع وجاء الأمر به بعد التقوى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

والإصلاح من صفات المؤمنين ومن لوازم الأخوة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾(١).

وتأملوا وقفة ابن العربي -يرحمه الله- حول تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وما فيها من إشارة وفهم للمسؤولية الفردية والجماعية يقول رحمه الله: «هذا حكمٌ من الله تعالى نافذٌ في الدنيا والآخرة وهو ألا يُؤاخذ أحدٌ بجرم أحدٍ، بيد أنه يتعلق ببعض الناس من بعض أحكام في مصالح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» . . إلى أن يقول: «والأصلح في ذلك كله أن المرء كما يُفترض عليه أن يُصلح نفسه باكتساب الخير، فواجب عليه أن يصلح غيره بالأمر به، والدعاء إليه، والحمل عليه، وهذه فائدة الصحبة، وثمرة المعاشرة، وبركة المخالطة، وحسن المجاورة، فإن أحسن في ذلك كله كان معافًى في الدنيا والآخرة، وإن قصَّر في ذلك كلِّه كان معاقبًا في الدنيا والآخرة، فعليه أولًا إصلاح أهله وولده، ثم إصلاح خليطه وجاره، ثم سائر الناس بعده بما بيناه من أمرهم ودعائهم وحملهم، فإن فعلوا وإلا استعان بالخليفة لله في الأرض عليهم، فهو يحملهم على ذلك قسرًا»، (ثم يقول): «ومتى أغفل الخلقُ هذا فسدت المصالح وتشتت الأمر، واتسع الخرق، وفات الترقيع، وانتشر التدمير»(٢).

أيها المسلمون!! خذوا على سبيل المثال لا الحصر، أمرين نهى عنهما الإسلام وحذر من آثارهما على الفرد والمجتمع، يتعلق أحدهما بحفظ الأنساب وسلامة الأعراض، ويتعلق الآخر بحفظ الأموال وصيانتها عن الحرام: الزنا، والربا. تضافرت نصوص الكتاب والسنة على تحريمهما، بما لا يخفى، ولكن السؤال

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) أحكام القرآن ٢/ ٣٠٠، المسؤولية الخلقية.. الحليبي ص ٢٤٥، ٢٤٦.

المهم: هل تتجاوز آثارُهما الفرد إلى المجتمع؟

يقول عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال أمتي بخير ما لم يَفشُ فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله ﷻ بعذاب**»(١).

وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٢).

عباد الله! لا عجب أن تكون عقوبة الزنا حارسًا يحفظ أعراض الناس من أن تمس باطلًا، ويصون ألسنتهم من أن تقول زورًا، ويقي حياتهم من أن تعيش شقاءً وتمزقًا(٣).

ولا عجب أن يُعظم الله أمرَ الربا ويُعلن الحرب على من لم ينتهوا، ففيه دمار للبلاد والعباد، وفيه ظلم للمحاويج والفقراء، وبه تورم وهمي وتكثر ظاهري للأغنياء.. لكن عاقبته إلى قلةٍ كما أخبر المصطفى ﷺ، وكفى بإعلان الحرب من الله على مرتكبيه إثمًا مبينًا، وهل يرغب مسلم أن يخرج من دائرة الإيمان بسبب الربا، قفوا عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾(٤).

أيها المسلمون! كذلك ينبغي أن يحاسب المجتمع بعضه بعضًا، فيُعلِّمُ الجاهلُ،

---

(١) رواه أحمد عن أمِّ المؤمنين ميمونة رضي الله عنها ٦/ ٣٣، وحسن إسناده المنذري (الترغيب والترهيب) ٣/ ١٩٤.

(٢) المستدرك ٢/ ٣٧.

(٣) أثر تطبيق الحدود في المجتمع للشاذلي، عن المسؤولية الخلقية، للحليبي ص ٤٦٣.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨، ٢٧٩.

ويُذكِّر الناسي، ويُردع المتطاول، فسلامةُ سفينة المجتمع هدفٌ أرشد إليه الإسلام، وحذّر المصطفى ﷺ من آثاره السلبية وترك الأمر والنهي كما في حديث القوم الذين استهموا السفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، ولو ترك الجاهلون يخرقون السفينة من أسفلها لهلكوا وأهلكوا من فوقهم.. ألا فلنحافظ جميعًا على أمن وسلامة مجتمعنا، ولنكن أوفياء لأمتنا ونماذج صالحة لتعاليم ديننا، لنبادر إلى الخير بأنفسنا، ولنرغبه وندعوا إليه بالحسنى غيرنا، وننتهي عن الشر والفجور قدر طاقتنا ولنُحذِّر منه الآخرين، فذلك جزءٌ من مسؤوليتنا، وأمانة في أعناقنا ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].



(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

البيوت الوهمية(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارضَ اللهم عن آله المؤمنين وصحابته الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأما بعد: فاتقوا الله معاشر المسلمين، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا، ومن يتق الله يُكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا.

عبادَ الله! يظن بعض الناس ظنًّا خاطئًا أن الحياة الدنيا لهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر في المال والولد لا أكثر، ولئن جاء وصفها كذلك في كتاب الله فإنما جاء ذلك توهينًا لأمرها وبيانًا لحقارتها، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للمسلم، والذي يراها مزرعةً للآخرة، ويعلمُ علمَ اليقين أن عاقبتها إما إلى مغفرة ورضوان أو عذاب شديدٍ ونيران ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(٢).

وحين يُخيل لآخرين أن الحياة طيشٌ وعبث، وضياع للأوقات وانتهاك

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٣/٨/١٤١٧هـ.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٠.

للمحرمات، وزهدٌ في العبادات والطاعات.. يراها آخرون ميدانًا للتنافس في الطاعات، وسُلَّمًا للجنان وأعالي الدرجات يراها العالِمون العبودية الحقة لربِّ العالمين، وقد جاءهم من ربهم اليقين ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليُقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا، وهذا اختيارُ ابن جرير رحمه الله[٢].

كما ورد في بعض الكتب الإلهية يقول الله تعالى: «**ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفَّلتُ برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كلَّ شيء، وإن فِتك فاتك كلّ شيء، وأنا أحب إليك من كلِّ شيء**»[٣].

أيها المسلمون! يتسعُ مفهوم العبادة في الإسلام ليشمل أمور الدنيا والآخرة، ويدخل فيها مع حسن القصد والنية رعاية الأهل والولد، والبحث عن الأسباب المشروعة للرزق، وفي شريعة الإسلام يُسأل العبدُ عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه..[٤].

وليس للمسلم أن يُطلق لعينيه النظر كيف يشاء، ولا لأذنيه السمع كيفما اتفق، فكل أولئك كان عنه مسؤولًا.

عباد الله! نُذكر بهذا تنبيهًا وتحذيرًا من ظاهرة بدأت تسري في المجتمع، وانساق لها عدد من الشباب والرجال، تُهلك بها الأوقات، وتضيع فيها الحقوق والواجبات، ويغيب فيها القيِّمون على الأهل والأبناء والبنات. حديث اليوم عن

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣٨٦.
(٣) السابق ٤/٣٨٧.
(٤) حديث حسن رواه الترمذي، صحيح الجامع ٦/١٤٨.

البيوت الوهمية لبعض الناس وعن العزلة عن الأهل والعشيرة -إنه حديث عن الجلسات المطوّلة في الأحواش وتحذير عن طول المكوث والسهر بلا فائدة في الاستراحات.

إنها ظاهرة تستحق الوقفة والعلاج حين يُسرف فيها المسرفون، وتكون سلوكًا مستديمًا يحجب الزوج عن أهله وأولاده، أو يغيب فيها الابن طويلًا عن بيته وأبويه وإخوانه، أو تشلُّ الموظف عن إتمام عمله، أو تعيق المعلم عن الوفاء بمتطلبات وظيفته، أو تقطع المتسبب عن البحث عن مواطن رزقه أو تكون على الأقل مادةً للاجتماع على أمورٍ محرمة، إن الحديث موجه لأولئك الذين يقضون معظم أوقاتهم في هذه الاستراحات وبشكل مستديم دونما فائدة، ولا يعني الحديث أولئك الذين ربما خرجوا للاستجمام والنزهة أحيانًا، أو مصطحبين معهم أهليهم وأولادهم لمامًا وفي مناسبات معينة.

أيها المسلمون! كم ضاعت أسرٌ حين غاب عنها القيِّمون وما ظنكم ببيت يغيب عنه الولي شطرًا من النهار، وزلفًا من الليل وإلى ساعاتٍ متأخرة في الليل.. أين القوامة وأين الشعور بالمسؤولية.. وهل يظن أولئك المفرطون أن البيوت مشتملة على قطعانٍ من المواشي والأنعام، ليس لها إلا أن يُوفر لها الماء والمرعى؟ كلا فالمسؤولية عظيمة ودور الرجل في البيت لا يُعوض، وكيف يطيب طول المكوث والأُنس بعيدًا عن الأهل والوالد والولد، ولو قُدر عليهم حادثٌ لضاقت بهم المهاجر.. وهل ترضى أيها العاقلُ الحرُّ الكريم أن يقضي الناس حوائج أهلك وأنت في سهر ولهو ولعب؟ وأسوأ من هذا لو وقع انحراف في بيتك لا قدر الله -نظرًا لطول غيبتك وضعفِ رقابتك- فهل ترى غيرك مسؤولًا أمام الله عنها؟

إننا كثيرًا ما نتحدث عن فساد الزمان وضياع الشباب، وانحراف الفتيات،

ونجيد في إلقاء اللوم على غيرنا، وننسى أننا نُسهم أحيانًا في هذا الفساد والضياع بضعف أدوارنا في بيوتنا وبين أبنائنا وأهلينا وعشيرتنا، وهل يستطيع العدو أن يخترق البيوت المحصَّنة؟

عباد الله! المسلم مسؤول أمام الله عن ضياع الأوقات بلا فائدة، فليس الوقت عبئًا ثقيلًا يلقيه المرءُ عن كاهله كيفما اتفق بل هو في حسِّ المسلم مزرعة للآخرة.. وطريق موصل إلى الجنة أو النار، ويرحم الله أقوامًا كانوا ولا زالوا يشحُّون بأوقاتهم أكثر من شحِّ أحدنا بماله، فلا يضيعونها بدون فائدة.

وكيف يطيب لك يا أخا الإسلام أن تضيع زهرة شبابك أو دهرًا من عمرك فيما لا يعود بالأثر الحميد عليك وعلى مجتمعك وأمتك.. وإذا لم تستطع أن تسهم في حلِّ مشكلات إخوانك المسلمين فلا تكن على الأقل يدًا شلاء تُعيق المجتمع عن النهوض وبلوغ المبتغى من أمور الدين والدنيا..

وهل بلغ بك تبلدُ الإحساس وعدم الشعور بالمسؤولية إلى درجةٍ استطاع الأعداءُ فيها أن يشغلوك بسفاسف الأمور عن أوضاع أمتك؟

إخوة الإسلام! إنني أربأ بكم عن ضياع أوقاتكم سدى، سواء في هذه البيوت الوهمية أو في بيوتكم الحقيقية.. لكنني سائلكم عن رأيكم في هذا الموظف الذي أمضى سحابة ليلة ساهرًا أترونه يأتي لعمله مبكرًا، وإن كان فما نوع المعاملة التي سيتعامل بها مع مراجعيه؟ إنها مزيج من مدافعةِ السهر والإعياء، يرافقها ضيق في النفس وتقصير في الأداء، وتعطيل لمصالح الناس، وانشغال الفكر بأحاديث الصحبة وبرامج السهرة؟

وما ظنكم بالمعلم الذي اتخذ له من هذه البيوت الوهمية سكنًا أترونه يأتي للدرس مُحضرًا، وللطلبة موجهًا مربيًا، أم ترونه كسولًا مهملًا، يتوارى من القوم

من سوء ما صنع، يضيق ذرعًا بالطالب النجيب يسأله وبالحائر المتردد يتطلع إلى توجيهه، وضيقُه أشد مع المسؤول حين يكلفه بنوع من النشاط يسهمُ في تربية الجيل ويوسع مداركه ويعمق وعيه بقضايا أمته، والواجبات التي تنتظره.

أيها المسلمون! ثمة ملحظ اقتصادي يخطئ فيها البعض منا وهو لا يشعر، وكم رأيت شابًا صعلوكًا لا يملك منزلًا يأوي به نفسه ويستر به أولاده. ولكنك تراه ينفق في الاستراحة كلَّ ما جمع ويظل يكدُّ ويكدحُ وتستوعب الاستراحة كلَّ ما جمع، وتنتهي مهمة هذه الاستراحةِ عند اجتماع الخلِّ والأصحاب بها، والسهر واللعب داخل أسوارها.. ويبقى الأهلُ والولد في مكانٍ ضيق، والمسكين يدفع الأجرة لمن أجر.. وهكذا يُصرف المالُ دون مواربة.. ولا غرو أن يضيع المال إذا ضاعت الأوقات، وماتت الهمم. وما لجرح بميت إيلام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا﴾[1].

❊ ❊ ❊

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٧٢- ٧٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وفَّق من شاء لطاعته باغتنام الأوقات والمسارعة للخيرات، أحمده تعالى وأشكره وهو أهل للحمد والثناء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

إخوة الإسلام! إذا كان التحذيرُ عن مجرد إضاعةِ الأوقات والتقصير في أداء الواجبات في هذه الأحواش والاستراحات فالأمرُ أعظم وأخطر حين يصاحبها المنكرات، ويكون الاجتماع على المحرمات من سماعٍ للغنى، أو مشاهدة لأفلام العُهر والخنا، أو شرب ما حرم الله أو مقارفة للفساد بأي لون من ألوان الفساد، وإن لم يكن هذا ولا ذاك لم تسلم هذه الاجتماعات المطوَّلة من غيبة أو نميمة تُنتهك بها الأعراض، وتحمل على الظهور الأوزار.. وكم هو عزيز أن يكون القرآنُ وسنةُ المصطفى ﷺ والقراءة في كتب السلف وسير الصالحين، مادةً لهذه الاجتماعات وغيرها فتحف بالمكان الملائكة وتغشى المجتمعين السكينة وبذكرهم لله يذكرهم في الملأ عنده.. وكم هو عظيم أن تكون اجتماعاتنا تعاونًا على البرِّ والتقوى كما أمر بذلك ربُّنا لا تعاونًا على الإثم والعدوان وهو محذورٌ في ديننا.

عباد الله! ما أتعس حياة الساهرين إذا كان السهر سبيلًا لقطعهم عن شهود الصلاة مع المسلمين، وهل ترضى يا أخا الإسلام أن تحشر نفسك في زمرة المنافقين، والرسول ﷺ يقول: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوًا**».

وما أنكد حياة الخِلاَّن إذا كانت على الفسق والفجور، ومثلك خبير بلعن

بعضهم بعضًا، وهذا جزاء مقدم في الدنيا، أما في الأخرى فتذكر جيدًا قول ربِّنا ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١).

يا أخا الإيمان! إني مذكرك ونفسي برقابة الله إن كنت ممن يستترون بهذه البيوت الوهمية أو غيرها عن أعين الخلق ليمارسوا ما شاءوا من الفواحش والآثام -بعيدًا عن الرقيب في ظنِّهم، ورقابة الله فوق كلِّ رقابة، وهو الذي يعلم السرَّ وأخفى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢).

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب

يا أخا الإيمان! أتُراك بعد هذا محتاجًا للفتوى في حكم الانعزال بهذه الاستراحات التي تزاول فيها المنكرات؟ استفت قلبك والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس، وإن أصررت على سماع الفتوى فهاك السؤال مقرونًا بالإجابة الشافية من فضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: وقد سئل: فضيلة الشيخ الوالد محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: كثرت في الآونة الأخيرة ظاهرة الجلوس في الأحواش والاستراحات والسهر بها لأوقات طويلة ويكون بعض هذه الاجتماعات على أمورٍ مفسدة كالاجتماع على الدخان والشيشة ورؤية السيئ في القنوات الفضائية عبر جهاز الاستقبال (الدّش) فما حكم ذلك؟ وإذا كان يغلب على ظن صاحب الملكِ (المؤجِّر) أن استخدام حوشِه أو استراحته سيكون لهذه الأغراض السابق ذكرُها أو أن تكون وسيلةً لتجمعات بعض المراهقين فيها فهل يجوز له تأجيرُها. نرجو من فضيلتكم الإجابة والتوجيه مشكورين.

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٦٧.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٧.

فأجاب فضيلته فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته:

أولًا: ننصح إخواننا المسلمين عن طول السهر فيما ليس مصلحة دينية أو دنيوية، سواءٌ في هذه الاستراحات أو في بيوتهم؛ لأن من هدي النبي ﷺ أنه كان يكره النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها، ولأن طول السهر يفضي إلى النوم عن قيام الليل لمن كان له حظٌّ من قيام الليل، ويفضي إلى ثقل صلاة الفجر، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا**».

ولأن طول السهر في الليل يُفضي إلى أن ينامَ الإنسان في النهارَ طويلًا، ويقابل كدحه وعمله بفتور، ومن المعلوم عند جميع الناس أن نوم الليل أصحُّ وأقومُ للبدن؛ لأن الليل محل السكون والنهار وقت المعاش، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[3].

ثانيًا: الاجتماع على أمور مُفسدة كالاجتماع على الدخان والشيشة وما يسمع من الأغاني الماجنة أو يشاهد من المرئيات السافلة التي تثير كوامن الشهوات وتدعو إلى الفتنة والمنكرات اجتماع محرمٌ، سواء كان في الأحواش والاستراحات أو البيوت.

(١) سورة يونس، آية: ٦٧.
(٢) سورة القصص، آية: ٧٣.
(٣) سورة النبأ، الآيتان، ١٠، ١١.

وتأجير الأحواش والاستراحات على من يُظن منه الجلوس فيها على هذه المنكرات تأجير محرم وأخذ الأجرةِ على ذلك حرام؛ لأنه أجرة على محرم، وأجرةُ المحرم حرامٌ وإعانة على الإثم والعدوان، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى المتناهين عن الإثم والعدوان، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين[2].

يا أخا الإسلام! إياك أن يتلاعب بك الشيطان فتقول: أنا لا أجتمع وأسهر في هذه البيوت الوهمية، إذ أوفر جهاز الدّش في بيتي وأتحكم فيما يُبث فيه بنفسي، وتلك مخادعة للنفس، ونقل للمصيبة في البيت، وغشّ للرعية التي استرعاك الله إياها من النساء والذرية، وهاك الفتوى الأخرى صريحةً وموقظةً لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد، وذلك في سياق حديث الشيخ (محمد) عن الدشوش وحكمها.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: هذا مقطع من خطبة فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، في التحذير من البث المباشر (الدش) وذلك في الخطبة الثانية من يوم الجمعة ٢٥/ ٣/ ١٤١٧هـ.

قال النبي ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[3]، وهذه الرعاية تشل الرعاية الكبرى الواسعة والرعاية

---

(١) سورة المائدة، آية: ٢.

(٢) كتبه محمد الصالح العثيمين في ١٠/٦/١٤١٧هـ.

(٣) حديث صحيح.

الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله لقول النبي ﷺ: «**الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته**».

وعلى هذا فمن مات وقد خلّف في بيته شيئًا من صحون الاستقبال (الدشوش) فإنه قد مات وهو غاش لرعيته وسوف يُحرم من الجنة كما جاء في الحديث. ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا (الدش) الذي ركّبه الإنسان قبل موته، فإن عليه وزرها بعد موته وإن طال الزمن وكثُرت المعاصي. فاحذر أخي المسلم، احذر أن تُخلّف بعدك ما يكون إثمًا عليك في قبرك. وما كان عندك من هذه (الدشوش) فإن الواجب عليك أن تُكسِّره و(تحطمه) لأنه لا يمكن الانتفاع به إلا على وجه محرم غالبًا، لا يمكن بيعه لأنك إذا بعته سلّطت المشتري على استعماله في معصية الله، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان، وكذلك إن وهبته فأنت معين على الإثم والعدوان. ولا طريق للتوبة من ذلك قبل الموت إلا بتكسير هذه الآلة (الدش). التي حصل فيها من الشر والبلاء، ما هو معلوم اليوم للعام والخاص. احذر يا أخي أن يفجأك الموت وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة، احذر.. احذر.. احذر. فإن إثمها ستبوء به وسوف يجري عليك بعد موتك. نسأل الله السلامة والعافية. وأن يهدينا وإخواننا المسلمين صراطه المستقيم، وأن يتولانا بعنايته، وأن يحفظنا من الزلل برعايته، إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين[1].

أيها الآباء، أيها الأولياء الفضلاء! إني أُجلُّكم عن ضياع أوقاتكم في هذه

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم، هذا المكتوب حول الدشوش جزء من الخطبة الثانية التي ألقيناها يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ١٤١٧هـ، ولا مانع عندي من نشرها لعل الله تعالى أن ينفع بها. كتبه محمد الصالح العثيمين في ٢٨/ ٣/ ١٤١٧هـ.

البيوت الوهمية، وأترفع بكل عاقلٍ عن إضاعة الدين والدنيا في هذه الأحواش والاستراحات، ولكني أنبهكم ناصحًا مشفقًا على أبنائكم وإخوانكم الشباب فهل تأملتم في غيابهم حين يغيبون وهل تعرَّفتم على أصدقائهم حين يروحون ويجيئون.. إننا نخشى أن تكون بعض هذه الاستراحات والأحواش مصيدة للشباب، بها يَفسدون ويُفسدون، ومن خلالها يبدأ خط الانحراف الخُلقي في غياب من الموجه والرقيب، فتنبهوا رحمكم الله لمكمن الخطر، وصلوهم بالرفقة الصالحة التي تعينكم على تربيتهم، ورغبوهم في حِلق التحفيظ، ومجالس العلماء، شاركوا رجالات الأمن والحسبة مسؤوليتهم في الرقابة وكشف أوكار الفساد أنَّى كانت وفي هذه الاستراحات أو غيرها، فالأمرُ جدُّ خطير، والمسؤولية عظيمة، وقد سمعتم أثر التهاون بها.

وبعد إخوة الإيمان فهذا نداءٌ أخوي أوجهه للمبتلين بالجلوس طويلًا في هذه الاستراحات أذكرهم فيه برقابة الله أولًا فيما يعملون أو يدعون، وأذكرهم -إن كانوا متزوجين- بشكاوى نسائهم، وحنين أطفالهم وحاجة أبنائهم وبناتهم إلى توجيههم حين يمسون وحين يصبحون.

وإن كانوا شبابًا عزبًا فبالبرِّ بوالديهم، وحفظ أوقاتهم، والاستعداد لمستقبل حياتهم.. أنصح الجميع بعدم الإسراف في المكوث في هذه البيوت الوهمية، والعودة إلى بيوتهم الحقيقية، فالعافية مطلب، والسلامة لا يعدلها شيء، والفضيحة -لا قدر الله- تسيء إلى البيوت الشريفة وإن كان لا بد من الجلوس فيها للأنس والراحة فليختر الرفقة، وليكن ذلك أحيانًا، وبعد التأكد من سلامتها من كلِّ ما يخدش المروءة والدين.

إنني على ثقة أن بعضًا من مرتادي هذه الاستراحات عقلاءُ في تصرفاتهم،

حريصون على دينهم، ولكنهم ربما في خضم القافلة ساروا، وإذا ذُكِّروا تذكروا وأنابوا، وفيها -كذلك- شباب أحداث غُرِّر بهم وبمشورة غيرهم انقادوا، والأمل معقود بعد الله على استجابتهم لنصح الناصحين ومشورة المربين وحنانيكم أيها الناصحون وأيها الآباء، والمربون.. حنانيكم الرفق والحكمة، ولا تنظروا لمن ابتلي على أنه عضوٌ فاسد لا يصلحُ الجسدُ إلا بقطعه.. كلا فبالكلمة الطيبة تنفتح المغاليق وبالهدية تتقارب القلوب وبالزيارة والنصيحة تُردم الفجوة.. والهداية أولًا وآخرًا بيد الله يعلم من يستحقها وهو لها أهل.. ومن هو في ضلال مبين.

اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، اللهم أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه.. اللهم احفظ علينا أمننا وإيماننا وبارك لنا في أعمارنا وتقبل أعمالنا.



عِبَرٌ من قصصِ السابقين
(١) المهاجر الطيار[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أوصي نفسي وإياكم معاشر المسلمين بتقوى الله، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب.. ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا.

إخوة الإيمان! يروعك في قصص السابقين الأولين من المسلمين.. الصدق في إيمان أصحابها.. وعلوّ الهمم في حياتهم، والتضحية بالغالي والرخيص في سبيل نُصرة هذا الدين.

وبين أيدينا اليوم أنموذج فذّ.. انخرط في سلك المؤمنين وهو بعدُ في ريعان الشباب، فعاش في مكة ظروف الدعوة الصعبة في أيامها الأولى ثم كانت الهجرة الأولى في الإسلام.. فكان في طليعة المهاجرين.. وأي غم بعد الشقة. وآلام الغربة.. فقد أمضى المهاجر الشهيدُ الطيار أربعة عشر عامًا في بلاد الحبشة.. أي ما يؤيد على ثلث عمره رضي الله عنه وأرضاه.. أو ما يقرب من نصف عمره على

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١/ ١١/ ١٤١٨هـ.

القول بأنه استشهد يوم أن استشهد في مؤته وعمره ثلاث وثلاثون سنة[1]، عرفته بلاد الحبشة مهاجرًا دائمًا.. وعرفه الأحباش خطيبًا صادق اللهجة، قوي الحجة، داعيًا إلى الله، مدافعًا كذب الخصوم على رسول الله ﷺ.

ولِمَ يعجب المرء من قريش وقادتها وهم لا يكتفون بإخراج المؤمنين من مكة.. ويضطروهم للهجرة من ديارهم.. بل تظل مطاردتهم خارج بلادهم.. فما أن استقرَّ أصحابُ الهجرة في الحبشة حتى بعثت قريش في إثرهم وفدًا يشي بهم عند النجاشي، ويشوه صورتهم، قائلين: إن أناسًا من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك.. وقد بعثنا إلى الملك أشراف قومهم ليردوهم إليهم[2].

ولكن الأعجب من ذلك موقف المؤمنين وثباتهم، وقناعتهم ودفاعهم عن عقيدتهم، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه خطيبهم.. فلا يتلعثم ولا يتردد في شرح مفاهيم الدين الحق، ووصف الرسول المبعوث بالحق -حتى إذا أكمل جعفر حديثه لم يتمالك النجاشي نفسه من إظهار الإعجاب بحديثه، والاعتراف بصدق مقولته.

وحين نجح المسلمون.. بقيادة -جعفر رضي الله عنه- في هذا الامتحان الصعب.. فثمة موقف أصعب.. وعمرو بن العاص داهية العرب، ومبعوث قريش حينها، يحاول جاهدًا إثارة الوقيعة بين الأحباش النصارى.. وبين وفد المهاجرين المسلمين في قضية عقدية، الخلاف فيها بين المسلمين والنصارى كبير جدًّا.. تلك هي: عقيدة المسلمين الحقة في المسيح عيسى ابن مريم.. وعقيدة النصارى الكافرة وعيسى ابن مريم.. كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[3].

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٣٨٣.

(٢) السيرة لابن هشام ١/ ٤١٣، الحلية ١/ ١١٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٧.

وهنا دُعي المسلمون المهاجرون للسؤال عن هذا الأمر العظيم، وبلغ بهم من الشدة والكرب ما عبروا عنه بقولهم: «ولم ينزل بنا مثلها قط»، واجتمعوا يتشاورون فيمَ يقولون؟ وتتفق الروايات كلها على صدق المسلمين في حديثهم، وثباتهم على معتقدهم رغم الظروف الصعبة، ويتفقون على القول: ونقول -والله- ما قال الله ﷻ، وما جاءنا به نبينا كائنًا في ذلك ما كان[١].

ومن يتق الله يجعل له مخرجًا.. وعجبك يشتد حين تعلمُ أن الحبشة النصرانية في معتقدها.. يُذعن قادتها للحق، ويقول النجاشي، على إثر سماعه مقولة جعفر في معتقدهم في المسيح بأنه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.. وقد أخذ عودًا من الأرض فرفعه ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، ما تريدون ما يسوؤني هذا، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى في الإنجيل، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته فأكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضؤه، ثم قال للمهاجرين: انزلوا حيث شئتم، وأمر بهدية الآخرين -من قريش- فردت عليهم ورجع وفد قريش مقبوحين[٢]. ورغم هذا النصر العظيم، ورغم الأنس بعدل النجاشي وجواره تظل الغربة عن الأهل والوطن هاجسًا للمهاجرين.. كيف لا وهم في منأى عن جوار الحبيب المصطفى ﷺ، لا يسمعون حديثه، ولا يدرون عن حاله ولا يبلغهم في حينه ما يبلغ المسلمين من تشريعات نازلة، إلا ما تتناقله الرواة بعد حين من الدهر.. ومع ذلك كله ظل جعفر صابرًا محتسبًا.. ويولد له في الحبشة عبدالله، ومحمد، وعون..[٣].

(١) السيرة لابن هشام ١/ ٤١٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٢٠٧.
(٣) الطبقات ٨/ ٢٨١.

وتظل معه زوجته الوفية (أسماء بنتُ عميس رضي الله عنها) تشاركه المهمة.. وإن كانت تُحس بآلام الغربة، ولكنها وزوجها -والمهاجرين معهما- يحتسبون ذلك عند الله وتُعبر عن ذلك صراحة في حوارها مع الفاروق عمر رضي الله عنه قائلة: كنتم مع رسول الله ﷺ يُطعم جائعكم ويعلِّم جاهلكم، وكنا في دار البعداء البغضاء وذلك في الله وفي رسوله(١).

أخوة الإسلام! حين يمتد بنا الحديث عن جوانب من حياة المهاجرين عامة، وحياة جعفر خاصة.. لا نرى أثرًا سلبيًّا للغربة في حياتهم، بل نجد حياتهم تُقضى في العبادة والدعوة.. والعلم والتعليم وكم في حياة جعفر ومن معه في الجيش من دروس موقظة وعبر تستحق الوقفة.. والفرق كبير بين جعفر في أداء مهمته في بلاد الحبشة.. وبين أعداد من شباب الأمة يذهب الذاهبُ منهم فترة من الزمن لا أقول غريبًا عن وطنه بل بعيدًا بعض الشيء عن أهله وخلانه، فيشعر بالغربة ويتطلع دائمًا للعودة.. وأنى له وهو في هذا الشعور أن ينتفع أو ينفع اللهُ به في تعليم كتاب الله، أو في الدعوة لدين الله - كما صنع جعفر والمهاجرون معه من قبلُ.

ويكفي المهاجرين فخرًا.. أن تصل دعوتهم إلى بلاط النجاشي..

وفي مجلسه كتاب الله يُتلى.. وأمر الإسلام يُعظَّم في هذه البلاد النائية والنجاشي يُعلن إسلامه.. أو يُسر به لمصلحة لا تخفى، وتظل جهودُ المهاجرين في الحبشة ثمارًا يانعة يقتات منها الأفارقة.. والأشجار التي غرسوها ذات ظلال وارفة لا يزال أهل تلك الديار وما جاورها يستظلون بظلها..

وفي جوانب العلم والتعليم تحدثنا الروايات أنهم كانوا يجتمعون في الحبشة

---

(١) متفق عليه، البخاري ٥/ ٨٠، ومسلم ٤/ ١٩٤٦.

للفائدة.. وقد رُئي جعفر ﷺ وهو بين أظهر أصحابه يُحدثهم..

أجل لا مكان للدعة.. ولا مجال للفراغ عند هؤلاء المهاجرين المجاهدين.. فإذا لم تكن الفرصة لدعوة غيرهم للإسلام فلتكن الفرصة للمهاجرين بينهم للاجتماع لتقوية إيمانهم والتواصي بينهم بالحق والصبر.

وهكذا يظل جعفر ومن معه ينتظرون إذن الرسول ﷺ لهم بالعودة.. حتى إذا وضعت الحرب أوزارها مع قريش، وكانت هدنة الحديبية مؤشرًا لضعف قريش واعترافها بقوة المسلمين التفت المسلمون بقيادة محمد ﷺ إلى تعميم الدعوة وإرساء قواعد الدولة -وهنا يحتاج المسلمون إلى كل طاقة- ولا يستغنون عن أي عنصر.. وحينها كتب الرسول ﷺ للنجاشي في طلب جعفر وأصحابه فحملهم النجاشي على سفينتين -وحين وصلوا المدينة كان المسلمون قد فتحوا خيبر- فلم يتمالك رسول الله ﷺ حينها أن يبدي سرورَه بمقدم جعفر وأصحابه وحين رآه قبّل ما بين عينيه وقال: «**لا أدري بأيهما أُسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**».

ورغم ما يمثله هذا الشعور الكريم من طيب خلقه ﷺ وحسن معاملته ومكافأته لأصحابه -فجعفر ومن معه يستحقون الحفاوة والتكريم، وقد خلفوا آثارًا طيبة في الحبشة- ويكفيهم أن غربتهم استمرت من السنة الخامسة أو السادسة للبعثة إلى أن كانت السنةُ السابعة للهجرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

❀ ❀ ❀

(١) سورة النحل، آية: ٤١.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها المسلمون! عاد جعفر من الحبشة وبلغت فرحةُ النبي ﷺ بمقدمه مبلغها، ولم يشغله عنها فرحته بفتح خيبر وكسرِ شوكة عدوٍّ لدود للمسلمين، ألا وهم اليهود.. والاستيلاء على حصونهم المنيعة.

فلماذا فرح رسول الهدى ﷺ بجعفر هذه الفرحة- ألأن جهاده ودعوته تستحق كل هذه الفرحة والتقدير؟ أم لأن صبره وطول غربته تستحق العناية والتقدير؟ أم لأنه قدم يوم قدم وقد كسرت شوكة قريش من قبل ثم تلاها كسرُ شوكة اليهود من بعد.. وبمجيء جعفر ومن معه يلتئم شمل المسلمين، ويجتمع ما تفرق منهم بسبب المطاردة والإيذاء من قبل أعداء الدين؟

وأيًّا ما كان السبب هذا أو ذاك أو لأسباب أخرى فالذي لا شك فيه أن الدرس الذي ينبغي أن نعيه هو أن جعفرًا رضي الله عنه عاد يوم أن عاد من الحبشة إلى المدينة لا ليأخذ فترة نقاهة لطول غربته، ولا ليستلذَّ بالراحة - ولو لفترة من الزمن- إثر جهاده ودعوته في أرض الحبشة.. بل عاد جعفر ليواصل الجهاد والدعوة للدين الحق مع قافلةِ المؤمنين.

فلم تمض سنة على مقدمه حتى كان أحد القادة الثلاثة في الجيش الإسلامي الذاهب لمنازلة الروم في مؤتة في السنة الثامنة للهجرة.

وفي معركة غير متكافئة في العدد والعدة وقف المسلمون وعدتهم ثلاثة آلاف

بإزاء الروم وجمعتهم يبلغ مائتي ألف مقاتل، الأمر الذي جعل المسلمين -في البداية- يتشاورون أيقدمون على قتال العدو رغم قلة عددهم وكثرة عدوهم، أم يكتبون للنبي ﷺ يخبرونه، فإما يمدهم بالرجال، أو يأمرهم بأمره.. ولكن أحدَ قادتهم شجعهما على القتال قائلًا: والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظفر وإما شهادة.

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم الجموع بقرية يُقال لها: مَشارف، فدنا العدو، وانحاز المسلمون إلى (مؤتة) فالتقى الناس عندها، ثم اقتتلوا، والراية في يد زيد بن حارثة رضي الله عنه فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخرَّ صريعًا، وأخذ الراية جعفر رضي الله عنه فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها ثم قاتل حتى قتل، فكان جعفر أولَّ من عقر فرسه في الإسلام عند القتال، ويقال إن جعفرًا حين قطعت يمينه أخذ الراية بشماله، فقطعت يساره فاحتضن الراية حتى قتل[1]، ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم نزل فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم رضي الله عنه فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجلٍ منكم -وقد استشهد الأمراءُ الثلاثة الذين عينهم رسول الله ﷺ- فقالوا: أنت لها، قال ثابتٌ: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد سيف من سيوف الله -كما قال عنه الرسول ﷺ- في هذه الغزوة فدافع القوم، وحاش بهم، ونازل الأعداء وأوقع بهم حتى ثبت أنه انكسرت في يده يومئذ تسعة أسياف، وما بقي في

(١) رواه ابن هشام بسند منقطع ٤/ ٣١، رزق الله ٥٤٥.

يده إلا صفيحة يمانية[١]، ثم انحاز بالمسلمين وانصرف الناس..[٢].

إخوة الإيمان! نعود إلى جعفر خاصة.. وليس ذلك بمقللٍ لجهود المسلمين عامة فلئن عرفته أرضُ الحبشة صابرًا محتسبًا، عابدًا داعيًا، معلمًا.. فقد عرفته أرضُ مؤتة مجاهدًا صادقًا وشجاعًا ثابتًا.. تثخنه الجراح فيثبت وهو يتطلع إلى النصر أو الشهادة وقد كان له ما أراد، ولقبه الرسول ﷺ بلقب لم يعلمه في حياته الدنيا، وأخبر أن الله أبدله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء[٣].

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال له: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[٤].

ولكم معاشر المسلمين أن تعلموا شجاعة جعفر وثباته في معركة مؤتة من خلال نصٍّ أورده البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت في الغزوة (مؤتة) فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية.

وفي رواية أخرى في الصحيح قال ابن عمر: «وقفت على جعفر يومئذ وهو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دُبره يعني ظهره»[٥].

قال ابن حجر وهو يجمع بين هذه الأقوال: وفي قوله: ليس شيء منها في دبره

---

(١) الصحيح مع الفتح ٧/ ٥١٥.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٣٨٣.

(٣) أورده الهيثمي من حديث ابن عباس، وقال: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن، مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٢.

(٤) الصحيح مع الفتح ٧/ ٥١٥.

(٥) الصحيح مع الفتح ٧/ ٥١٠، ح (٤٢٦٠) (٤٢٦١).

بيان فرط شجاعته وإقدامه[١].

أيها المؤمنون! بقي أن نعلم من حياة جعفر بذله للخير وحبَّه للمساكين، وعنه حدَّث أبو هريرة رضي الله عنه فقال: وكان جعفر خير الناس للمساكين، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، فإذا لم يجد لنا شيئًا أخرج إلينا عُكةً أثرُها عَسَلٌ فنشقها ونلعقها[٢].

ويكفيه فخرًا ومن أجل مناقبه أن يقول الرسول ﷺ في شأنه: «**أشبهت خَلقي وخُلُقي**»[٣].

رضي الله عن جعفر المهاجر الصابر، والمجاهد الصادق، والشهيد الطيار، والمنفق الجواد، أبي المساكين وأشبه الناس خَلقًا وخُلقًا بخير البرية أجمعين، اللهم إنا نشهدك على محبته ومحبة أصحابه وإن ضعفت هممنا عن اللحاق بهم، اللهم احشرنا معهم، واجمعنا بهم، وأكرمنا كما أكرمتهم، ووفقنا للخير كما وفقتهم.



(١) الفتح ٧/ ٥١٢.
(٢) البخاري ح (٣٧٠٨).
(٣) أخرجه البخاري في عدة مواضع ح (٢٦٩٨، ٣٧٦٩).

عِبَرٌ من قصصِ السابقين

(٢) المهاجر الدائم[١]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣].

عباد الله! قَصصُ السابقين الأولين من المهاجرين لا تمل، بل وفيها تقوية للعزائم وتجديد للهمم.

ومن المهاجر الطيار إلى المهاجر الدائم أتحدث إليكم عن رجلٍ عداده في السابقين الأولين من المؤمنين ومن أوائل المهاجرين، لا إلى الحبشة وحدها، بل وإلى المدينة أيضًا.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٨/ ١١/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

شاء الله أن تكون حياته قصيرةً نوعًا ما، ولكنها مليئة بالجهاد والدعوة، وختامُها مسك، إذ كان في غزوة أحدٍ في طليعة الشهداء.

كان يوم أن دخل في دين الله صغيرًا في سنِّه، ولكنه كبير في عقله، ارتضى الإسلام دينًا، وتبع محمدًا ﷺ مقتنعًا، وصبر في سبيل ذلك على الأذى من أقرب الناس إليه، قال ابن عبد البر: أسلم مصعب بن عمير قديمًا، والنبي ﷺ في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفًا من أمه، فعلم به عثمان بن طلحة فأعلم أهله، فأوثقوه، فلم يزل محبوسًا إلى أن خرج مع من هاجر إلى الحبشة(١).

صاغه الإسلام مجاهدًا صادقًا، ومهاجرًا دائمًا شغله في الجاهلية حسنُ الهندام، ونوع الحذاء، وأجود أنواع الطيب، وليس وراء ذلك هدفٌ إلا استكمال نضارة الشباب، والمفاخرة بأنواع الثياب والعطر. كان يوصف -قبل الإسلام- فيقال عنه: ما رؤي بمكة أحسنَ لمةً ولا أرق حُلةً، ولا أنعم نعمةً من مصعب بن عمير(٢).

فجاء الإسلام ليرفع من همته.. ويتعالى بطموحاته واهتمامه واستطاع محمد ﷺ أن يستثمر طاقة الشباب فيه، وأن يوجه قدراته إلى حيث ينبغي أن توجه طاقات الشباب.

لقد وجهه النبي ﷺ إلى المدينة، فكان أول من هاجر إليها، وذلك بعد أن قابل النبي ﷺ بعض رجالات المدينة في العقبة، وطلبوا منه أن يبعث إليهم من يعلمهم الإسلام ويُقرءوهم القرآن.. فوقع الاختيار على مصعب بن عمير رضي الله عنه.. وكان رجل المهمة.. والغيث -بإذن الله- لأهل المدينة.. فتح الله عليه فيها ما ينوء

---

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ١٠/ ٢٥٢.
(٢) المصدر السابق ١٠/ ٢٥٢.

بحمله الرجال، ولم يكن سلاحه الخيلَ والسيف- بل فتح الله عليه ما فتح.. وأسلم على يديه من أسلم بما معه من القرآن وهدي محمد عليه الصلاة والسلام، وبما وقر في قلبه من إيمان، وهمٌّ لهذا الدين وأهل المدينة يعترفون له بالفضل. ويقرون له بالجهاد والصدق في الدعوة.. كيف لا؟ ولم يبق دار من دورهم إلا ودخل فيها الإسلام؟

هنيئًا لك يا مصعب بن عمير ما رأيت من ثمار الدعوة في حياتك، وحق لأهل المدينة أن يجلوك ويذكروك بالخير وإن لم ينصبوا لك ما يُخلد ذكراك.. فذاكرة التاريخ عبرَ القرون والأجيال.. والمسطور في الكتب قديمًا وحديثًا.. أعمق وأولى بالخلود من شكليات قد يراها جيل وتغيب عن أجيال أخرى.

وأعظم من ذلك كله عظيم الجزاء عند الله- ورفعه الدرجات يوم يقوم الأشهاد- وأرواح الشهداء في حواصل طير تحوم بهم في الجنة.. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

إخوة الإسلام! مصعب بن عمير رضي الله عنه.. ممن هانت عليه نفسه في سبيل الله، هاجر وجاهد في أيام الإسلام الأولى. حتى إذا استقر أمر الإسلام وأينعت الثمار للمسلمين.. كان مصعب قد رحل عن هذه الدنيا، فلم ينقص أجره شيئًا.

حدّث خباب بن الأرت عن مصعب رضي الله عنهما فقال: «هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لسبيله لم يأكل مِن أجره شيئا، منهم: مصعب بن عمير قُتل يوم أحد ولم يترك إلا نمرةَ، كنا إذا غطينا

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩، ١٧٠.

رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «**غطوا رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر**»، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها..»[(١)].

وبكى لذكره وذكرِ حمزة رضي الله عنهما عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه. ممن لم يوجد لهم ما يكفنون به. وهو يقول: أخشى أن تكون طيباتُنا عُجلت لنا في الحياة الدنيا..[(٢)].

بل لقد ذرفت عينا رسول الله ﷺ يوم أن رأى مصع بن عمير في بردةٍ له مرقوعة بفروة، وكاد قبل أنعم غلامٍ بمكة وأرفه، فلما رآه رسول الله ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم ورأى حالته التي هو عليها، فذرفت عيناه عليه، ثم قال: أنتم اليوم خير أم إذا غدي على أحدكم بحفنةٍ من خبز ولحم؟ فقلنا: نحن يومئذ خير، نكفى المؤنة ونتفرغ للعبادة، فقال: بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ[(٣)].

وفي الحلية عن عمر رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلًا وعليه إهابُ كبشٍ قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: «**انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوَّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترون**»[(٤)].

إخوة الإسلام! حين ينصرف مصعب بن عمير عن ملاذ الدنيا فليس تحريمًا لما أحله الله منها.. ولكنه الانشغال عنها بما هو أهمُّ منها.. لقد أخذت عليه الدعوة لدين الله كل اهتمام، وبذل نفسه رخيصة في سبيل إحراج الناس من الظلمات إلى

---

(١) رواه البخاري وغيره (١٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٤).

(٣) رواه الترمذي- في حال مصعب بن عمير بعد الإسلام- وقال: حديث حسن غريب، وضعف إسناده ابن حجر وغيره. سير أعلام النبلاء ١/ ١٤٧، الإصابة ٩/ ٢٠٩.

(٤) حلية الأولياء ١/ ١٠٨.

النور ولا يُنال ذلك براحةِ الجسد، ودونك نموذجًا لجهوده في سبيل الدعوة، وصبره على ما يلقاه من العنت والأذى في سبيلها، فقد روى أهل السير -بسند ليس سليمًا من الضعف- أن منزل مصعب في المدينة كان على أسعد بن زرارة ﵁، وكان له نعم العون في دعوة أهل المدينة.. وذات يوم خرج بمصعب يريد به دار بني عبد الأشهل وأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ- سيدا بني عبد الأشهل، فقال سعدُ بن معاذ لأسيد بن حضير، لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين -أسعد بن زرارة، ومصعب- اللذين قد أتيا ديارنا يُسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانههما، فلولا أن سعدًا مني حيث قد علمت- وكان ابن خالته- لكفيتك ذلك، فأخذ أسيد حربته، ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعدُ بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف عليهما متشمتًا وهو يقول: ما جاء بكما إلينا تُسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت بكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟ قال أسيد: أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، ثم عرفا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، فرق قلبه وحسن منطقه ثم سأل عن كيفية الدخول في الإسلام فعلماه فأسلم.

ثم انصرف إلى صاحبه سعد بن معاذ، ورغب إليه أن يسمع منهما كما سمع ولم يشعره بإسلامه.. بل هيَّج سعدًا على الانتصار لابن خالته أسعد، فقام إليهما مغضبًا، فلما وصل إليهما عرف أنها حيلة من أسيد لكي يصل إليهما -فكلماه بالإسلام، وتلا عليه مصعب القرآن بمثل ما صنعوا مع صاحبه فدخل هو الآخر في دين الله- بل كانا فتحًا لقومهما، وهذا سعدُ بن معاذ -بعد أن أسلم- يأتي إلى قومه

داعيًا لدين الله- فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٢].



(١) السيرة لابن هشام ٢/ ٨٨-٩١.
(٢) سورة الأحزاب، آية ٢٣.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وفق من شاء لطاعته وتقواه.. وأضل آخرين، ومن يضلل الله فما له من هاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى إخوانه وآله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

إخوة الإيمان! في سبيل صبر مصعب على الدعوة ومصابرته على الشدة واللؤى يحدثنا سعد بن أبي وقاص ﷺ فيقول: كنا قبل الهجرة يصيبنا ظلفُ العيش وشدته فلا نصبر عليه، فما هو إلا أن هاجرنا، فأصابنا الجوع والشدة فاستضلعنا بهما وقوينا عليهما، فأما مصعب بن عمير فإنه كان أترف غلام بمكة بين أبويه فيما بيننا، فلما أصابه ما أصابنا لم يقوَ على ذلك، فلقد رأيته وإن جلده ليتطاير عنه تطاير جلد الحية، ولقد رأيته ينقطع به فما يستطيع أن يمشي فنعرض له القسي ثم نحمله على عواتقنا..[١].

عباد الله! أولئك أقوام هانت الدنيا في عيونهم، عظموا أمرَ الله وامتثلوا أمر نبيه ﷺ وقدموه على من سواه كائنًا ما كان، ودونكم هذا الموقف من مصعب وما فيه من تقدير للنبي ﷺ على أقرب الناس له.

فقد روى ابن سعدٍ أن مصعب بن عمير قدم من المدينة إلى مكة مع السبعين من الأنصار الذين وافوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية ليبايعوه، وقد قدم مصعب أول ما قدم على منزل رسول الله ﷺ يخبره عن الأنصار وإسلامهم وأحوالهم، فعلمت أمُّه بمقدمه فأرسلت إليه تقول: يا عاق أتقدم بلدًا أنا فيه لا تبدأ بي؟ فقال: ما كنت

---

(١) رواه ابن إسحاق وغيره وفيه انقطاع، سير أعلام النبلاء ١/ ١٤٨.

لأبدأ بأحدٍ قبل رسول الله ﷺ، فلما سلم على رسول الله وأخبره خبره، ذهب إلى أمه فقالت: إنك لعلى ما أنت عليه من الصبأةِ بعد! قال: أنا على دين رسول الله ﷺ، وهو الإسلام الذي رضيه الله لنفسه ولرسوله قالت: ما شكرتِ ما ريثتُك مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب، فقال رضي الله عنه أفرُّ بديني أن تفتنوني[١].

أيها المسلمون! استمر المهاجر الدائم يواصل رسالته النبيلة وغايته الجليلة.. وكان له القدحُ المعلى في الغزوات التي شهدها مع رسول الله ع ﷺ، حتى قال ابنُ عبد البر: ولم يختلف أهل السير أن راية رسول الله ﷺ يومَ بدر، ويوم أحدٍ كانت بيد مصعب بن عمير[٢]، حتى إذا كانت غزوة أُحد كان فيها المشهد الأخير لحياة هذا البطل المجاهد وكان استشهاده العظيم.. إذ استشهد وهو يدافع عن رسول الله ﷺ، وقتله ابن قَمِئة الليثي وهو يظنه رسول الله ﷺ، إذ رجع إلى قريش وهو يقول: قتلت محمدًا[٣].

ويروى أن رسول الله ﷺ قال حين رآه مقتولًا: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٤].

وإذا كان مصعب بن عمير رضي الله عنه في قائمة شهداء أحد.. فقد تأثر النبي ﷺ لقتلهم، وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يُصلِّ عليهم، ولم يغسلوا وكان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحدٍ ثم يقول: أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أُشير له

---

(١) الطبقات ٣/ ١١٩.

(٢) الاستيعاب ١٠/ ٢٥٣ بهامش الإصابة.

(٣) ابن هشام ٢/ ٧٣، ابن سعد في الطبقات.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

إلى أحدٍ قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة[١].

تلك عواقب التقوى.. يراها المسلم أو ترى له في الدنيا، وما عند الله خير وأبقى.

عباد الله! كان مصعب بن عمير إلى جانب جهاده وصبره ودعوته للخير حسن الخلق، يذكره به من يعرفه ويقول عامرُ بن ربيعة رضي الله عنه. كان مصعب بن عمير لي خِدنًا وصاحبا منذ يوم أسلم إلى أن قُتل رحمه الله بأُحد، خرج معنا إلى الهجرتين جميعًا بأرضِ الحبشة وكاد رفيقي من بين القوم، فلم أرَ رجلا قطّ كان أحسن خُلُقا ولا أقلَّ خلافًا منه[٢].

وكذلك ينبغي أن يُصلح الداعية نفسه إذا رام إصلاح الآخرين، وأن يكون قدوة طيبةً في أخلاقه وتعامله وشأنه كله.

إخوة الإيمان! من سرد القصص إلى فقهها والعبر منها في الوقفات التالية:

أولًا. كم هو عظيم أن يكون الرجل الواحد من المسلمين كالألف إن أمر عنى، وأعظم الجهود وأبركها ما وجه لخدمة دين الله، والله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٣].

وكم هو مؤلم أن ترى الغُثائية في مجتمعات المسلمين، وتهولك الأرقام والإحصاءات ولكن دون جدوى، كما قال ﷺ: **«الناس كإبل مائة لا تكاد تجدُ فيها راحلة»**.

---

(١) أخرجه البخاري (الفتح ٧/ ٣٧٤).
(٢) الطبقات ٣/ ١١٧.
(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

ثانيًا: ما هذا الوهن الذي أصابنا عن الدعوة لدين الله، والبشرية جمعاء ظمئى لهدي السماء.. ولا منقذ لهم إلا شريعة محمدٍ ﷺ.

ثالثًا: وإذا كان رجل واحد فتح الله به قلوب أمة من الناس كانت بعدُ سندًا لدين الله.. وكانت بلادهم منطلق الدعوة لدين الله، أفيعجز الجموع من المسلمين أن تفعل مثل ما فعله مصعب بن عمير في مدينة الرسول ﷺ؟

رابعًا: والمصيبة أعظم إذا كانت مجتمعات المسلمين هدفًا لدعوات الآخرين المضللة.. وأصبحت بلادهم مطمعًا لكل مستكبر وحاقد، واتحد العدو من فرقة المسلمين وخلافهم وسيلةً للتحريش بينهم وضرب بعضهم ببعض.. وأيًّا ما كانت النتيجة فالعدو كاسب بكل حال!.

خامسًا: وإذا تساوى الناس في علمهم أو قدراتهم فهم متفاوتون في صدقهم وإخلاصهم وهممهم. وتلك هي التي امتاز بها السابقون، وفتحوا بها البلاد وقلوب العباد.. وهي التي يحتاجها اللاحقون إن راموا نصرًا ومجدًا كأسلافهم المسلمين.. وإلا سيظل التلاوم ديدنهم، والعدو ماض في تحقيق أهدافه، وتجديد وسائله في القضاء عليهم وستحل الفتن فيهم، وصدق الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[1].

اللهم لا تفتنا في ديننا، اللهم ارحم ضعفنا وألف بين قلوبنا، هذا وصلوا.



(١) سورة الأنفال، آية: ٧٣.

مَثَل الإسلام(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومن يضلل الله فما له من هاد وأشهد أن لا إله إلا الله، قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه، أُنْزِلَ عليه من ربه ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٢).

اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء، وعلى آل بيته السادة النجباء، وارض اللهم عن أصحابه أولي الأحلام والنهى والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الملتقى وإلى ربِّك المنتهى.

أما بعد: فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله وتعظيم أمره، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾(٣).

أيها المسلمون! نحتاج في سيرنا إلى الله إلى معرفة حقيقة الإسلام ومَثَله في الحياة، وأن نعلم حدود الله فلا نَهتك أستارها المُرخاة، وأن نتبين الداعي للحقِّ فنتبعه، وأن تستيقظ ضمائرنا لواعظ الله في أنفسنا فلا نلج الحرام وإن رغبته

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ١٠/٨/١٤١٧هـ.
(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.
(٣) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

نفوسنا، ومالت إليه أهواؤنا، ولبيان ذلك كلِّه استمعوا وعوا حديث المصطفى ﷺ وهو يقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبوابٌ مُفَتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعوجّوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ﷻ، والداعي من فوقه واعظ الله في قلب كلِّ مسلم»**.

هكذا أخرج الحديث أحمد في مسنده، وبنحوه أخرجه الترمذي وحسنه وخرجه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم لا أعلم له علةً، ووافقه الذهبي في تلخيصه[(١)] وأخرج الحديث غير هؤلاء، وحسن إسناده ابن كثير[(٢)].

عباد الله! يدعونا هذا الحديث للتأمل في صراط الله، وكيف يُسلك وحدود الله ومحارمه كيف تُعرف وتُجتنب، وكتاب الله وكيف يهدي ويتَّبع، وواعظ الله في القلوب كيف يُنمى ويُستشعر.

أما الصراط المستقيم فقد فسِّر بالإسلام وفسِّر بالقرآن، وفسِّر بالحقِّ، وفسر بالنبي ﷺ وصاحبيه من بعده، قال ابن كثير-يرحمه الله-: وكلُّ هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر

---

(١) المستدرك ١/ ٧٣.

(٢) انظر: شرح حديث مثل الإسلام لابن رجب ص ١٤ وجامع الأصول ١/ ٢٧٤، ٢٧٥ وتفسير ابن كثير ١/ ٤٣ ط الشعب.

وعمر، فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحقَّ فقد اتَّبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلّها صحيحة يُصدق بعضها بعضًا، ولله الحمد[(١)].

وقد رُوي عن ابن مسعود ﵁ أنه سئل عن الصراط المستقيم قال: تَركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن شماله جواد، وثمَّ رجال يدعون مَن مرَّ بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾[(٢)].

أيها المسلمون! إنما سمي الصراط صراطًا: لأنه طريق واسع سهل يوصل إلى المقصود، وهذا مثل دين الإسلام في سائر الأديان، فإنه يوصل إلى الله وإلى داره وجواره مع سهولته وسعته، وبقية الطرق وإن كانت كثيرة فإنها كلَّها مع ضيقها وعُسرها لا توصل إلى الله، بل تقطع عنه وتوصل إلى دار سخطه وغضبه ومجاورة أعدائه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[(٣)].

عباد الله! هذا الصراط المستقيمُ هو الذي يسأل المؤمنون ربَّهم صباح مساء أن يهديهم سلوكه، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٣.

(٢) أخرجه ابن جرير وغيره انظر: مثل الإسلام لابن رجب/١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥، وانظر: (مثل الإسلام: ١٨).

(٤) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦- ٧.

وهنا سؤال وجواب: فإن قيل: كيف يسأل المؤمن الهداية -للصراط المستقيم- في كلِّ وقت من صلاة وغيرها، وهو متَّصف بذلك، فهل ذلك من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

والجواب - كما قال الحافظ ابن كثير -يرحمه الله- أن هذا ليس من تحصيل الحاصل، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الله الهداية لما أرشده الله إلى ذلك، فإن العبد مفتقر في كلِّ ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها، وتبصُّره، وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله في كلِّ وقت أن يمدَّه بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله..[1].

يا عبد الله! مع سؤالك الله الهداية والثبات في كلِّ لحظة وحال فاشرح صدرك للإسلام، ووسع قلبك للتوحيد والإيمان، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

أيها المسلمون! من عجب أن يضيق هذا الصراط المستقيم بأقوام على سعته واستقامته، وتتسع لهم -في ظنِّهم- طرق أخرى مع ضيقها وعوجها، فيؤثرون الهوى على الهدى، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وقد ورد في سعة صراط الله المستقيم أنه أوسعُ ما بين السماء والأرض[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.
(٣) تفسير ابن كثير.

ولكن صدق الله- وهو أصدق القائلين: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[1].

إخوة الإيمان! حاذروا الشيطان فإنه قاعدٌ لكم- بإغوائه ووسوسته- عن سلوك الصراط المستقيم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[2].

وصحَّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن هذا الصراط مُحتضر تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله هذا الطريق، هلمَّ إلى الطريق ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو القرآن»[3].

عباد الله! جاهدوا أنفسكم على سلوك الصراط المستقيم، وروضوها على اتباعه.. فبذلك أمر ربُّكم وكذلك وصى، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[4].

ولا تستوحشوا من الحق لقلة السالكين، ولا تغتروا بالباطل لكثرة الهالكين، فمن صبر اليوم ظفر غدًا، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، والله غني عن العالمين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾[5].

---

(١) سورة فاطر، الآية ٨.

(٢) سورة الأعراف، الآيات ١٦-١٨.

(٣) مثل الإسلام ٢٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة الزخرف، الآيتان ٤٣، ٤٤.

نفعني الله وإياكم بهدي القرآن وسنة محمد عليه الصلاة والسلام، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.



الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين.

أما بعد أيها المسلمون، فإن حدود الله هي أحكام الشرع، فكأن حدود الشرع فواصل بين الحلال والحرام[١].

وقد جاء في الحديث السابق: «وعلى جنبتي الصراط سوران» ثم فسَّرها بحدود الله، والمراد أن الله تعالى حدَّ حدودًا ونهى عن تعديها، فمن تعداها فقد ظلم نفسه، وخرج عن الصراط المستقيم الذي أُمر بالثبات عليه، ولما كان السور يمنع من وراءه من تعديه ومجاوزته سمّى حدود الله سورًا؛ لأنه يمنع من دخله من مجاوزته، وتعدي حدوده.. قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٣].

يا أخا الإسلام! هكذا تُشبه حدود الله بالأسوار، وهذه الأسوار مع عظمتها وكفايتها للمنع عن الوقوع في المحرمات لمن عقل، فقد جعل الله فيها أبوابًا مفتحة

---

(١) جامع الأصول ١/ ٢٧٤، ٢٧٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.
(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤، (مثل الإسلام لابن رجب/ ٢٧).

وعليها ستور مرخاة، فيها مزدجر لمن أحيا الله قلبه فلا يَلجها، وفيها متسع للولوج لمن طغى وآثر الحياة الدنيا.

وهكذا يُمتحن الناس بولوج هذه الأبواب ذات الستور المرخاة، أو الامتناع عن دخولها طمعًا في ثواب الله ورجاء موعوده، وكذلك تكون الشهوات المحرمة فإن النفوس متطلعة إليها وقادرة عليها، وإنما يمنع منها مانع الإيمان خاصة، قال العارفون: والمحرمات أمانة من الله عند عبده، والسمع أمانة، والبصر واللسان أمانة، والفرج أمانة وهو أعظمها، وكذلك الواجبات أمانات، كالطهارة والصلاة، والصيام وأداء الحقوق إلى أهلها[1].

ومع ثقل هذه الأمانات وصعوبتها على النفس أحيانًا، إلا أن الله جعل الجزاء عليها عظيمًا والمغنم كبيرا ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2].

يا أخا الإسلام! في ظل هذه المعركة والجهاد مع النفس والهوى فقد أمدك الله بداعيين هما لك عون على الاستقامة على الصراط المستقيم، هما: القرآن وواعظ الله في قلب كلِّ مسلم- كما جاء بيان ذلك في الحديث السابق-.

وكم في كتاب الله من موعظة وذكرى وترغيب وترهيب، وزواجر ونواهٍ، وأمثال مضروبة وقصص فيها عبرة ومثانٍ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربَّهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ولو نزِّل على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله، قال بعض السلف: من لم يردعه القرآن والموتُ لو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع.

---

(١) المرجع السابق، ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

وقال مالكٌ: فُتحت المدينة بالقرآن، والمعنى: أن أهلها إنما دخلوا في الإسلام بسماع القرآن[١].

ألا فاتعظوا بالقرآن، واستمعوا لندائه حين يناديكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فإما خير تؤمرون به، أو شرّ تنهون عنه، تذكروا واعظ القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[٢].

أيها المسلمون! عظموا واعظ الله في نفوسكم راقبوه في حال خلوتكم أو اجتماعكم، واجعلوا من أنفسكم عليكم رقيبًا، فالإسلام نقي فلا تدنسوه بآثامكم، والكرام الكاتبون شهود فلا تشهدوهم على سوآتكم والألسن والأيدي والأرجل ستنطق بما كسبتم فلا تفضحوا أنفسكم بأنفسكم ولا تظنوا أن الله غافل عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار.

يا أخا الإسلام! يضعف هذا الحديث وأمثاله أمام رقابة ذاتية لله، وإن فتحت لك أبواب الشهوات والمحرمات - لكن المسلم - يتصور داعي الله يهتف به، ويستشعر واعظ الله في نفسه يردعه كلما ضعفت نفسه، فلا يهتك أبواب الحرام وإن لم يكن بينه وبينها إلا ستورٌ مرخاة.

يا أخا الإسلام! بإمكانك أن تعلم منزلة القرآن في قلبك إن كنت ممن استجاب لدعوته في سلوك الصراط المستقيم، وإن كانت الأخرى فعالج نفسك واستقم على

---

(١) مثل الإسلام ٤٣.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٤٧- ٤٩.

أمر ربِّك، وإذا أردت امتحان واعظ الله فيك فانظر مدى وقوفك عند حدود الله معظمًا حتى وإن أتيحت لك الفرصة وخلا لك الجوُّ آمنًا.

يا أخا الإيمان! إني أعظك ونفسي بلزوم الصراط المستقيم في هذه الحياة حتى وإن خيَّل لك الشيطان صعوبته أحيانًا وضيقه أحيانًا أخرى فذلك ضمان بإذن الله لمجاوزة الصراط الدقيق غدًا.

قال سهلٌ التستري: من دقَّ على الصراط في الدنيا عَرَض له في الآخرة، ومن عرض له في الدنيا الصراط دقَّ عليه في الآخرة.

والمعنى: أن من صبّر نفسه على الاستقامة على الصراط، ولا كف شيئاً من الستور المرخاة على جانبيه، وصبر على دقَّة ذلك عرض له الصراط في الآخرة، ومن وسَّع على نفسه الصراط في الدنيا وكشف ستوره المرخاة على جانبيه، وعبَّ من الشهوات ما شاءت نفسه دقَّ عليه الصراط في الآخرة، فكان عليه أدقَّ من الشَّعر.

اللهم احفظنا بحفظك، واكلأنا برعايتك، واسلك بنا صراطك المستقيم يا رب العالمين.



العمالة الوافدة حقوقها وواجباتها[1]

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين يثيب العاملين المخلصين، ويجزي المتصدقين والمحسنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قسم المعيشة بين خلقه ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا ورحمة ربِّك خير مما يجمعون.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله جاءت شريعته بالرأفة للمؤمنين، وأوصى بحسن المعاملة مع الخدم والمستأجرين، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر النبيين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اتقوا الله عباد الله في ذوات أنفسكم وفيمن ولاكم الله أمرهم، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

إخوة الإسلام! سبق حديث خاص ولفئة خاصة من العمالة الوافدة، أما حديث اليوم فيتناول قطاعًا كبيرًا من العمالة الوافدة، إلى هذه البلاد المباركة، ولا شك أن وجود الحرمين الشريفين، ومناسك الحج والعمرة، وما أنعم الله به على أهل هذه البلاد من رغد العيش، وتوفر فرص العمل، وظلال الأمن ونحو ذلك.

كل ذلك جعل هذه البلاد مأوى لأفئدة كثير من أبناء العالم الإسلامي، بل ولغيرهم.

ولئن أحوجتهم ظروف الحياة إلى المقام معنا فترة من الزمن فلا شك أن من هؤلاء أصحاب شهادات عالية وتخصصات نادرة، ونفوس كبيرة، وقدرات علمية

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ١٨/ ٥/ ١٤١٨هـ.

في شتى الحرف والصناعات، لا يسوغ لنا بحال أن نذلهم أو نغمطهم حقَّهم، ما بقوا مساهمين معنا في مساهمين التربية والتعليم، والصحة والهندسة، والزراعة والعمران، والصناعة والصيانة والنظافة. وغيرها من مجالات العمل.

وقبل الحديث عن حقوقهم وواجباتهم، لا بد من التفريق بين نوعين من العمالة (الأجنبية، وغير الأجنبية) وحتى نحرر المصطلح شرعًا، ونصحح مفهومًا خاطئًا يرد على ألسنتنا كثيرًا نقول: إن الأجنبي هو الكافر ولو كان من بلاد عربية أو إسلامية، أما المسلم فليس أجنبيًّا وإن وفد إلينا من بلاد كافرة وغير عربية.

ففي شريعة الإسلام المسلمون أمة واحدة، ولو كانوا من أمم شتى، فكيف إذا كانوا جميعًا من أمة محمد ﷺ، قال تعالى -في سياق الحديث عن الأنبياء عليهم السلام- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام (المسلم أخو المسلم) وإذا نجح المستعمر في تقطيع أوصال المسلمين وتفريق دولتهم، واختلاف كلمتهم على المستوى السياسي، فينبغي أن يستمر الشعور بين أبناء المسلمين برابطة العقيدة، وأخوة الإيمان مهما تباعدت أوطانهم، واختلفت ألوانهم أو لغاتهم، فاجتماع المسلمين سرُّ قوتهم، وتفرقهم بداية ضعفهم، ومفهوم أمة المسلمين ينبغي أن يتجاوز الحدود المصطنعة وألا تعيقه السدود الوهمية، يقال ذلك حتى نحرر المصطلح الأجنبي من جانب، ونفرق بين حقوق المسلم والكافر، ونحرص قدر الطاقة على استقدام العمالة المسلمة، لهذه البلاد الطاهرة فلا ينبغي أن يجتمع في جزيرة العرب دينان.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٠.

ففي «صحيح مسلم» عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أدع فيها إلا مسلمًا**»[١].

وفي البخاري ومسلم: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز»[٢] تنفيذا لوصية النبي ﷺ، التي ورد في بعضها «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . .**»[٣].

أيها المؤمنون! أما حقوق العامل المستقدم، فيجمعها حسن التعامل معه، والرفق به، وعدم تكليفه ما لا يطيق، ومراعاة مشاعره، وإعطاؤه حقه قبل أن يجفَّ عرقه، والوضوح معه في نوع العمل، ومقدار الأجرة، وعدم التلبيس عليه، أو المماطلة في حقوقه، وألا نشعره بنوع من التفرقة في المعاملة لا داعي له. . وبذلك جاءت نصوص الشرع: سواء كان المستقدم مملوكًا أو مؤجرًا.

ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[٤].

وفي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أتى أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليناوله لقية أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه**» أي تعب في إعداده وتحضيره، فمن الأدب ألا يحرم من تذوقه إن لم يسمح له بالأكل منه[٥].

---

(١) ح ١٧٦٧.
(٢) جامع الأصول ٩/ ٣٤٦.
(٣) رواه أبو داود ٩/ ٣٤٥.
(٤) متفق عليه، صحيح البخاري ١/ ٣٠، ومختصر مسلم للمنذري ١/ ٩٠٤.
(٥) د. سليمان الفيفي، العمالة المستقدمة ما لها وما عليها ٣٤.

أيها المستأجرون! «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**» كذا أمركم المصطفى ﷺ في الحديث الحسن الذي أخرجه ابن ماجه، وأبو يعلى، والطبراني[(١)] وإياكم أن تستوفوا منهم عملهم ولا توفوهم أجرهم، فالله خصمهم يوم القيامة، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا واستوفى منه العمل ولم يوفّه أجره**»[(٢)].

أيها المستأجرون والأجراء وضِّحوا- فيما بينكم- نوع العمل ومقدار الأجر، واتقوا الله جميعًا في الوفاء، وليكن هديكم هدي الأنبياء عليهم السلام ومن تبعهم بإحسان وضوحا ووفاء، ورفقًا.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[(٣)].

أيها المستأجرون! أنصفوا العمال وإياكم وظلمهم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإذا سوّلت لك نفسك أنك قادر على ظلم العامل أو بخسه حقَّه فتذكر رقابة الله عليك، وإياك أن تسيء إلى الإسلام من حيث تشعر أو لا تشعر، فيتصور الجهلة أن هذه الأخلاق أخلاق الإسلام، وأن تلك سمات المسلمين، والواقع أنه خطؤك والإسلام منه براء، وليس كلُّ المستقدمين يدرك هذا.

---

(١) صحيح الجامع ١/ ٣٤٩.

(٢) كتاب البيوع ٤/ ٣٤٦، جامع الأصول ١١/ ٧٠٨.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٢٧- ٢٨.

ويتعاظم الخطأ ويكبر الخطر إذا ألزمت العامل بالعمل وقت الصلاة أو أرهقته بالعمل وقت الصيام، أو كنت السبب في منعه من أداء فرض الحج والعمرة، أو حملته مفاهيم خاطئة عن الإسلام وسلوكيات المسلمين، فأضعفت صلته بربه، أو أفسدت عليه شيئًا من دينه ولربما كنت حجر عثرة في سبيل اعتناقه للإسلام إن كان كافرًا.

وفرق بين هؤلاء وبين فئة أخرى من الكفلاء، اهتدى مكفولوهم إلى الإسلام على أيديهم، وذلك لحسن أخلاقهم وطيب تعاملهم، وكما قسم الله أرزاق العباد بينهم، فقد قسم أخلاقهم، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

إنني أذكِّر وأحذر كلَّ مسلم أن تقع الفتنة في الدين على يديه، ولا سيما مع نوعية من العمالة قد لا تفهم الإسلام إلا من خلال سلوكيات المسلمين بشكل عام، وسلوكيات الكفيل على الخصوص، فهل نقدر هذه المسئولية حقَّ قدرها؟ وهل نرعى الأمانة التي استرعانا الله إياها، فيعود هؤلاء الوافدون إلى بلادهم وقد انشرحت صدورهم للإسلام، وتأخذون على عاتقهم دعوة بني قومهم لهذا الدين ويعود الاستقدام فرصة لتأليف المسلمين وتعارفهم، ودعوة غير المسلمين للدخول في دينهم، ذلك نوع من إيجابيات الاستقدام، وهناك غيرها لو تأملناها.

والمهم ألا تكون الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، اللهم اهدنا واهد بنا، اللهم احفظنا واحفظ لنا، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، أقول كما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

❁ ❁ ❁

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين.

وبعد.. إخوة الإسلام: فإذا أخذ العامل أجره غير منقوص ووفَّى له المستقدم حقَّه دون تدليس.. كان عليه عدد من الواجبات لا بد له عن الوفاء بها، وفاءً بالأمانة التي أمر الله بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾(١)، ورعاية للعهد ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾(٢)، ووفاءً بالعقود ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾(٣)، وتحقيقًا لأداء التقوى ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ﴾(٤).

أيها الأجير المسلم أيًّا كان موقعك، ومهما كان حجم مسئوليتك لا بد من رعاية الأمانة التي اؤتمنت عليها، وأشفقت من حملها السموات والأرض، سواء كان ذلك في حال رقابة الناس أو غفلتهم، فرقابة الله أولى وأعظم من رقابة البشر.. وإذا خلوت يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب.

وليكن هذا شأنك في حقوق الله أو حقوق الخلق، وتلك مسألة نحتاجها جميعًا.. مستأجرين وأجراء، كفلاء ومكفولين، ومن الواجبات المناطة بك في العمل.. الإتقان، فإن الله يحبُّ إذا عمل العبد عملا أن يتقنه، فالإنهاء شيء

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

والإتقان شيء آخر، والإخلاص في العمل سبيل لرضاء الله أولًا، وطريق لإتقانه ثانيًا.

أيها العامل هل تعلم أنك مسئولٌ عما استرعيت عليه، وفي حديث: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» قال عليه الصلاة والسلام: «**والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته**»[(١)].

أيها المستَقْدَمون المسلمون! حين نتحدث عن أخوَّة الإسلام وحقوقكم فيها، فلابد أن تشملكم الواجبات، فأنتم شركاء لأهل البلد الذي تفدون إليه في المسئولية، وينبغي أن تكونوا أعضاء مساهمين في كلِّ ما يحقق الخير لمجتمعكم الثاني، فتساهمون في نشر الفضيلة وتساهمون في كشف أوكار الفساد والرذيلة، وتنظرون إلى العمل الذي تقومون به على أنه عمل في بلد من بلادكم ولإخوة لكم. وأعيذكم من طغيان الأنانية المفرطة، فلا يبقى لأحدكم هم إلا جمع بضع دريهمات في جيبه، دون النظر إلى حجم ونوعية العطاء الذي قدمه لمجتمع المسلمين؟

وإياك إياك أيها العامل المسلم أن تعطي الفرصة لأحد أن يتهم العمالة المسلمة بالتقصير من خلال سلوكياتك أو ترسخ بسلوكياتك الخاطئة مفهومًا خاطئًا عند بعض الناس بأن استقدام غير المسلمين أجدى من استقدام المسلمين.

أيها العامل المسلم! وأنت مأجور في بحثك عن لقمة العيش لتستغني بها وتغني من وراءك، فهلا سألت نفسك عن حجم العوائد لك.. لاسيما إذا يسر الله لك المكوث حينًا من الدهر في أرض الحرمين، ومنبع الرسالة؟

إن بإمكانك أن تضيف إلى رصيدك المالي أرصدة أخرى لا تقل أهمية عن

---

(١) متفق عليه.

غيرها، وليس مستحيلًا ولا صعبًا أن تشمل رغبتك في طلب الرزق الهجرة في سبيل الله لطلب العلم ومعرفة العقيدة الحقة، وتصحيح الأخطاء الماضية، وليس عيبًا أن تصحح مفهومًا خاطئًا، أو تعدّل سلوكًا معوجًا، إنما العيب أن تعلم الخطأ وتستمر عليه، أو يبدو لك الحقُّ ثم تحيد عنه!

أيتها العمالة المسلمة! ما جمعتموه من عرق الجبين يعد من أطيب الكسب الحلال، وأعيذكم والمسلمين أن تفسدوا هذا الكسب الحلال بكسب محرمٍ بأي شكل من الأشكال؟

أيها الوافد المسلم! رسالتك لا تنتهي عند استفادتك في ذات نفسك، فلإخوانك الوافدين معك حقُّ الدعوة إلى الخير، وظروف الغربة وطول الوقت، ووجودك في بلد تُرعى فيه الآداب الإسلامية، وتغيب فيه مظاهر الرذيلة -أكثر من غيره- قد يعينك على تقديم الخير والنهي عن الشر، «**ولأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**».

أيها الوافد المسلم! أنصحك بالصبر على مشاق العمل، وظروف الغربة وتقوى الله خير معين لك على تجاور العقبات كلها ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾، احفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، احفظ الله في نفسك يحفظك في أهلك، وأدِّ للناس الذي ترغب في أن يؤدوه لك، ولا تغترَّ بستر الله عليك في الدنيا، فالفضيحة يوم القيامة على الملأ أشد وأنكى، وتذكر بسفرك في الدنيا السفر إلى الله، ولم يُكتب الخلود لأحد في الدنيا، ولكن الشأن في نوعية ومقدار الزاد الذي يرحل به المسافرون.

أخي كلنا مسافرون.. والسفر بعيد، والعقبة كؤد، والناقد بصير. فلنرحل بخير زاد، ولنتخفف من الأوزار، ولنحذر الفساد أو الإفساد.. ومن عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها.

الوفاء بالعهود[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أما بعد.. عباد الله، فإن خير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3].

أيها المسلمون! الأخلاق الفاضلة عماد الأمم وأساس قيام الدول، ويكتب على الأمة الفناء إذا تهاوت أخلاقها.. وتلاشت فضائلها وقيمها.. وإن عُمرت حينًا من الدهر.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإذا تباهت الأمم بأخلاقها كان لأمة الإسلام قدحها المُعلى في فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ١/٦/١٤١٨هـ.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

وحين تتأكد حاجة المجتمعات إلى مكارم الأخلاق في كل حين فحاجتها لذلك أشد حين يقلُّ الوفاء، وتطغى الماديات وتسود الإحن، وتظهر الخلافات، وتبرز الأنانيات وتكثر الخيانات، ويصبح الغدر والمكر سياسة ودهاء.

وليس بخافٍ أن الحياة الكريمة تبنى على أساس من الصدق والعدل والمروءة والكرم، والبرِّ، والوفاء والإحسان.

ويوم يتباهى الناس بالمكر والخديعة، ويروج الغدر والكذب، ويسود البخل ويطوى بساط المروءة والحياء، ولا يكاد يذكر الوفاء إلا نزرًا. تصبح الحياة جحيمًا لا يطاق.. وتقود هذه الخلال إلى طريق الهاوية في الدنيا والجزاء من جنس العمل يوم المعاد.

إخوة الإيمان! خُلُقُ الوفاء واحد من مكارم الأخلاق جاءت نصوص الشرع حاثة عليه، ومؤكدة الوفاء بالعقود والعهود.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[1]، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[2].

إن الوفاء بالعهد أمر ومسئولية، والوفاء برّ وإحسان ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾[3]، ومن صفات المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[4].

أما الغدر والتنكر للجميل والخلف في المواعيد، فتلك من سيما المنافقين ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا

(١) سورة المائدة، الآية: ١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٧.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[1] وفي الحديث من صفات المنافق «وإذا عاهد غدر».

إخوة الإسلام! لا بد من الوفاء بالعهود مع البرِّ والفاجر، ولقد كان الوفاء بالعهود والعقود خُلُقًا كريما من أخلاق محمد ﷺ. عرفه له العدو والصديق والتزم هو به مع المسلمين والكفار.. وما وفاؤه ﷺ بصلح الحديبية إلا نموذج للوفاء مع غير المسلمين.. فما الظنّ بوفائه مع المسلمين.

ولقد تعلم أصحابه منه الوفاء. والتزموه في حياتهم ومع غير أبناء ملتهم، فهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يحدثنا عن عدم شهوده بدرًا ويقول: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي، فأخذنا كفارُ قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا العهد علينا لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأخبرنا النبي ﷺ فقال: «**نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»[2].

ولذا فلا بد للمسلم إذا أبرم عقدًا أن يحترمه، وإذا أعطى عهدًا أن يلتزم به، وقد قيل. إن الوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين إذا اكتملا في النفس سهُل عليها أن تنجز ما التزمت به: الذكر الدائم للعهد، والعزيمة المتجددة على الوفاء به، أما ضعف الذاكرة وضعف العزيمة فهما عائقان كثيفان عن الوفاء بالواجب.

قال تعالى في قصة أكل آدم عليه السلام من الشجرة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥- ٧٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في الجهاد: باب الوفاء بالعهد ح ١٧٧٨، وأخرجه أحمد والحاكم في مستدركه ٣/ ٣٧٩، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٤.

(٣) سورة طه، الآية ١١٥. (الغزالي: خلق المسلم ٢٦٤).

أيها المسلمون! العهود التي يرتبط بها المسلم درجات وأعلاها وأهمها العهد الذي بين العبد وربِّه، فإن هذا إذا صلح فهو كفيل بإصلاح ما بعده، من عهود بينه وبين نفسه، أو بينه وبين الخلق من حوله، إن العبودية الحقة لله ربِّ العالمين هي أساس العهد، ولا يحصل النقض في العهود إلا نتيجة ميل الإنسان لهواه، أو طاعته للشيطان.

والله تعالى يذكرنا بهذا العهد في قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[(١)].

والعبودية الحقة تعني الطاعة والتسليم والرضى بما أمر الله أو عنه نهى، وهل تخرج العهود عن هذه؟

ومن الوفاء بالعهد مع النفس أن يظل المرء يتذكر ماضيه الذاهب لينتفع به في حاضره ومستقبله، فإن كان معسرًا فأغناه الله، أو مريضًا فشفاه الله، أو ضعيفًا فقواه الله، فليس يسوغ له أن يفصل بين أمسه ويومه وغده بسورٍ غليظ، فينسى الماضي ويستقبل الحاضر والمستقبل بمسلك الفظاظة والجحود، ولربما كان وهو في أحوال الضعف والبؤس يتمنى زوالها، ويأخذ على نفسه العهود على التزام الشكر والذكر والإحسان لو تغيرت الأحوال وتحسنت الأوضاع، ودونكم نموذجًا للوفاء وعكسه مع النفس في قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله بالبرص والقرع والعمى، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: أيُّ شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونًا وجلدًا حسنًا، فقال أيّ المال أحب إليك؟ قال: الإبل، فأعطاه ناقة

(١) سورة يس، الآيتان: ٦٠، ٦١.

عشراء وقال بارك الله لك فيها . . ثم أتى الأقرع فقال: أي شيءٌ أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملًا، وقال: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: أن يرد الله عليّ بصري، فمسحه، فرد الله عليه بصره، قال: فأي المال أحبُّ إليك قال. الغنم، فأعطي شاةً والدًا . . فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته وسأله بالذي أعطاه اللون الحسن والجلد الحسن بعيرًا يتبلغ به سفره، فاعتذر قائلًا: الحقوق كثيرة، ثم قال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله؟ (فأنكر) وقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر . . ثم قال له: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ذلك، ورد عليه مثل ما ردَّ على الأول، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لصاحبيه، فرد الأعمى. لقد كنت أعمى فردَّ الله عليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم لشيء أخذته لله؟ فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك(١).

فهل رأيتم عاقبة نقض العهد، وأثر الوفاء ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين، نفعني الله وإياكم بهدي القرآن.

---

(١) أخرجه البخاري.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين صاحب الفضل والإحسان، يعطي ويمنع ويقبض ويبسط، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها المسلمون! كما يحتاج المرءُ إلى الوفاء بعهده مع الله ومع نفسه، فهو محتاج للوفاء مع الآخرين، وأولى الناس بالوفاء الوالدان وحقهما مقرون بالعبودية لله والإحسان إليهما جاء في أكثر من آية في كتاب الله، وتضافرت نصوص السنة على تأكيده -وليس هذا موضع البيان- ومن أعظم اللؤم والعقوق أن يتنكر الإنسان لوالديه أو لأحدهما إذ أغناه الله، أو أصبحا شيخين عاجزين وهما أشد حاجة إليه..

ومن كان له فضل عليك من الأقربين أو الأبعدين فلابد من الوفاء معه وردِّ الجميل إليه فما جزاء الإحسان إلا الإحسان، ومن اللؤم أن تتعرف على الناس حال حاجتك وتتنكر لهم حين غناك وعلوِّ منزلتك، ولقد كان من نهج الصالحين الوفاء مع أهل السابقة والفضل ولو كان فضلهم لغيرهم، فهذا ابن عباس وضي الله عنهما يتمثل الوفاء لأبي أيوب الأنصاري ﵁ لقاء وفائه مع النبي ﷺ، فحين قدم أبو أيوب البصرة على ابن عباس، فرّغ له بيته وقال: لأصنعنَّ بك كما صنعت برسول الله ﷺ، كم عليك؟ قال: عشرون ألفًا، فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا، ومتاع البيت[١].

---

(١) أخرجه الطبراني (٣٨٧٧) ورجاله ثقات، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي في «المستدرك» (٣/ ٤٦١، ٤٦٢)، ومجمع الزوائد (٩/ ٣٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٠١).

أما شاعر الأندلس ابن عمار المهْري فيذكر أنه مدح فلاحًا فأعطاه مخلاة شعير لحماره، فلما آل بابن عمارٍ الحال إلى الإمرة ملأ للفلاح مخلاته دراهم وقالط: لو ملأها برًّا لملأناها تبرًا[١].

أيها المؤمنون! تطيب الحياة ويسعد الأحياء مع الوفاء، ويبين حجم الوفاء عن معدن الرجال.. وإذا كان الوفاء مطلبًا في كلِّ الأحوال فهو يطيب في ظروف المحن والشدائد حين يتنكر الناس، ويبلغ الضعف والهوان مبلغهما ويقل الناصر ويندر المعين وهنا يسود في المجتمع أصحاب الجود والإقدام، حين يبخل الآخرون ويتراجعون:

لولا المشقة ساد الناس كلُّهم الجود يفقر والإقدام قتال

عباد الله! حين يأمر الله بالوفاء بالعهد يبين الآثار السيئة المترتبة عليه فيقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٢].

قيل في آثار الغدر أنه ينزع الثقة، ويثير الفوضى، ويمزق الأواصر، ويرد الأقوياء ضعفاء واهنين، ويصد عن الدخول في الدين، والدِّين الحق يكره أن تُداس الفضائل في سوق المنفعة العاجلة، كما يكره أنه تنطوي دخائل الناس على نوع من النيات المغشوشة، ويوجب الشرف على الفرد والجماعة حتى تصان العقود على الفقر والغنى، وعلى النصر والهزيمة.

---

(١) تهذيب سير أعلام النبلاء ٣ / ١٣٢١.
(٢) سورة النحل، الآيتان: ٩١، ٩٢.

ولذا قال تعالى بعد الأمر بالوفاء بالعهد ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(١).

احذروا عباد الله أن تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا، والله يذكرنا أن ما عنده خير وأبقى، وإياكم أن تتخذوا الأيمان بينكم دخلًا، أي خديعة ومكرًا فتزل الأقدام بعد ثبوتها وينتكس الغادر ويصد بهذه الأخلاق عن الدخول في دين الله(٢).

أمة الإسلام! ومن آثار التخلي عن العهود فناءُ الأمم، وإهلاك القرى الظالمة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾(٣).

ومما يجدر التنبيه إليه الغدر في أداء الحقوق المالية سواءً كانت قرضًا أو دينًا.. (ولأهميتها سأفردها بحديث خاص بإذن الله تعالى).

أيها المسلمون اتقوا الله في عهودكم ومواثيقكم وأيمانكم، ولا تفتنكم الحياة الدنيا وتنسوا عقاب الآخرة.

تمثلوا الوفاء في حياتكم كلِّها وروّضوا أنفسكم على ذلك، تذكروا عظيم نعمةِ الله عليكم فقابلوها بالشكر والطاعة والإحسان، وتذكروا فضل من له فضل عليكم فجازوهم بالشكر والإحسان.. ولا تَمُتْ فيكم مشاعر الوفاء والرحمة.. وتطغى عليكم الأنانية والغفلة. على الوالدين أن يربوا أولادهم على الوفاء، وعلى المعلمين والمعلمات أن يعلموا الطلاب والطالبات معاني الوفاء، إن الشكر للناس

(١) سورة النحل، الآيتان: ٩٤، ٩٥.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠٢.

أدب إسلامي، وهو الطريق للشكر لله، وفي الحديث: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[(١)].

والدعاء باب من أبواب الوفاء لمن لم يستطع غيره «**ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**»[(٢)].

وفي الحديث الآخر: «**من صُنِعَ إليه معروف فقال لفاعلِهِ: جزاك الله خيرًا. فقد أبلغ في الثناء**»[(٣)].

كذا علمنا الإسلام وأدبنا القرآن فلتحافظ على الوفاء بالعهود ولتذكر لأهل الفضل فضلهم. والله يحب الشاكرين ويحب المحسنين.



(١) أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٦/ ٢٣٧).
(٢) أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح (جامع الأصول ١١/ ٦٩٢).
(٣) رواه الترمذي وغيره بسند صحيح (صحيح الجامع ٦/ ٨).

(٢) حسن الوفاء وقضاء الحقوق(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾(٣).

إخوة الإسلام! لا يزال الحديث متصلًا عن الوفاء بالعهود واحترام العقود، فتلك الشعيرة من شعائر الدين، والخلق النبيل من أخلاق أهل المروءة والدين، أجل لقد كان الوفاء وصدق الوعد واحدًا من أخلاق الأنبياء عليهم السلام ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾(٤).

والوفاء جزء من الإيمان، فقد جاء في الحديث الذي رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن حسن العهد من الإيمان**».

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٨/٦/١٤١٨هـ.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٤.

وجاء في كلام العرب: من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت إخوته[١].

ويظل الوفاء يلازم المؤمنين وهم يُحتضرون، فقد ورد أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، حين حضرته الوفاة قال: إنه خطب إليَّ ابنتي رجل من قريش، وقد كان مني إليه شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق، أشهدكم أني قد زوَّجته ابنتي.

وهو بذلك يشير إلى حديث: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق** . . »[٢].

أيها المسلمون! هذا وما مضى هو ميزان الحقِّ والدين في الوفاء بالعهود واحترام العقود، وإن وجد في دنيا الناس أن الغدر والمماطلة ونقض العهود نوع من الحنكة والدهاء والألمعية والشطارة؟ ولكن يظل الحقُّ مطلبًا، والأوفياء نماذج تُحتذى.

عباد الله! هناك ممارسات خاطئة في أدب المعاملة، فقد تجد جاهلًا يحسب أن الدين علاقة بين العبد وربِّه فحسب، فتراه يُقيم الفرائض وربما أتبعها النوافل، لكنه لا يقيم وزنًا للتعامل مع عباد الله، لا يرعى حقوقهم، ولا يؤدي لهم واجباتهم، يعتدي على حقِّ هذا، ويُماطل في حقِّ آخر، ويشتم ثالثًا، ويضرب رابعًا. . الحلالُ ما حلَّ بيده، والحرام عنده ما عجز عن الحصول عليه ذلك صنف حُكم عليهم بالإفلاس وسماهم الرسول ﷺ بالمفلسين، كما جاء في حديث: «**أتدرون من المفلس؟**» إنها مفاهيم خاطئة لا يسأل عنها الدين، وسلوكيات منحرفة من الظلم أن يشوه بها تاريخ المسلمين.

---

(١) فقه السنة، سيد سابق ٢/ ٦٩٩.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٧٠١.

أين هؤلاء من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١]، والخطاب بهذه الآية- كما يقول القرطبي -يرحمه الله- يتضمن جميع أمة محمد ﷺ، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، فيدخل في هذا: القمار، والخداع، والغصوب، وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، وما حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغي، وحُلوان الكاهن، وأثمان الخمور والخنازير، وغير ذلك[٢].

أيها المسلمون.. من الفهوم الخاطئة في المعاملات والحقوق الآدمية ظنُّ بعض الناس أن حكم القاضي له على خصمه يُصيِّر الحرام حلالًا، والباطل حقًّا، وليس الأمر كذلك.

قال العلماء: ومن الأكل بالباطل أن يقضي القاضي لك وأنت تعلم أنك مبطل، فالحرام لا يصير حلالًا بقضاء القاضي؛ لأنه يقضي بالظاهر، فقد يكون أحدُ الخصمين ألحن بحجته من الآخر، وهذا رسول الله ﷺ يُحذر من هذا المسلك الخطر ويقول: «**إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار**»، وفي رواية: «**فليحملها أو يذرها**».

قال القرطبي: وعلى القول بهذا الحديث جمهور العلماء، وأئمة الفقهاء[٣].

عباد الله! أين المتأكلون للأموال بالباطل من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.
(٢) تفسير القرطبي ٢/ ٣٣٨
(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٣٨.

لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[١]. إن هذه الآية كما ترد على من أنكر طلب الأقوات بالتجارات والصناعات المباحة كالمتصوفة الجهلة.

ففيها كذلك حد لأولئك الشرهين الآكلين للأموال بالباطل وهل يقتل العقلاء أنفسهم؟ ذلك شأن الذين يتجاوزون الحلال إلى الحرام، ويقتلون أنفسهم بالحرص على الدنيا وطلب المال بطرق غير مشروعة[٢].

عباد الله! لأهمية المعاملة بالحسنى في البيع والشراء والقضاء والاقتضاء، ورد الثناء على التجار الصادقين الأمناء وجاء الذم للتجار الفجار، الآثمين في حلفهم، الكاذبين في حديثهم، روى الترمذي، والدارقطني عن أبي سعيد، وابن عمر رضي الله عنهم قال رسول الله ﷺ: «**التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة**»، والحديث وإن كان فيه ضعف فقد قواه العلماء بأحاديث أخرى[٣].

وروى الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا: «**إن التجار هم الفجار**»، قالوا: يا رسول الله: أليس الله قد أحلَّ البيع؟ قال. «**بلى؟ ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون**»[٤].

وجاء الدعاء لأهل السماحة في البيع والشراء بقوله ﷺ: «**رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى**»[٥].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٢) تفسير القرطبي بتصرف (٥/ ١٥٦).

(٣) شرح السنة للبغوي ٨/ ٤، تفسير القرطبي ٥/ ١٥٦، جامع الأصول ١/ ٤٣١.

(٤) وقد جوّد المنذري إسناده وصححه الحاكم، جامع الأصول ١/ ٤٣٢.

(٥) رواه البخاري وابن ماجه (صحيح الجامع ٣/ ١٧٥).

أيها التاجر! اختر لنفسك ما تشاء، وأنت خليق بأن تكون من التجار الأمناء، ويكفيك فخرًا رفقة الأنبياء، وإياك أن تبخل على نفسك بالأجر، وإن احتاج الأمر منك إلى مجاهدة وذلك بأن تنظر المعسر وتُقيل المستقيل، وتيسر على الموسر، فقد أخرج البخاري ومسلم عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلا ممن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه فقال: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم، قيل له: انظر، قال: ما أعلم شيئًا، غير أني كنت أُبايع الناس في الدنيا فأنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة**»[١].

أما فضل الإقالة والتفريج على من ندم على اتفاق أبرمه ورغب بالحسنى إقالته، ففد أخرج أبو داود بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أقال مسلما أقال الله عثرته**»[٢].

أيها المسلمون! أغنياء أو فقراء كنتم، ودونكم وصية محمد ﷺ فاعلموها واعملوا بمقتضاها، وهو القائل: «**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ ودعوا ما حرَّم**»[٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] نفعني الله وإياكم بما سمعنا، وأستغفر الله لي ولكم.



---

(١) جامع الأصول ١/ ٤٣٨.

(٢) جامع الأصول ١/ ٤٤٠.

(٣) رواه ابن ماجه وغيره بسند صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٦).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، أحمده تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وأشكره وهو أهل الفضل والثناء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء.

عباد الله! لقد أثنى الله على الموفين بعقودهم وعهودهم ووعدهم بجنات عدن فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[١].

وفي المقابل حذّر من نقض العهود، ورتب الخسران عليها، واللعنة وسوء الدار فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٢].

وقال في الآية الأخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[٣].

أيها المؤمنون! من الأمور التي تساهل بها كثير من الناس الديون والقروض (أيا كانت هذه ما دامت مباحة)، فتراهم يتسامحون في الاستدانة والاستقراض، ويتساهلون في الأداء والوفاء، وقد جاءت نصوص الشريعة محذرة، من التلاعب والتهاون بحقوق الغير.

---

(١) سورة الرعد، الآيات: ٢٠-٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧.

(٣) سورة الرعد، الآية ٢٥.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله**»[١].

وعن صهيب الخير عن رسول الله ﷺ قال: «**أيُّما رجل تدين دينًا، وهو مجمع ألا يوفيه إياه، لقي الله سارقًا**»[٢].

يا ابن آدم! أليست الجنة مبتغاك. إن خلو الذمة من الدين سبب من أسباب دخول الجنة.

فقد ورد عن ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من فارق الروح الجسد وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: من الكبر، والغلول، والدين**»[٣].

ومن أين لك الوفاء يا عبد الله إذا فارقت الروح الجسد وأنت مصر على المماطلة وحبس حقوق الآخرين، وهل ترضى أن يكون القضاء من الحسنات في وقتٍ أنت أشدَّ ما تكون حاجة إليها؟ فقد ورد عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**من مات وعليه دينار أو درهم قُضي من حسناته، ليس ثَمَّ دينار ولا درهمٌ**»[٤].

وليس يخفى أن: «**نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه**» ويكفي في عظم الدين أن رسول الهدى والرحمة ﷺ كان لا يُصلي على من مات وعليه دين لم يترك له قضاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: إذا توفي المؤمن في عهد رسول الله ﷺ وعليه الدين فيسأل رسول الله ﷺ: «**هل ترك لدينه من قضاء؟**» فإن قالوا: نعم صلى عليه، وإن قالوا: لا، قال: «**صلوا على صاحبكم**»[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه بسند صحيح، صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٥٢).

(٢) حديث حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٥٢).

(٣) رواه ابن ماجه بسند صحيح (٢/ ٥٢).

(٤) صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٥٣).

(٥) رواه ابن ماجه (٢/ ٥٣).

ولذا ينبغي على أهل الميت أن يولوا هذا الأمر ما يستحق من العناية والوفاء فيبدأون -أول ما يبدأون- بسداد دينه، وفكاك ذمته.

أيها المسلمون! مع التأكيد على أن لا يستدين المسلم أو يقترض إلا لحاجة، فقد يضطر المسلم للدين أو للقرض، وهنا ينبغي أن يأخذ ما يكفي حاجته وأن يقدم نية الوفاء وألا يطلع الله منه على نية الغدر وإتلاف الأموال.

إن الذي يقدم نية الخير على الوفاء يعينه الله في الدنيا، وقد صحّ الخبرُ عن النبي ﷺ: «**ما من مسلم يدَّان دينًا، يعلم الله منه أنه يريد أداءه إلا أداه الله عنه في الدنيا**»[(١)].

وإن توفي المدين وهو على نية الوفاء لكنه عاجز عن التسديد فاعل للأسباب المشروعة للأداء لكنه لم يقدر، فالرسول ﷺ وليُّه، ولم يبخس الله من حسناته بعد مماته.

روى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**الدَّين دينان، فمن مات وهو ينوي قضاءه فأنا وليُّه، ومن مات ولا ينوي قضاءه فذاك الذي يؤخذ من حسناته، ليس يومئذ دينار ولا درهم**»[(٢)].

عباد الله! ماذا بعد هذه النصوص وأمثالها؟ إن علينا جميعًا أن نتحرز من الدَّين، وأن نسلِّم ذممنا في الحياة قبل الممات، وإذا استدنا واستقرضنا بالحسنى -ومن أي جهة كانت- أن نردَّ الدين أو القرض بالحسنى، وأن نؤدي للناس الذي نرغب أن يؤدوه إلينا، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وأذكِّرك يا أخا الإسلام وأحذرك

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٥٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير ٣/ ١٥٣.

أن تكون سببًا لقطع الإحسان عن غيرك بسبب سوء سلوكك ومماطلتك، بل ومن أدب الإسلام أن تدعو لمن استلفك، ولست خيرًا من محمد ﷺ، وقد استلف من رجل سلفًا- يوم حنين- فلما قضاه قال له: «**بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد**»(١).

أيها المسلم! تأمل في أدب الرسول ﷺ وحسن خلقه ووفائه، وحقُّه على الأمة كبير، والسلف الذي يستلفه لا لمصلحته الخاصة، بل لمصلحة المسلمين والجهاد في سبيل الله.. ومع ذلك لا يؤخر ردَّ السلف بل لما قدم من الغزوة قضى لصاحب السلف، وأعظم من ذلك كلِّه دعاؤه لمن أسلفه، «**بارك الله لك في أهلك ومالك**» ثم يضع معلمًا بارزًا للأمة في الوفاء ورد الحقوق حين يقول: «**إنما جزاء السلف الوفاء والحمد**» فهل نتمثل هذه الأخلاق في حياتنا ومعاملاتنا ونتخذه ﷺ قدوة لنا في أمورنا كلها، إن ذلك من علائم الإيمان ومن سيما الذين يرجون الله واليوم الآخر، ويذكرون الله ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(٢).



---

(١) حديث حسن أخرجه ابن ماجه: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٥٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(١) من مظاهر الإسراف في حياتنا[١]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر النبيين وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الناس! اتقوا الله واخشوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس بما كسبتما وهم لا يظلمون.

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٢]

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[٣].

عباد الله! حديثي إليكم اليوم عن موضوع نشترك جميعًا في كُرهه، ونشارك معًا في بقائه، نعترف فيه بخطئنا، وتغلبنا عليه عوائدنا وشهواتنا، يُمارس الخطأ فيه من قبل الرجال والنساء والفقراء والأغنياء، وتسري آثاره في الحضر والبوادي، نزاوله ونحق له كارهون، وننتقده ونحن له فاعلون؟! ينهى عنه ديننا، وتعجُّ به دنيانا، نحمل أثقاله على كواهلنا، ونظل بعده في حيرة وقلق مما صنعنا؟

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ٢٨/ ٣/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

تُرى أي ظاهرة تلك التي بلغت مبلغها من الحرج في حياتنا، ولربما تراكمت الديون -بسببها- في ذممنا؟

إنه الإسراف، والإسراف في أكثر من مظهر: في المطعم والمشرب، والملبس والمسكن، في الكلام أو الصمت، وفي المدح أو الذم، في السهر والنوم، وفي المناسبات والأفراح، الإسراف في إهدار الطاقات وليس الماء إلا نموذج لها، وإضاعة الأوقات، وهي من أغلى ما نملكه في هذه الحياة، والإسراف في نقد الآخرين، أو تزكية الذات، إسراف حسي، وإسراف معنوي، وظاهر وخفي.. إلى غير ذلكم من مظاهر الإسراف الأخرى.

وما من شك أن الإسراف في العنف يولد أضرارً وآثارًا سيئة أول من يتضرر منها المسرفون أنفسهم.

وفي أرض فلسطين المحتلة خلصها الله من ظلم المحتلين تشهد الساحة إراقة الدماء على أيدي اليهود ونتيجة إسرافهم في ظلم الآخرين.

والمصيبة أن مثل هذه الظواهر، أو بعضها يقع فيها المتعلم والأمي، ولا يكاد ينجو منها العالم، وغيره من باب أولى، وتتحدث عنها وسائل الإعلام محذرة ولربما ساهمت مساهمة فاعلة في انتشارها.

ويتحسر لها العقلاء ولكنهم واقعون في شراكها، ويبلغ الحرج مبلغه فيها حين يتحدث المتحدثون محذرين وهم -كغيرهم من الناس- في المحذور واقعون، ولكنها قضية لا بد أن نصارح أنفسنا بها، ولابد أن نتعاون جميعًا في تشخيصها وعلاجها، ونرفع أكفَّ الضراعة لمولانا للعفو عن أخطائنا، وإعانتنا على إصلاح أحوالنا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧.

إخوة الإسلام! المتأمل في نصوص شريعتنا الغرَّاء يجدها ناصعة البيان في النهي عن الإسراف والتبذير والأمر بالتوسط والاعتدال، فلا تُغلُّ الأيدي إلى الأعناق بُخلًا وتقتيرًا، ولا تُبسط كلَّ البسط إسرافًا وتبذيرًا ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1]. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[2].

ومشكلتنا -أحيانًا- عدمُ التفريق بين ما أمر به الإسلام، وما عنه نهى، وتختلط الأمور في حساباتنا فلا نكاد نُفرق بين كرم الضيافة، والرياء، وبين أخذ الزينة والخيلاء، وبين ما ينبغي أن يتسابق فيه المتسابقون من أعمال الخير ابتغاء مرضات الله، وبين ما ينفق وهو يحمل المنَّ والأذى فرق بين من يقف عند المباحات في الدين، ومن يتجاوزها إلى المحرمات، ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

أيها المسلمون! هذه وقفة عند مظهر من مظاهر الإسراف، ربما يكون من أكثرها شيوعا.. وإن كان غيرها لا يقل عنها خطرًا، إنه الإسراف في حفلات الزواج وما يسبقها وما يعقبها. ويعلم الله كم يفرح المسلم بإعلان الزواج فذاك فرق بين النكاح المشروع، وفاحشة الزنا الممنوع.

وكم يُسرُّ المسلم لوليمة النكاح تُحقق بها السنة، ويتقارب بها الأرحام، وإطعام الطعام من الإسلام، وهو طريق موصل إلى الجنة بسلام لمن ﷺ وقبله، ولكن المأساة حين يدخل الإسراف أفراحنا، ويعكر علينا صفو حياتنا. وهاكم نماذج من الإسراف في الزواج، فالمغالاة في المهور وإثقال كواهل الشاب بالديون إسراف

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٣) سورة يونس، الآية ١٢.

لم يأذن به الله، وهو خلاف سنة محمد ﷺ، الذي قال: «**إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها**»(١).

وفي سنن الترمذي وغيره قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه. «ألا لا تغالوا في صدقات النساء، فإن ذلك لو كان مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله ﷺ، ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئًا من نسائه، ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من ثنتي عشرة أوقية»(٢)، قال الترمذي: والوقية عند أهل العلم أربعون درهمًا وثنتا عشرة وقية: هو أربعمائة وثمانون دوهما(٣).

وزاد النسائي: «وإن الرجل ليُغلي بصدقة المرأة، حتى يكون لها عداوة في نفسه..»(٤).

ومن الثابت أن رسول الله ﷺ أنكح رجلا امرأة بما معه من القرآن(٥).

وقال لرجل يحفظ البقرة والتي تليها، «**قم فعلمها عشرين آية وهي امرأتك**»(٦).

إخوة الإيمان! يعقب الإسراف في المهر -عند فئة من الناس- إسراف في وليمة العُرس والدعوة لها، ويبدأ المسلسل هكذا: طباعة أعداد كثيرة من البطاقات، وأحيانًا بأشكال غريبة وقيمة عالية، وربما تنافس أهل الزوجين في نوعيتها مهما غلا ثمنها، ثم يضطر الناس إلى توزيع ما طبعوا. فإذا امتلأت بيوت الأقارب

---

(١) رواه أحمد، والحاكم، والبيهقي بإسناد حسن (صحيح الجامع الصغير ٢/ ٢٥١).

(٢) انظر صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٢٤، جامع الأصول ٧/ ٨.

(٣) صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٢٤.

(٤) جامع الأصول ٧/ ٨.

(٥) جامع الأصول ٧/ ٣، ٤، ٥.

(٦) أخرجه أبو داود وحسنه غيره (جامع الأصول ٧/ ٦).

والجيران والأصحاب والأحباب، وزملاء الدراسة، والوظيفة وبقي في العدد بقية وزعت على هؤلاء ليدعو كل منهم من شاء! وعلى قدر عوائل هذه الدعوات يبدأ الاستعداد للطعام والفاكهة والحلوى، والمقبلات والمشروبات.. ولا تسأل عن الإسراف في هذه الولائم وكثرة الإنفاق عليها وما يضيع منها هدرًا، وإن أحسن أهل المناسبة فدعوا لبقاياها جمعيات البر لتوزيعها على المحتاجين، وإلا كان مصيرها معروفًا.. ولله كم يخشى العقلاء وفي ديار المسلمين من يتضور جوعًا- وفيه من يمرض تخمة وإسرافًا؟!.

فإذا ضاع بسبب هذه الوليمة ما يزيد على عشرين ألفًا على الأقل، فلك أن تعجب حين تعلم أن الشاب قد يمكث في جمع مادة هذه الوليمة ما يقرب من عام، وربما استدانها أو استلفها وقد حضرها من جاء إليها (مجاملة)، وحضرها من الأغنياء من لم يطعمها، ومنعها الفقراء فلم يدع إليها أصلًا، وصدق رسول اللّه ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة، يُدعى لها الأغنياء ويمنعها المساكين، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**»[1].

أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[2].

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، أمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أهلك المسرفين، وأمر ألا يُطاع أمرُهم وأنزل في كتابه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾(١).

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، جاءت سنته القولية والفعلية بعدم الكُلفة، والنهي عن الإسراف، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين.

إخوة الإسلام! تُسرف بعض النساء في زينة اللباس التي أمر الله بها، وسواء بارتفاع قيمتها أو في حرمتها، وما يسمى بـ (طرحة العروس) أو (التشريعة) نموذج لذلك، إذ تدفع لهذا الثوب مبالغ طائلة ثم لا يُستخدم بعد هذه الليلة، وربما أنفت بعض النساء من استعارة هذا الثوب من غيرها.

وإذا كان هذا للعروسة فلا تسأل عن لباس الحاضرات، وفيه ما غلى ثمنه وضاق ملبسه، وفيه ما بدا عند المرأة كاسيًا وهو في الحقيقة عاريًا، أظهر لقصره الساقين، وأعلاه يكشف ما فوق المرفقين، وفتحاته تكشف النحر والظهر، وهو من الضيق بحيث يكشف ملامح المرأة ومفاتنها.. فماذا بقي من الحياء.

ولربما تسامحت بعض الأسر في لباس البنطلون للمرأة.. وكذلك يتلاعب الشيطان بالنساء، ويتوارى الحياء، وللعلماء في أنواع هذه الملابس وحكمها (فتاوى) لا تخفى، والإثم ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس، ومن

---

(١) سورة غافر، الآية ٤٣.

وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى، ولا بارك الله في امرأة تلبس ثيابًا ساترة أمام زوجها، وتخفي ملابس أخرى، فإذا وصلت مكان الحفل استبدلت هذه بتلك، والله يعلم السرَّ وأخفى.

ومن مظاهر الإسراف في ملابس النساء تلك النظرة عند بعضهن بأن ما رأته النساء لا ينبغي أن يكرر مرة أخرى.. وعلى النساء العاقلات -أن يقمن- بسلوكهن بتحطيم هذه النظرة الخاطئة المسرفة. أيها الرجال.. أيتها النساء! ثمة مظهر من مظاهر الإسراف في الحفلات أو المناسبات يتمثل بالمبالغة في اتخاذ الزينة والمكيجة وتسريح الشعور.. وسل (الكوفيرا) تنبئك عن أخبار النساء، وهناك يهدر الوقت، وتسلب الأموال، وتعترف النساء أنفسهن بالغبن.. ولكن قاتل الله التقليد الأبله، وغابت أو ضعفت قوامة الرجال على النساء، وإلى الله المشتكى؟!

إن أخذ الزينة في الإسلام مطلب، وإن إعداد المرأة لزوجها كأحسن ما تكون النساء شكلًا، ورائحة، وأدبًا، كلُّ ذلك جاءت به شريعة الإسلام، لكن دون إسراف في المال أو هدر في الأوقات، أو تغيير لخلق الله.

إخوة الإيمان! لا بأس بإعلان النكاح بالدُّف والصوت، فقد روى الترمذي بسند حسن عن محمد بن حاطب الجحمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فصل ما بين الحرام والحلال الدُّف والصوت**»(١)، وزاد النسائي «في النكاح»(٢).

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: زففنا امرأة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة أما يكون معكم لهوٌ، فإن الأنصار تعجبهم اللهو**»(٣).

---

(١) صحيح سنن الترمذي ١/٣١٦.
(٢) د. صالح السلطان، في صالة الأفراح ص ١١.
(٣) انظر صحيح سنن الترمذي ١/٣١٦ ح ١١٠٢.

وفي البخاري -أيضًا- وغيره عن الرُّبيع بنت معوذ قالت: جاء رسول الله ﷺ فدخل عليَّ غداة بني بي، فجلس على فراشي وجويرات لنا يضربن بدفوفهن ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إلى أن قالت إحداهن «وفينا نبي يعلمُ ما في غدٍ» فقال لها: «**اسكتي عن هذه، وقولي الذي كنت تقولين قبلها**».

وروى النسائي بسند حسن عن عامر بن سعدٍ رضي الله عنه أنه قال: دخلت على قرضة بن كعب، وأبي بن مسعود الأنصاري في عُرس، وإذا جوارٍ تُغنين فقلت: أيَّ صاحبي رسول الله ﷺ وأهل بدر يُفعل هذا عندكم؟ فقالا: اجلس إن شئت فاسمع معنا وإن شئت فاذهب، فإنه قد رُخص لنا في اللهو عند العُرس»[1].

ولكن الملاحظ هنا أن إشهار الزواج إنما هو بالدُّف، وأن اللائي يُغنين جوارٍ صغيرات، ثم هن إماء ليس فيهن عورة، أما الذي نسمعه هذه الأيام فشيء عجيب (والإسراف فيه ظاهر) توضع مكبرات الصوت، ويؤتى بالمطربات أو بالمغنيات ومعهن الطبول والمزامير والعود وتدفع لهن المبالغ، وإذا تعبت أو بُح صوتها فإلى جانبها آلة التسجيل تفتحها وتضعُ الموسيقى والأغاني الماجنة، وقد حرم الله لهو الحديث، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]. والأحاديث في تحريم الغناء معلومة -وليس هذا موضع بسطها.

ومن هنا يتبين لك وسطية الإسلام في اللهو المباح في العُرس، بين المانعين لكل شيء، والمسرفين في كل شيء؟!.

---

(١) د. صالح السلطان: في صالة الأفراح ص: ١٢.

(٢) سورة لقمان، الآيتان: ٦، ٧.

إخوة الإسلام هذه بعض مظاهر الإسراف في حفلات الزواج، وفي سبيل علاجها لا بد أن تتضافر الجهود لمنعها، ولابد أن نستشعر تقوى الله في نسائنا وأموالنا، لا بد من مزيد وعي المرأة بمضار الإسراف، ولابد من تخويفها عذاب الله حين تتجاوز حدود الله، لا بد أن نشكر أنعم الله علينا، وأن نستحضر أحوال المسلمين الآخرين من حولنا.

وأن هذا المال مسئولية في أَعناقنا، لا بد أن نشجع ونثني على المقتصدين، ونلوم ونؤاخذ المسرفين، اقتصدوا في دعواتكم وضعوا ما يكفي لأضيافكم، وضعوا لطلبات النساء حدًّا، وأطروا السفهاء على الحقِّ أطرًا، ورحم الله أسرة كان لها فضل في السبق في الاقتصاد وتخفيف تكاليف الزواج في رجالها ونسائها، وتحية لأولئك الأغنياء الذين ضربوا مثالًا رائعًا في عدم الكلفة رغم قدرتهم عليها، وبارك الله في أم أو بنت ساهمت مع وليها في تخفيف الأعباء على الشباب أو بنت في لباسها مثالًا للحشمة والحياء أمام بنات جنسها؟ ويا ليت الجمعيات الخيرية لمساعدة المتزوجين، والموسرين الباذلين يشترطون مساعداتهم للشباب عدم الكلفة والإسراف في الزواج.

اللهم اهدنا واهد بنا، اللهم أَعنا على أنفسنا وأَكفنا شرَّ شرارنا.



(٢) من مظاهر الإسراف في حياتنا(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

فأما بعد فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾(٢).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٣).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(٤).

أيها المسلمون! حديث اليوم استكمال للحديث قبله، عن الإسراف، وتعدد مظاهره في حياتنا، وآثاره في سلوكياتنا.

وحيث مضى الحديث عن الإسراف في الأفراح والمناسبات، فليت الأمر كان قصرًا على هذا -مع سوئه- فأفراحنا موسمية ومناسباتنا عارضة.. مع ضرورة العلاج والكفِّ عن الإسراف فيه، ولكن أمر الإسراف أعظم من هذا وأكبر، وهو يستحوذ على جزءٍ كبير من حياتنا، وهاكم بعض مظاهره.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ٥/٤/١٤١٨هـ.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٣.

وقبل هذا لا بد أن يحرر مفهوم الإسراف، والعلماء يقولون: إن بذل المال في سبيل الخير والحق لا يعد إسرافًا ولو أنفق ماله كله، وبذله في غير وجه الحق يعد إسرافًا ولو كان المنفق قليلًا.

فلدينا إسراف في المطعم والمشرب، فتجاوز اللقيمات اللاوتي يقمن الصلب، ونتعدى في الأنْصبة التي حددها الرسول ﷺ للطعام والشراب والنفس والراحة، حتى يستطيع المرء أن يذكر ربَّه وينشط لعبادته بيسر وراحة، قال عليه الصلاة والسلام: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محاله فثلث لطعامه، وتلث لشرابه، وثلث لنفسه**».

ونبالغ -أحيانًا- في اتباع ذلك لكميات من المشروبات، فتجتمع كلُّها في المعدة فتتعب في هضمها، ويطير منها ما يطير إلى الدماغ فيثقله عن التفكير ويسلمه للكسل والخمول، وإلى القلب فيقسيه.

ومع ما في هذا الإسراف -في المطعم والمشرب- من أضرار، فالمصيبة أعظم حين يتجاوز المسلم في أكله وشربه الحلال إلى الحرام، «**وكل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»[1].

ونسرف في الملبس حين نبالغ في جمع كمية من الملابس نلبس بعضها ولا نحتاج لبعضها الآخر، ولئن لم يسلم الرجال من الإسراف في الملبس، فالأمر عند النساء أعظم وأخطر، وبعضهن مشغوفة بكل موضة جديدة، وعلى علم بأحدث الموديلات الوافدة. ومحلات عرض الأزياء نموذج للإسراف في حياتنا، واعتقاد بعض النساء بضرورة الجديد الذي لم يُر من قبل لكل مناسبة- لا أساس له في

(١) صحيح الجامع الصغير ٤/ ١٧٢.

الشرع، ولا مكان له في العقل؟ وقع ذلك فالإسراف في تجاوز الحلال إلى الحرام في الملبس أدهى وأمر- وهو في حقّ الرجال والنساء- فإسبال الثياب، والتختم بالذهب، ولباس ثياب الشهرة، كلٌّ ذلك منهيّ عنه في حق الرجال.

وفي حقِّ النساء ما وصف أو شفّ، وما شابهت المرأة فيه الرجال، أو قلدت به أهل الكفر والضلال.

عباد الله ونُسرف - أحيانا في اتخاذ الزينة وتجميع الأثاث فنتخذ من التحف أغلاها، وتمتلئ بها أركان البيوت، ونظل نكدِّس من الأثاث والفُرُش ما نحتاج وما لا نحتاج.

وقد لا يمضي عليها طويل وقت حتى نملَّ منها ونفكر في تغييرها، ولدى البعض نزعة موسمية لتغيير الأثاث ما أنزل الله بها من سلطان- فآلات التبريد، أو غرف النوم، أو نوع المفروشات تغير لا لفسادها وعدم صلاحها.. بل لتقادمها، والحاجة إلى التجديد فيها.. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

والمصيبة أعظم حين يدخل الحرام في الزينة، فتُستخدم آنية الذهب والفضة، أو ما يطلى بشيء منهما في الأواني المستخدمة في بيوتنا ويكفينا أن نتذكر سويًّا قوله ﷺ: «**الذي يأكل أو يشرب في إناء الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»[١].

قال العلماء: والنهي يعمُّ ما كان من الذهب والفضة، وما كان مطليًّا بشيء منها[٢].

إخوة الإسلام! إسرافنا في الماء ظاهر حين نستنزف كميات من الماء تفوق

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) الشيخ ابن باز: التحذير من الإسراف والتبذير ص ٣٠.

حاجتنا، ولا نتواصى في الاقتصاد من الماء قدر ما يكفينا، ولربما كانت رقابتنا للبشر وخوفنا منهم أشدَّ من رقابتنا لله حين طغى الإسراف في حياتنا.

ومع ذلك فثمة إسراف في الماء قد يغيب عن أذهان البعض منّا، وتضافرت مدونات العلماء على تجليته لنا، إنه الإسراف في الوضوء والطهارة.

وقد عقد الترمذي -يرحمه الله- في سننه بابا في كراهية الإسراف في الوضوء[١].

وفي سنن ابن ماجه «باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه» وبه ساق حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: «**هذا الوضوء، فمن زاد على هذا، فقد أساء أو تعدى أو ظلم**»[٢] حسنه ابن حجر وقال: ولكن عدَّه مسلم في جملة ما أنكر على عمرو بن شعيب لأن ظاهرها ذمُّ النقص من الثلاث، وأجيب. بأنه أمر سماوي والإساءة تتعلق بالنقص، والظلم بالزيادة.

وقيل: فيه حذف تقديره (من نقص من واحدة) ويؤيده ما رواه نعيم بن حماد من طريق المطلب بن حنطب مرفوعًا: «الوضوء مرة ومرتين وثلاثا، فإن نقص من واحدة أو زاد على ثلاث فقد أخطأ»[٣].

وقال البخاري في «صحيحه» في كتاب الوضوء: وكره أهل العلم الإسراف فيه وأن يُجاوز فعل النبي ﷺ[٤].

---

(١) صحيح سنن الترمذي ١/ ١٨، ولم يصحح الألباني شيئًا من أحاديثه. انظر: الفتح ١/ ٢٣٢.
(٢) حسنه الألباني وجود إسناده ابن حجر (صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٧٢، الفتح ١/ ٢٣٤).
(٣) الفتح ١/ ٣٣٢.
(٤) انظر: الفتح ١/ ٢٣٢.

وعد العلماء الإسراف في الوضوء من (الوسوسة) المنهي عنها، ومن (مصايد الشيطان) للإنسان، وساق ابن القيم -يرحمه الله- في فصل (الإسراف في الوضوء والغسل) أكثر من حديث في ذلك، فليراجعه من شاء[١].

يا أخا الإيمان! ناهيك عن الإسراف في الشهوة، وتفريغ الطاقة في غير موضعها التي أمر الله بها، سواء كان ذلك عن طريق الزنا، أو اللواط.. عافانا الله والمسلمين من أسباب الردى، ومن صفات المؤمنين أنهم ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٢].

وليس يخفاك مصير قوم لوط، وقد سمى الله جُرمهم إسرافًا، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[٣].

ونهى الله عن (الزنا) واعتبره ﴿فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٤].

أيها المسلمون! ثمة إسراف عند فئة من الناس يحسن التنبيه عليه، إنه الإسراف في العزاء، حين يتكلف أهل الميِّت بإقامة الولائم للمعزين وربما خصوا اليوم الأول أو الثالث، أو الرابع، أو في الأربعين.. وكلُّ ذلك بدع منكرة لا أصل لها في شريعة الإسلام.

قال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: «كنا نعدُّ الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ١/ ٢١٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٥-٧.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٨٠، ٨١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

الطعام بعد الدفن من النياحة»[١].

والسُّنة أن يُصنع لأهل الميت طعامًا، لانشغالهم بميتهم، وليس العكس، فعليكم بالسنَّة واحذروا البدعة يرحمكم الله.

ألا فالتزموا شرع الله -معاشر المسلمين- ودعوا الإسراف والمخيلة والبدع المنكرة ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ كذا أمر ربُّكم، وحذركم من الإسراف وعواقبه في الدنيا والآخرة، فقال جلّ قائلًا عليمًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كلوا وتصدقوا، والبسوا في غير سرفٍ ولا مخيلة**»[٣]. نفعني الله وإياكم.



(١) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن (ابن باز: التحذير من الإسراف والتبذير ٢٤).
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٧.
(٣) أخرجه النسائي، وبنحوه البخاري تعليقًا ووصله ابن حجر (جامع الأصول ١١/ ٧١٧، ٧١٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين يقص الحقَّ وهو خير الفاصلين، أحمده تعالى وأشكره، وأثني عليه الخير كلَّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر النبيين.

إخوة الإسلام! إذا كان لدينا إسراف حسي، فلدينا إسراف معنوي، وهو لا يقل عن سابقه خطرًا..

ومن مظاهر إسرافنا المعنوي، الإسراف في الحديث، والإسراف في الصمت.
أما إسرافنا في الحديث فيتمثل في كثرة الحديث فيما لا يعنينا «**ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

وفي الرغبة في الحديث بكل ما نسمع «**وكفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»[١].

وفي رواية أبي داود والحاكم «**كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع**»[٢].

ونتساهل في رواية الأخبار، وبضاعاتنا: (يقولون) أو (زعموا) «**وبئس مطية الرجل زعموا**» كما قال عليه الصلاة والسلام بسند صحيح[٣].

والمصيبة أدهى حين يكون حديثنا غيبة أو نميمة أو سخرية، أو ظلمًا وعدوانًا، أو منكرًا وزورًا، أو كذبًا. وليست تخفى آيات القرآن، ونصوص السنة، نهيًا وتحذيرًا عن كل هذا.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح الجامع الصغير ٤/ ١٦٤.
(٣) رواه أحمد وأبو داود (صحيح الجامع الصغير ٣/ ١١).

ونسرف في الصمت حين يقل ذكر الله على ألسنتنا، ويندر تعطير أفواهنا بكتاب ربِّنا، نرى المنكر ونغتاظ له، فلا ننكره بألسنتنا مع قدرتنا على ذلك، ونحبَّ المعروف ولا نأمر به مع قدرتنا عليه، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

وقد عقد ابن القيم -يرحمه الله- فصلًا في (الهدي) فيما يكره من الألفاظ مثل: زعموا، وذكروا، وقالوا.. ونحوه.

تم عقد فصلًا آخر حذَّر فيه كلَّ الحذر من طغيان «أنا» و «لي» و«عندي» فإن هذه الألفاظ الثلاث ابتُلي بها: إبليس، وفرعون، وقارون، كما ورد في كتاب الله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ و﴿لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾. ثم قال: وأحسن ما وضعت له «أنا» قول العبد: أنا العبد المذنب المخطئ المستغفر...، و«لي» في قوله: لي الذنب ولي المسكنة ونحوه، و«عندي» في قوله: اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكلُّ ذلك عندي[1].

أيها المسلمون! نسرف في المدح أحيانًا ونزيد في الثناء بما هو واقع وغير واقع، ونقطع أعناق من نمدح من حيث نشعر أو لا نشعر، ويسري المدح فينا إلى درجة تنسينا أخطاءنا، ولربما اتهمنا من اقتصد في الثناء علينا، وأنّى لنا أن نجترئ على رمي الحجارة في وجوه المدَّاحين، أو قطع النول عنهم، كما أرشدنا إلى ذلك ديننا، وجاء الهدي عن نبينا ﷺ: «**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**»[2].

قال ابن الأثير في «النهاية»[3] المعنى: أي ارموا، يقال حثا، يحثو، حثوًا

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) رواه أحمد ومسلم وغيرهما (صحيح الجامع الصغير ١/ ٢١٥).

(٣) (١/ ٣٣٩).

ويحثي حثيًا يريد به الخيبة، وألا يُعطوا عليه شيئًا، ومنهم من يجريه على ظاهره فيرمي فيها التراب.

كما نسرف في الذم أحيانًا إلى درجة نتناسى معها كل فضيلة، ولا نذكر للمذموم أيّ منقبة، وهذا خلاف العدل الذي أرشدنا الله إليه، وهذا خلاف العدل الذي أمرنا الله به في القول مع الأقربين: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[(١)] ومع ذوي الشنآن الأبعدين بقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[(٢)].

إخوة الإيمان! نسرف في إهلاك الأوقات دون فائدة، ولربما مضى الوقت بما فيه مضرة، وهذا إسراف في إهدار الأوقات وسوف نسأل عنه. وكم تشهد بعضُ جلساتنا داخل أو خارج بيوتنا على إهدار قيمة الوقت سدى، والغرم أكبر حين يكون على مشاهدة أو سماع ما حرم الله علينا.

يا أخا الإسلام! نسرف في السهر أحيانًا -ودونما فائدة ترتجى- حتى تحمرَّ مقل أعيننا، وتضعف قوانا، وليته كان لتحصيل علمٍ، أو لمصلحة مجتمعنا أو أمتنا المسلمة.

ومن أسرف في السهر أسرف في النوم بعده، ولربما فوّت شيئًا من أوقات الصلاة، ومن باب أولى تضييع واجبات أخرى، وكم هو مؤلم أن ترى من يشهدون صلاة الفجر عددًا يسيرًا مقارنًا بالصلوات الأخرى، أو ليس ذلك بسبب الإسراف في السهر ثم الاستغراق والإسراف في النوم، وما أعظم الخطب إذا غزت هذه الظاهرة الأخيار، فتخلف البعض منهم عن الصلاة مع الجماعة، وجاء البعض

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

الآخر ثقالًا من السهر والإعياء!

يا أخا الإيمان! عدِّد ما شئت من مظاهر الإسراف في حياتنا حِسًّا أو معنى، فليس ذلك حصرًا لها، بقدر ما أردت الإشارة إلى ظاهرة تفشّت بيننا، والمهم: كيف نعالجها؟ وهاك بعض طرق العلاج لا بد -أولًا- من الشعور بالمشكلة، ولابد من تهيئة النفوس للخلاص منها. وتقوى الله وطاعته فيما أمر أو نهى سبيل للخلاص من الإسراف والله يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾[1]، كذا قيل لمن ينحتون من الجبال بيوتًا فارهين، ويعيشون في جنات ونعيم، وزروع ونخل طلعها هضيم. ثالثًا: ولابد من اليقين بأن هذا المال مال الله استودعنا إياه، وسيحاسبنا عليه. والذي تكبر وتجبر وطغى وأفسد وخرج على قومه في زينته وقال ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ خسف الله به الأرض وما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.

رابعًا: ولو استشعر المسرف أنه بإسرافه يشابه الشياطين ويشاكلهم لتوقف في إسرافه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾[2] قال المفسرون: إخوان الشياطين: أي في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته[3].

خامسا: ولابد من الأخذ على أيدي السفهاء المبذرين للأموال ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾[4].

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٥٠-١٥٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥.

سادسًا: تقييد النعمة وشكر المنعم يمنع الإسراف، ويزيد النعم ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١] ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢].

سابعا: ومما يعينك -يا أخا الإسلام- على الاقتصاد وترك الإسراف تذكرُ حال إخوانك المحتاجين، وهل يطيب لك الإسراف وغيرك يبحث عن الكفاف؟

ثامنا: ولابد من تضافر جهود العلماء والدعاة والخطباء ووسائل الإعلام على مقاومة هذه الظاهرة السلبية.

تاسعًا: ولابد من سماع قول الناصحين والبدء بأنفسنا قبل الآخرين.



(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

مَنْ المغتصبون[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن أصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

أيها المسلمون! في سبيل تحقيق الذات وانتصار المبادئ والانتقال من الذُّل والعبودية إلى العزة والتمكين، لا بد من عقيدة ينطلق المرءُ من تعاليمها، ولابد من قوة تحمي هذه العقيدة وتُهيء الطريق لها، وعلى قدر توفر القوتين الروحية والمادية تكون الغلبة، ويأذن الله بالتمكين ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

وعالم اليوم، بل وعالم الأمس، وغدًا.. عالم صراع الحضارات بمقوماتها المادية والمعنوية. إذ فهم اليهود والنصارى هذه الحقائق أكثر من فهم المسلمين لها، فأشادوا بناءهم الحضاري المادي على أحدث وسائل العلم والتقنية، ولم ينسوا الاعتماد على كتبهم المقدسة -وإن كانت محرفة- في حربهم للمسلمين.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ١٣/٥/١٤١٩هـ.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.

فالمصيبة أن يظل المسلمون في سُبات نوم عميق فلا هم في ميدان الحضارة والتقدم المادي حققوا شيئًا يذكر، ولا هم في الجانب الروحي تمسكوا بعقيدتهم الحقة، وانطلقوا من تعاليمها يوالون ويعادون ويتعلمون ويعلمون، ويستعدون للمواجهة في حينها.

عباد الله! لقد مرت بالمسلمين فترة خدعهم عدوُّهم حين رسَّخ في أذهان بعض المسلمين أن التمسك بالدين والانتماء للعقيدة سبب في ضعف المسلمين وتأخرهم، وأن العلمنة والتحرر من المبادئ سبيل التقدم والرقي.

ومنذ راجت هذه الأفكار، والمسلمون يسيرون في بيداء مهلكة يتمرغون في أوحال الهزيمة، وينتقلون ما بين الذُّل والفرقة، والضعف والقطيعة، وعدوُّهم يسومهم سوء العذاب، يستعمر بلادهم، ويعبث بمقدساتهم، ويتلاعب بمقدراتهم، ويفتعل الحروب، ويذكي الخلاف بينهم.

إخوة الإسلام! حتى يظل المسلمون في وهدتهم وضعفهم، عمد الغرب ولا يزال يعمد إلى وصف المسلمين بالتعصب ويشوه -في إعلامه- صورة دينهم، ورُمي بالتطرف والأصولية ونحوها من الألقاب، أبناء الأمة المسلمة. والحقُّ أنهم هم المتعصبون، وهم المتطرفون في أخلاقهم وأفكارهم، هذا ويعترف ساستهم ومفكروهم بهذا التعصب ويقول غوستاف لوبون «لقد تجمعت العقدُ الموروثة، عقدُ التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي»[1].

أيها المؤمنون! يشهد الواقع المعاصر على تعصب الغرب الكافر وتطرفه،

---

(١) وجهة العالم الإسلامي: ٣٨.

وتعترف كاتبة أمريكية بهذا حين تقول: «إن وزراء الثقافة في المجموعة الأوروبية يتسترون على أكبر جريمة قتل جماعي في أوربا، تقع تحت سمع وبصر الجميع، إن أجهزة التلفزيون تنقل كل ما يحدث بسراييفو لحظة بلحظة، ومع ذلك لم يتحرك أحد لمنع هذه الجريمة التي تقع في أوربا»[١].

ثم تتكرر الشهادة من كاتب أسباني، وهو يعلق على أفعال الصرب الإجرامية بمجاوزة القتل إلى تدمير المكتبات والمساجد فيقول: «بعد خمسة قرون تقريبًا على حرق المخطوطات العربية الغرناطية في باب الرملة.. تكرر المشهد بشكل أعنف حين حقق الصربُ أحلام انتقام أسلافهم بإحراق (٥٢٠٣) مخطوطة عربية وتركية وفارسية تبخرت إلى الأبد، هذا الكنز الذي تمَّ تدميره بهذه الطريقة البشعة يضم أعمالًا في التاريخ والجغرافيا والرحلات والفقه والفلسفة والعلوم الطبيعية.. إلى أن يقول: اليوم لا يبقى من المكتبة إلا حيطانها الخارجية، وفي الحقيقة فإن تلك الجريمة يمكن وصفها بدقة بأنها (اغتيال للذاكرة)؛ لأن المطلوب هو إزالة أي أثرٍ إسلامي من أرض صربيا الكبرى» انتهى[٢].

هكذا يعترف أبناء الغرب على تعصب قومهم وتطرفهم ضد المسلمين.

إخوة الإسلام! من يمعن النظر في تصريحات اليهود والنصارى يجد المنطلقات العقائدية حاضرة في أذهانهم، يرى البعد الديني واضحًا في سياستهم، وإليكم هذا التصريح من (مجلس حكماء التوراة) وقد جاء فيه:

«إن العالم ما خلق إلا من أجل إسرائيل، وواجب إسرائيل ومصدر جدارتها أن تعمل بالتوراة وتنفذها، والمكان الذي قضى الله بأن تعيش فيه إسرائيل وتحقق

---

(١) جريدة الحياة ١٤/ ١١/ ١٣٩٣.

(٢) ص١١، ١٢ من تعليق على التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي/ محمد العبدة).

التوراة هو أرض إسرائيل، وهذا يعني أن مبرر وجود العالم واستمرار لقائه هو إقامة النظام التوراتي على أرض إسرائيل»[١].

أيها المسلمون! تقوم العلاقة بين الغرب النصراني واليهود في إسرائيل على جذور تاريخية، ومنطلقات عقائدية، وهذا سرُّ الدعم اللامحدود من قبل الدول الكبرى لإسرائيل، ودونكم الحقيقة بجلاء يُصرح بها أحد قادة أمريكا السابقين يقول الرئيس الأمريكي جيمي كارتر أمام الكنيست الإسرائيلي عام **١٩٧٩**م: «إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة، لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه».

وفي خطاب آخر قال كارتر: «إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز النبوءة التوراتية وجوهره»[٢].

ثم يكشف مستشار كارتر للأمن القومي (بريجنسكي) الحقيقة للعرب المخدوعين بأمريكا ويقول: «إن على العرب أن يفهموا أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات الأمريكية العربية؛ لأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخي الروحي..».

فهل يا تُرى يقرأ العرب والمسلمون هذه التصريحات ويفقهوا ما وراءها؟

إن القادة أو المفكرين أو الإعلاميين من العرب والمسلمين الذين يصورون لأمتهم الغرب بغير هذه الصورة الواضحة بشهاداتهم هم ظالمون لأنفسهم،

(١) المسيحية والتوراة .. شفيق مقار ص١٢.

(٢) أمريكا وإسرائيل .. معروف الدواليبي، المقدمة ص٢٣.

ومضللون لأمتهم، وهم عناصر تعويق سبيل تقدم أمتهم ووعيها بحقيقة الصراع مع أعدائهم، ومؤلم أن يتقي الغربُ بهم ويُصدِّر أفكاره العلمانية عن طريقهم!!

ومؤلم أكثر أن يتكئ الغرب في صراعه مع العرب والمسلمين على كتب مقدسة -في زعمهم- والواقع أنها قد عبثت بها أيدي التحريف والتغيير. ويظل أهل القرآن -وهو الكتاب الحق- بمنأى عن تعاليمه.. ولربما حُرموا الحكم بشرعه، ولم يهتدوا للانطلاق منه، ومما صحَّ من سنة محمد ﷺ، وتلك وربي ضمانة الإيمان وشرطُه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].



(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

عباد الله! لا يقف تعصب اليهود والنصارى لعقائدهم المحرفة عند حدود التصريحات المجردة، بل جاوزوه إلى العمل بما يعتقدون، وسأسوق لكم نماذج لجماعات أصولية متطرفة، تتخذ من أمريكا وإسرائيل مقرًّا لها، وربما امتدت فروعها في دول أخرى، ومن عجبٍ أن تلقى هذه الجماعات الأصولية المتعصبة دعمًا ومساندة لها من الدول التي توجد فيها:

١- فهناك منظمة السفارة المسيحية الدولية، وهي منظمة صهيونية مسيحية، أُعلن تأسيسها في مدينة القدس المحتلة عام ثمانين وتسعمائة وألف للميلاد، وبحضور أكثر من ألف رجل دين نصراني، يمثلون ثلاثًا وعشرين دولة، وبحضور عدد من كبار المسئولين الإسرائيليين، وقد افتتحت لها فروعًا في سبع وثلاثين دولة في كل من أوربا الغربية، وأفريقيا، وكندا، واستراليا. أما في الولايات المتحدة وحدها، فقد بلغ عدد فروعها عشرين فرعًا، ويدير هذه الفروع كلَّها أصوليون متعصبون، وقد اختصر مؤسس هذه السفارة ومديرُها أهدافه بقوله: «إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم، وإن القدس هي المدينة الوحيدة التي تحظى باهتمام الله، وأن الله قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد»[١].

وتهدف هذه المنظمة النصرانية -كما جاء في منشورها- إلى تحقيق الراحة لبني

(١) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية .. يوسف الحسن ١٣٠.

صهيون، ولها مشاريع وأنشطة لخدمة إسرائيل في المنطقة- لا يتسع المقام لتفصيلها[١].

٢- المائدة المستديرة الدينية، وهي منظمة نصرانية أخرى داعمة لإسرائيل، وأبرز نشاطاتها حفلات الإفطار السنوية التي تقيمها للصلاة من أجل إسرائيل، ودعم سياستها وأغراضها، ودرجت على إصدار بيان عقب الصلاة تُبارك فيه إسرائيل باسم ما يزيد على خمسين مليون نصراني يؤمنون بالتوراة في الولايات المتحدة الأمريكية[٢].

٣- مؤسسة جبل المعبد، وهي منظمة صهيونية نصرانية، تتخذ من لوس أنجلوس مقرًّا لها، وتتركز أهدافها على إنشاء المعبد في القدس وإقامة هيكل سليمان المزعوم؟ وقد دافعت هذه المنظمة المتطرفة عن المعتقلين الإسرائيليين المتطرفين، الذين قاموا بتخريب وإتلاف أجزاء من المسجد الأقصى عام ثلاثة وثمانين وتسعمائة وألف، وتتحدث كاتبة أمريكية عن الخطط اليهودية والنصرانية الأصولية لتدمير المسجد الأقصى وبناء المعبد اليهودي فتقول: إن الزائر لمدينة القدس يسمع المتطرفين من اليهود وهم يتحدثون بصراحة وعلانية عن خططهم لهدم المسجد وبناء هيكل سليمان مكانه...

ثم تقول على لسان عالم آثار أمريكي يعيش في القدس: ويوجد مسيحيون متعصبون يشاركون اليهود القول بهدم المسجد الأقصى، كما شكل الصهاينة من

---

(١) انظر لتفاصيلها في (البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي ١٢٩-١٣٦).

(٢) المرجع السابق ص١٣٦، ١٣٧.

المسيحيين واليهود مؤسسة هدفها بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى - كما يقول الكتاب[١].

إخوة الإسلام! هناك منظمات وجماعات أصولية متطرفة أخرى، وأكتفي بذكر مسمياتها، ولعلها تشعر بأهدافها.

٤- هناك مؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل.

٥- مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل.

٦- المصرف المسيحي الأمريكي لأجل إسرائيل.

٧- وهناك غيرها، وهذه المنظمات النصرانية المساندة لليهود تتخذ من ولايات أمريكا مقرًّا لها ومركزًا لمناشطها، وهي تلقى كل دعم وتأييد من الساسة، حتى وجدت منظمة باسم منظمة الكونجرس المسيحي الوطني[٢].

وهذا كله يفسر سر العلاقة والدعم من دول الغرب عامة، وأمريكا خاصة لسياسة إسرائيل التوسعية في المنطقة، فأين يكون التعصب؟

ومن هم المتعصبون والمتطرفون حقًّا؟ إن من المؤسف أن تغيب عن أذهان المسلمين هذه الأنماط الأصولية المتطرفة من اليهود والنصارى في بلاد الغرب، ثم يحاول الغرب الماكر أن يتناسى هذه الجماعات المؤثرة ويتهمنا نحن المسلمين بالتعصب والتطرف، ليرمينا بدائه ثم ينسل، والمؤسف أكثر أن يستجيب لهذه التهم المفتعلة بعض أبناء جلدتنا، وتسير بها بعض وسائل إعلامنا، ونشارك من حيث نشعر أو لا نشعر في التستر على أصوليتهم المنحرفة وجماعاتهم المتطرفة، ونكون

---

(١) المرجع السابق ص١٤٠.

(٢) المرجع السابق ص١٤٩.

مع أعدائنا على أبناء عمومتنا وجيراننا، بدل أن نكون معهم على عدوهم وعدونا.

إخوة الإيمان! لعلنا بهذه الإشارات الموجزة ندرك مواقع الأصولية والتطرف، وندرك كذلك منشأ المصطلحات وكيف تصدر، وقد وُفق الشيخ الدكتور بكر أبو زيد -حفظه الله- وأجاد في حديثه عن الأصولي والأصولية، ومما قاله: فهذا اللقب (أصولي) أصيل في مبناه طريٌّ في معناه، بل فاسد تسربل هذا المبنى حتى يسهلَ احتضانه والارتماء في حبائله.

لكن ماذا تحمل من معنى في محلها الذي ولدت فيه (أمريكا)؟

إنها تعني ديانة نصرانية كهنوتية ترفض كلَّ مظهر من مظاهر الحياة وتراه خروجًا على الدين. ولهذا فإن النصارى ومن في ركابهم من أمم الكفر في عدائهم العريق لملة الإسلام سحبوا هذا اللقب على كل مسلم مرتبط بدينه الإسلام: قولًا، وعملًا واعتقادًا فسربلوه بهذا اللقب الأصولي، وما يتبناه هو (الأصولية).

ثم قال: ولهذا فكم رأينا من أغمار استملحوه فأطلقوه وامتحنوا الأمة به، ثم أوجد الحداثيون في عصرنا ألقابًا أخرى في هذا المعنى لمن تمسك بالإسلام، منها: الماضوية، التاريخانية، الأممية.

ثم نقل الشيخ كلامًا جميلًا آخر لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ﵀: ومصطلح الأصولية وكيف خدمت وكالات الأنباء العالمية مخططات الأعداء بترويج نداء المصطلح على المتمسكين بالإسلام، وكيف وقع بعض الإعلاميين في مصيدة الأعداء إما عن جهل بمقاصد أصحابها، أو لغرض في نفوسهم.. الخ كلامه. هكذا نقل الشيخ[1].

(١) د. بكر أبو زيد: معجم المناهي اللفظية ص١٠٣، ١٠٤.

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم أظهر الهدى ودين الحق الذي بعثت به نبيك على الدين كله ولوه كره الكافرون والمنافقون.



هل من مدَّكِر؟[١]

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكورًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قضى أجلًا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أوحى إليه ربُّه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٢].

اللهم صلِّ وسلم علية وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأما بعد: فاتقوا الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[٣]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[٤].

أيها المسلمون! يتعاقب الليل والنهار، ويجيء العام بعد العام، وتتعاقب الأجيال إثر الأجيال، وتفنى أمم وتنشأ دول، واندثرت في غابر الزمن حضارات، والوليد منها الآن في طريقها إلى الزوال، وهكذا الحياة والأحياء لا يدوم لها ولهم

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ٣/ ١/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ١.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٣.

حالٌ على شأن، وصدق الله إذ يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[١].

سبيل الخلق كلِّهم الفناء فما أحد يدوم له البقاء
يقربنا الصباح إلى المنايا ويدنينا إليهن المساء
فلا تركب هواك وكن مُعَدًّا فليس مقدَّرًا لك ما تشاء

يقول الربيع بن برَّة: عجبت للخلائق كيف ذهلوا عن أمرٍ حقٍّ تراه عيونهم، تشهد عليهم معاقد قلوبهم إيمانًا وتصديقًا بما جاء به المرسلون، ثم ها هم في غفلة عنه سكارى يلعبون!.

ثم يقول: وايم الله ما تلك الغفلة إلا رحمة من الله لهم ونعمةً منَّ الله عليهم، ولولا ذلك لأُلفي المؤمنون طائشة عقولهم طائرة أفئدتهم، منخلعة قلوبهم، لا ينتفعون مع ذكر الموت بعيش أبدًا[٢].

ابن آدم إنما أنت جثة منتنة طيّب نسيمك ما ركب فيك من روح الحياة، ولو قد نزع منك روحك ألفيت نفسك جثة ملقاة منتنة وجسدًا خاويا، ومهما تطاولت فلن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا، أتراه عمَّر من قبلك، أم كانوا أحاديث وعبرة للمعتبرين ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٣].

تُرى ما قيمة الحياة في نظرك؟ أيكفي أن تعيش نهارك هائمًا على وجهك بلا هدف نبيل، وتقضي ليلك نائمًا دون ذكر وتفكر في ساعة الرحيل؟ إنها عيش

(١) سورة الرحمن، االآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٣/ ٣٥٣.
(٣) سورة سبأ، الآية: ١٩.

البهائم، وحلية غير المؤمنين، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(١).

لقد خلق الله الحياة والموت لغاية سامية عرفها المؤمنون، فسعوا للآخرة سعيها، ولم ينسوا نصيبهم من الدنيا، حسَّنوا أعمالهم لملاقاة ربِّهم، واستوقفتهم توجيهات القرآن ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾(٢).

أيها المسلمون! بالأمس القريب بدأت ورقة تقويم جديد، وقبله انتهت آخر ورقة في التقويم القديم، أفلا يذكرك ذلك بقيمة الحياة وسرعة الزمان.. وأمدُ الحياة الدنيا مهما طال في نظرك فهو في حساب الله قليل ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ولئن غفل الإنسان عن هذه الحقيقة في الدنيا فهو متذكر ذلك لا محالة يوم يلقى الله ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾(٣).

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾(٤).

إنها نهاية شهر ذي الحجة وبداية شهر الله المحرم تعني انقضاء ثلاثمائة وستين يوما، وتعني مرور ما يزيد على ثمانية آلاف ساعة؟!. ترى أيها المسلم! كم أفاء الله عليك -خلال هذه المدة- من نعمة؟

وكم دفع عنك من نقمة؟ كم فتنة وقعت من حولك ووقاك الله شرها؟ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٢.
(٢) سورة الملك، الآية: ٢.
(٣) سورة يونس، الآية: ٤٥.
(٤) سورة النازعات، الآية: ٤٦.

يَذَّكَّرُونَ﴾(١). فهلا تبت وتذكرت كم مصيبة حلت بنا بما كسبت أيدينا؟ وكم عفى الله وتجاوز عنا؟ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾(٢). فهل آمنا وصبرنا واحتسبنا؟.

عباد الله! إن شأن الناس في الدنيا عجيب يلهون ويلعبون والكرام الكاتبون لهم حافظون يعلمون ما يفعلون، وينسون وكلُّ ذرة من أعمالهم محسوبة، وسوف يسألون ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٣).

تُرى يا عبد الله! أيغيب عن ربِّك أعمالٌ استحييت أن يراها الناس؟ فتواريت عن أعينهم في عام مضى، وستر الله عليك في هذه الحياة أتراك تتمادى هذا العام؟ أم تتوب إلى الله وأنت تُدرك أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب؟ أفلا تخشى الفضيحة على رءوس الأشهاد، حين يتخلى عنك القريب، وتشهد عليك الجوارح ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(٤).

فيا أخا الإسلام! إياك والغفلة عما أمامك من أهوال يوم القيامة، فذاك يوم يشيب له الولدان، وتضع الحوامل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، وإياك والاغترار بهذه الحياة، ومجالسة من يؤمنونك دائمًا وإن كنت على شفير يكاد ينهار، واستمسك بصحبة الأخيار وإن ذكروك المصائب

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٦.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٦.
(٤) سورة يس، الآية: ٦٥.

والأهوال، قيل للحسن: يا أبا سعيد كيف نصنع نجالس أقوامًا يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال: والله إنك إن تخالط أقوامًا يخوفونك حتى يدركك أمن، خير من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يدركك الخوف(١).

يا أخا الإيمان! لا يغرنك الشباب والصحة والأمان، فقد يفجأك ما ليس في الحسبان، قال عبد الله بن شُميط: سمعت أبي يقول: أيها المغترُّ بطول صحته! أما رأيت ميتًا قطُّ من غير سقم؟ أيها المغترُّ بطول المهلة أما رأيت مأخوذًا قطُّ غِرّة؟ أبالصحة تغترون؟ أم بطول الأمل تأمنون؟ أم على ملك الموت تجترءون؟(٢).

إن من السفه والخسران المبين أن ينسى المرء لقاء ربِّه، ويرضى بالحياة الدنيا ويطمئن إليها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(٣).

عباد الله.. من الاتعاظ بالزمن أن تهذب المرء التجارب، وتقوِّم عوجه الأيام، وهل المصائب والنوازل إلا دروس يتعلم منها الجاهل، ويصحو الذاهل، ويتوب إلى الله من نأى عنه، قال الله تعالى. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٤).

وإذا كان من طبيعة البشر أن يعرفوا ربهم ساعة الشدة، ويلجأوا إليه عندما تستحكم الأزمة، فعقلاء البشر هم الذين إذا أصابتهم ضائقة فعطفتهم على الله

---

(١) الإحياء ٤/ ١٧٠.

(٢) عبد الملك القاسم، لحظات ساكنة ١٥، ١٦.

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

استبقوا هذه الصلة قوية متينة بعدما تزول الضائقة، ويستجدُّ العافية، فإن من الخسَّة جحد فضل الله مظنة الاستغناء عنه، وهاكم نموذجًا لسيرة طائشة لا يليق أن يسلكها امرؤ نبيل مع ولي نعمته، يذكِّرنا بها القرآن ويصف الله أصحابها بالإسراف فيقول: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

وبعد يا أخا الإسلام! إذا اختلت الموازين فما أحراك أن تعلم الميزان الحقَّ فتزن به، وتحاسب نفسك عليه، والحقُّ تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾(٢).

نفعني الله وإياكم بهدي القرآن، ووفقنا لاتباع سنة خير الأنام، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.



---

(١) سورة يونس، الآية: ١٢.

(٢) سورة القصص: الآيتان ٦٠، ٦١.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقلب الليل والنهار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقام من الليل حتى تفطرت قدماه، ولما قيل له في ذلك قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**». اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

يا أخا الإسلام! إني سائلك ونفسي: بم نودع العام المنصرم، وكيف نستقبل العام الجديد؟.

إن مما يليق بالعقلاء، ويفقهه أهل الديانة النبلاء أن يودع العام المنصرم بالتوبة الصادقة من الذنوب. والتوبة أمر ودعوة دعا الله إليها المؤمنين وعلق عليها الفلاح، فكيف بمن دونهم من المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١). ووعد بالقبول عليها فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾(٢).

وإذا علم أن التوبة للجميع فكلّ ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون، فينبغي أن تعلم كذلك أن التوبة كما تكون من فعل السيئات وارتكاب المحرمات، تكون أيضًا من ترك الحسنات ولم يستزد من الطاعات، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمن لا يواظب على السنن الرواتب فأجاب: «من أصرَّ على تركها دلّ ذلك على

(١) سورة النور، الآية: ٣١.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

قلة دينه، ورُدَّت شهادته في مذهب أحمد والشافعي وغيرهما»[١].

وابن تيمية وهو يؤكد هذا المعنى للتوبة يرى أن التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهم من التوبة من فعل السيئات المنهيِّ عنها، ويقول مصححًا لفهم الجهلة «وليست التوبة من فعل السيئات فقط، كما يظن كثير من الجهال، لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العبد من القبائح كالفواحش والمظالم، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهمُّ من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها، فأكثر الخلق يتركون كثيرًا مما أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها، وأقوال البدن وأعماله وقد لا يعلمون أن ذلك مما أمروا به أو يعلمون الحقَّ ولا يتبعونه فيكونون إما ضالين بعدم العلم النافع، وإما مغضوبًا عليهم بمعاندة الحقِّ بعد معرفته»[٢].

يا أخا الإيمان! إذا أجمعت التوبة والندم بقلبك على ما فرطت فيه من عمل السيئات أو الزهد من عمل الحسنات، فعوّد لسانك على كثرة الاستغفار فقد صحَّ في الخبر «**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلِّ هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[٣].

أيها المسلم.. وكلما تذكرت نعمةً أنعم الله بها عليك في عامك المنصرم فاشكر الله عليها، فالله تعالى يحب الشاكرين ويجزيهم وهو القائل: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٤]. واعلم أن أعظم نعمة منَّ الله بها عليك نعمة الإسلام والإيمان، وإن تذكرت مصابًا أو حزنًا أو شدة مرت بك وعافاك الله منها فلا تنس فضل الله

(١) الفتاوى ٢٣/ ١٢٧.

(٢) التوبة لابن تيمية ص٤٢، عن د. صالح السدلان: التوبة إلى الله ٣٦.

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد وغيره، وحسنه ابن حجر في الأمالي/ ٤٥. وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٢٣٤) التوبة وسعة رحمة الله لابن عساكر ١٢٤ ص ١٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

عليك، إذ عافاك واحتسب أجر ما أصابك عند الله..

أيها المسلم الصادق مع نفسه ومع ربِّه، حريّ بك أن تستقبل العام الجديد بهمة نشطة، وعزيمة على الخير صادقة، متحريًا في عملك الإخلاص لربِّك، والمتابعة لسنة نبيك ﷺ، تذكر وعد الله وغرور الدنيا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾، وتنبه لمعركة الشيطان معك وعداوته لك وإياك أن تكون من أصحاب السعير ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

جدد حياتك وانس ماضيك السيئ، وعاهد نفسك وأشهد ربَّك على فتح صفحة جديدة في الحياة، ملؤها العبودية الحقة لله بلا إفراط ولا تفريط، وخذ من عمل الصالحات ما تطيق، فإن الله لا يملُّ حتى تملَّ، وفي الحديث الآخر: «**خذوا من العبادة ما تطيقون فإن الله لا يسأم حتى تسأموا**»[1].

أرِ الله من نفسك خيرًا، وتصور مسيرة الناس على الصراط وقد نُصب على متن جهنم وهو أدق من الشعرة وأحدّ من السيف، والناس فيه يسيرون على قدر أعمالهم فمنهم من هو كالبرق ومنهم كالريح ومنهم كأجاود الخيل، ومنهم من يسرع، ومنهم من يزحف ويحبو، ومنهم من يخردل في النار.. هناك في هذا الموقف لا ينفعك النسب ولا يغني عنك الحسب وتضيع عنك مقامات الدنيا كلُّها، وتبقى كلُّ نفس بما كسبت رهينة، وإليك هذا المشهد من مشاهد القيامة معجلًا لك وصفه في الدنيا للذكرى فتذكره جيدا وأعد للسؤال جوابا يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَمَنۡ خَفَّتۡ

(١) رواه الطبراني بسند صحيح (صحيح الجامع ٣/ ١٠٨).

مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[١].

احذر الفضيحة على رءوس الأشهاد، وإياك أن تكون حيًّا جسديًّا لكن قلبك في عداد الموتى، أترغب أن تكون في مجتمعك عبئًا ثقيلًا؟ أم تراه يليق بك أن تكون في أمتك رقمًا هامشيًّا، افعل الخير لنفسك، وساهم في استصلاح مجتمعك وأمتك، فكّر مليًّا في مدخل مالك ومخرجه، وسائل نفسك عن رعايتك للأمانة التي استرعاك الله إياها من أهل وبنين وجيران ومحتاجين، كيف محافظتك على الواجبات وكيف امتناعك عن المحرمات؟ إلى غير ذلك من أسئلة أنت أدرى بها في محاسبة نفسك، وليكن مما يعينك على ذلك كلِّه ألا يطول أمد الحياة في ذهنك، «**فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك**»[٢].

ولا تتوقف عن العمل الخيِّر والعطاء المثمر حتى تتوقف أنفاسك ويأتيك الموت، ومما يعينك كذلك على مسيرة الخير أن تتبع السيئة بالحسنة تمحها، وفي التنزيل قال ربنا: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾. وهل تعلم أن الحسنة تفك خناق السيئة؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**مثل الذي يعمل السيئات ثم**

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠١، ١١١.

(٢) الفتح (١١/ ٢٣٢).

يعمل الحسنات كمثل رجلٍ عليه درع ضيقة قد خنقته، فكلما عمل حسنة انتقضت ثم أخرى حتى يخرج إلى الأرض»[١].

ولا شك أن اختيار الرفيق الصالح خيرُ معين على تجاوز هذه الحياة، فالمرء على دين خليله، والمرء مع من أحب، والأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.

أيها المسلمون تلك لمحات سريعة لمحاسبة النفس على مستوى الفرد مع إطلالة العام الجديد، ويتبع بعد ذلك محاسبة على مستوى المجتمع والأمة أرجئ الحديث عنها.



(١) رواه أحمد في المسند والطبراني في الكبير وصححه الهيثمي في المجمع.

الشباب والإجازة[1]

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر النبيين وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأما بعد فاتقوا الله أيها الناس، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3].

أيها المسلمون! ابتدأت امتحانات الطلبة والطالبات وانتهت أو كادت، وللحديث على أبواب الإجازة أهمية ووقفة، بل وقفات، يسأل فيها عن الأوقات كيف تقضى، وعن الطاقات كيف تُحفظ وتستثمر، وعن الأموال كيف وأين تنفق؟ وكأني بأسئلة تدور في أذهان الكثيرين - أين ستقضى الإجازة؟ وبم يستثمر الوقت؟

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ١٥/ ٢/ ١٤١٨هـ.
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ١.

وما الهدف من الرحلة والنزهة؟ وما حجم النفقة المبذولة؟ وما هي الفوائد المرجوّة والمخاطر المتوقعة من الرحلة هنا أو هناك؟

وأبادر الإجابة قبل اكتمال الأسئلة الكثيرة فأقول: لا بد أن يتذكر المسلم -بادئ ذي بدء- مسئوليته أمام الله عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه، وعن علمه ما عمل به، كذلك صح الخبر عن الصادق المصدوق ﷺ.

ولا بد من التذكير بأن المال والسؤدد، والصحة والولد نعمة ومسئولية، فمن رعاها حقَّ رعايتها أفلح ونجح، ومن أهملها وتخوّض فيها بغير علم وحق ونسي حقَّ الله فيها خاب وخسر، ونسيه الله يوم يلقاه، والجزاء من جنس العمل.

قال عليه الصلاة والسلام: «**يُؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له (ربُّه) ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا، ومالًا وولدًا، سخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظنُّ أنك ملاقيَّ يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني**»(١).

يا صاحب الشأن توقف إن كنت عازمًا على شيء يغضب ربَّك، ويا صاحب الأسرة رويدك وسائل نفسك ماذا قدمت لأسرتك من أساليب التربية للخير وطرق الوقاية من الشر.. وليس يخفاك أنك تعيش في عالم تتضارب أمواجه، وكلٌّ يقدم إليك بضاعته، ومن قديم الزمان يوجد في البضائع ما يشترى بأغلى الأثمان، ومنها ما فيه حتف الإنسان وهلكته ولو عُرض بأبخس الأثمان؟

أيها الآباء والمربون! دوركم كبير ومسئوليتكم عظيمة مع الأبناء، ولئن كانت

---

(١) أخرجه الترمذي بإسناد حسن، وبنحوه عنده مسلم (جامع الأصول ٤/ ٤٣٧، ٤٣٩).

المدرسة -حين الدراسة- تشارككم مسئولية التربية، فها أنتم في الإجازة تنفردون وحدكم في مسئولية أبنائكم، فما أنتم صانعون؟ أيظل الوضع كما كان وتسير الأمور من حسن إلى أحسن ولا يشعر الطالب بفارق التربية بين المنزل والمدرسة، وتظل أوقاته بما ينفع مستثمرة، وسلوكياته منضبطة، أترونه ينكشف الإهمال، ويبدو ضعف المتابعة، وتبدو على الشباب سلوكيات منحرفة، واجتماعات غير معلومة، وسهرات صاخبة، وينكشف لك أن جزءًا كبيرًا من استقامة ابنك وصلاحه يعود الفضل فيه بعد الله إلى مدير مدرسة حليم حازم، ومعلم فهم دوره ومارسه في التربية والتوجيه، ومرشدٍ زاول الإرشاد بكلِّ أمانة وإخلاص فتعرف على مشكلات الطلاب الاجتماعية والخلقية واقترح لها من الحلول ما ظهرت آثاره على الطالب خُلُقًا حميدًا ومستوى دراسيًّا متفوقًا.

أيتها الأمهات! أنتن شريك مهمٌّ في التربية، وقد يخفى على الآباء ما يكشفه الأبناء والبنات لكُنَّ، فقدرن مسئوليتكن وكنَّ عونًا للآباء في مسئولياتهم، ولا شك أن دوركن مع البنات أكبر، وأنتن بهنَّ من الآباء ألصق ولأمورهن الخاصة أدرى وأعرف، فعلموهن ما يجهلن وهيئوهنّ للحياة الأسرية القادمة، ورحم الله امرأة أخرجت بنتها للحياة الزوجية بأبهى حُلَّة، وأكبر تجربة، وأكرم تربية، لا تُعاب في عملها، ولا مطعن عليها في دينها وخلقها، ولا ينفر الآخرون من سوء أدبها وتعاملها، وإذا خُشي على الأبناء من صاحب السوء، ونافخ الكير، ومجموعة الشلل الضائعة، ورؤية المشاهد المحرمة - كانت الخشية على الفتيات من الأفكار المعلبة المصدرة، والصور الخليعة الفاضحة، والمكالمة الهاتفية المثيرة، والصوت الغنائي الماجن، وهواجس النفس المتخيلة، والخروج للأسواق بلا حاجة. . إلى غير ذلك من أمور قد تزيد فيها الفتاة على الفتيان نظرًا لكثرة الفراغ عندها.

عباد الله! قد اعتاد بعضُ الناس على السفر في الإجازة لصلة قريب، أو زيارة صديق، أو زيارة الرحاب الطاهرة، وأداء مناسك العمرة، أو للمتعة البريئة والراحة، وتجديد طاقة النفس بعد كلالها، والسير في مناكب الأرض، والتفكير في مخلوقات الله فيها. وكل ذلك مشروع ومرغوب.. ولكن الذين عليهم أن يفكروا قبل أن يسافروا أولئك الذين اعتادوا السفر للخارج وما فيه من مخاطر ومأثم، وابتزاز للأموال وخدش للحياء والدين، أولئك الذين لا يتورعون عن الذهاب لأماكن الخنا ولا يلتزمون آداب الإسلام وحدوده حين الغربة والخفا، لقد حبانا الله في هذه البلاد المباركة نعمًا لا تعد ولا تحصى، وقيمًا ومآثر نفاخر بها حتى نبلغ الجوزاء. فالحرمان الشريفان لا يستكثر لهما زيارة، ولهما وللمسجد الأقصى (حرره الله من أوغاد اليهود) تشدُّ الرحال.

وفي بلادنا يتوفر السهلُ والجبل، والبرُّ والبحر والمناطق الباردة صيفًا، والدافئة شتاء.. أفنزهد في ذلك كلِّه وتستهوينا الدعايات المضللة للسفر للخارج؟

أيها المسلمون! ثمة ما يستحق التنبيه ويستوجب الحذر إذ تصدر بعض المؤسسات الأجنبية مستندات تندرج تحت بادرة النصب والاحتيال، مثل ما يُسمى بمسابقات لعبة الدولار الصاروخي التي تجريها بعضُ الشركات والمؤسسات وتشتمل على أكل أموال الناس بالباطل والتغرير بهم.

لذا فإنني أحذر كلَّ مسلم من هذه المستندات المشبوهة، وأوصيه بالابتعاد عن المعاملات المحرمة وما شابهها، فإنها من أعظم كبائر الذنوب، لما تشتمل عليه من ربا الفضل وربا النسيئة، وكلاهما محرم بإجماع المسلمين، وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من تحريم الربا والميسر والقمار ما هو حاضر ومعلوم للعامة والخاصة[1].

(١) انظر: تعميم الأوقاف رقم ٨٢/ ١ وتاريخ ١٣/ ١/ ١٤١٨هـ.

يا أخا الإسلام! حريّ بك أن تحفظ نفسك ومن تحت رعايتك من الحرام، وأن ترعى الأمانة التي تحملتها، واسمع هدي المصطفى ﷺ وليكن منك دائمًا على البال، فقد أخرج الإمام أحمد وغيره بأسانيد حسنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ الأمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة**»(١).

كن طيبا أيها المسلم في حديثك ومطعمك، وفي صدورك وورودك وفي شأنك كلِّه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، ويوم القيامة تكون حسن العاقبة للطيبين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢)، نفعني الله وإياكم بهدي القرآن.



(١) انظر: صحيح الجامع الصغير ١/ ٣٥١، وسنن الترمذي ٤/ ٥٧٧ واللفظ له.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٢.

الخطبة الثانية:

الحمد لله بكل حال والمعبود على الدوام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تفرد بكل كمال، وتفضل على عباده بجزيل النوال، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بكريم الصفات، وجميل الخصال، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر المبعوثين قبله، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أيها المسلمون! أعودُ إلى الشباب ثروة الأمة المنتظر، عنصر حركتها، ومصدر طاقتها.. ودليل حيويتها، وسبب نهضتها، أعود إليهم مذكرًا -وهم على أبواب الإجازة- بقيمة الوقت، وعلو الهمة، وأقول كما قال مَنْ قبلي: «أيها الشباب إن الشهوات والعواطف، وحبَّ الراحة، وإيثار اللذات، هو الذي يسقط الهمم ويُفتِّر العزائم، فكم من فتيان يتساوون في نباهة الذهن، وذكاء العقل، وقوة البصيرة، ولكن قويَّ الإرادة فيهم، وعالي الهمة منهم، ونفّاذ العزيمة فيهم هو الكاسب المتفوق، يجد ما لا يجدون، ويبلغ من المحامد والمراتب ما لا يبلغون، بل إن بعض الشباب قد يكون أقلَّ إمكانيات، وأضعف وسائل ولكنه يفوق غيره بقوة الإرادة وعلوِّ الهمة، والإصرار على الإقدام..»[١].

إن من المؤسف حقًّا أن يعيش شباب في عمر الزهور، واكتمال القُوى لا يُبالون في إضاعة أوقاتهم سُدى، بل إنهم يسطون على أوقات الآخرين ليقطعوها باللهو الباطل، والشئون الساقطة والأمور المحتقرة.

يجب أن يُنقذ شباب الأمة من هذا الذهول المهلك والغفلة عن الغد، واستغراق مميت في الحاضر.

---

(١) صالح بن حميد، توجيهات وذكرى م ٢/٢٠٦، ٢٠٧.

ومن الغفلة والحرمان وسبيل فناء الأمم أن يألف شباب أصحاء النوم حتى الضُحى، تطلع عليهم الشمس وتتوسط كبد السماء وهم يغطون في نوم عميق، قد بال الشيطان في آذانهم، وإذا قام أحدهم فإذا هو ثقيل النفس، خبيث النفس، هزيل القوى، كسلان، على حين تطلع الشمس على قوم آخرين من غير أهل الإسلام وهم منهمكون في وسائل معاشهم وتدبير شئونهم وسنن الله تأبى إلا أن يُعطى كلُّ امرئ حسب استعداده وعمله وجدِّه. والسماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة(١).

أيها الشاب! لا يستوي منكم من حفظ وقته، واستفاد من سني عمره، وقدَّر الشباب حقَّ قدره، فجدَّ واجتهد وسارع للعلياء بهمة ودأب.. ومن فرّط وسوّف وظن أن المستقبل سيكون أكثر فراغًا من الحاضر، فما هذا إلا وهم وسراب، والواقع يشهد أنه كلما كبُرت سِنُّ المرء كثرت مسئولياته وضاقت أوقاته، وضعفت طاقاته، فالوقت في الكِبَر أضيق، والجسم فيه أضعف، والصحة هزيلة، والنشاط كليل. فبادروا ساعتكم واستثمروا شبابكم، ولا تهدروا طاقتكم وإياكم والتعلق بالغائب المجهول، وما التسويف إلا تفويتٌ للحق، وخسران لليوم، وتضييع للغد.

معاشر الشباب! لن يُحسَّ بالفراغ، أو يشعر بطول الوقت وثقل الأيام من كان على وقته حريصًا ولآخرته ساعيًا وفي دنياه عاملًا.. ولقد كان السلف الصالحون يمقتون المرء لا هو في عمل للآخرة ولا شغل للدنيا.

ألا وإن الأعمال التي يمكن أن يستثمر الشابُّ فيها وقته على الدوام -وفي أيام الإجازة خصوصًا- كثيرة متنوعة، وأذكر بشيء منها على سبيل التنبيه لا الحصر.

فكتابُ الله خير ما قضيت به الأوقات، واستنفدت له الأعمار حفظًا،

---

(١) ابن حميد، المرجع السابق ص ١٣٦.

ومراجعة، وتدبرًا، ومن التحدث بنعم الله أن فئات من الشباب الصالح هذا شأنهم، والأمل في الله كبير أن يلحق بهم غيرهم.. بل تجاوزت همم بعض الشباب إلى حفظ متون السنة، وكثرة القراءة في كتب العلم دون أن يقعدهم ذلك عن معرفة واقعهم والمتابعة لأحوال أمتهم، وما أجمل الشباب يعيدون للأمة سالف مجدها، ويحيون تراثها، ويجددون ما اندثر من كنوز العلم وجمهور العلماء السابقين في تاريخها، ويُسرون لأفراح أمتهم ويشاركونها أحزانها دون أن يداخلهم شيء من الغرور والكبرياء، أو يصدروا أحكامًا أو يتصدروا للفتيا وهم بعدُ في رحلة الطلب، ولهم في صحابة رسول الله ﷺ أسوة، وقد كانوا يتدافعون الفتيا، وهم مَنْ هُم علمًا وعملًا.

أيها المسلمون! إذا كان لجماعات تحفيظ القرآن الكريم دورٌ يذكر فيشكر وحلقهم تملأ المساجد والمدن والقرى، وتفتح أبوابها للراغبين وتنفق على المعلمين والمتعلمين فلجمعيات البر الخيرية، وللمعاهد الفنية دورها في افتتاح الدورات المتخصصة وإسعاف الشباب بالمهارات المختلفة، فضلًا عن مناشطها الثقافية وخدماتها المختلفة.

وترعى وزارة المعارف -مشكورة- المناشط اللامنهجية طوال العام، وتُعنى بالمراكز الصيفية في الإجازات الصيفية ومنتصف العام، وهي مراكز تُعنى بحفظ أوقات الشباب ورعاية مواهبهم واستثمار طاقاتهم إذا توفر لها العاملون الأمناء والمشرفون الأكفاء، وتفتح النوادي الأدبية أبوابها للشباب يقرءون ويقترحون وفي المسابقات الثقافية والأدبية يتنافسون، وهم على كلِّ عمل خير مشكورون وكم هي لفتة طيبة حين تُعنى مكاتب الخدمة المدنية، أو شركات القطاع الخاص بتوفير فرصٍ وظيفية للشباب في الإجازات يقضون بها فراغهم ويسدون بها حاجاتهم.

أيها الشباب! ثمة فرصة يزهد بها البعض منكم رغم أهميتها..

إنها الجلوس بعض الوقت مع الشيوخ المجربين، والاستماع إلى أحاديثهم، والاستفادة من خبراتهم، لقد قيل: إن الشيوخ أشجار الوقار ومناجع الأخبار لا يطيش لهم سهمٌ، ولا يسقط لهم وهمٌ، إذا رأوك في قبيح صدُّوك، وإن أبصروك على جميلٍ أيدوك وأمدوك، كما قيل: عليكم بآراء الشيوخ فإنهم إن فقدوا ذكاء الطبع فقد مرّت على عيونهم وجوه العبر، ووردت على أسامعهم آثار الغَير، ومن طال عمره نقصت قوة بدنه، وزادت قوة عقله، والأيام لا تدع جاهلًا إلا أدبته، وكفى لأولي الألباب ما جربوا(١).

أيها الشباب.. استفيدوا من تجارب من سبقكم، وأضيفوا إلى رصيد معارفكم خبرات ومعارف من سبقكم - برّوا بوالديكم، وإياكم أن تنظروا إليهم على أنكم عالمون وهم جاهلون.. وقدموا طاعتهم على طاعة غيرهم بالمعروف، وعاملوهم بالرأفة والإحسان، فذلك هدي القرآن وطريق الجنان، وصلوا أرحامكم، وقدموا لهم الخير فهم أولى من غيرهم بالدعوة والإحسان، وكونوا عناصر خير في مجتمعكم، ورجالًا أوفياء لأمتكم، ومصابيح دجى تضيئون حين تكونون، وتُفتقدون حين تغيبون، ولا تملُّ منكم أو يضيق بتصرفاتكم الأقربون والأبعدون، وإياكم والاغترار بالفكر الدخيل، أو التلبيس بشيء من جنوح الفكر، وبعد هذا فلا يرجفن بكم المرجفون، ولا يستخفنكم الذين لا يوقنون.

سددكم الله، وألهمكم رشدكم وجعلكم قرة عين لوالديكم، وثبتكم على الحقِّ ونفع بكم، وصدق الله وهو أصدق القائلين ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ

(١) ابن حميد، المرجع السابق ص ١٤٣ مجموعة ٢.

إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[١].

اللهم اهدنا وثبتنا شيوخًا وشبابًا ذكرانًا وإناثًا.. اللهم ادفع عنا وعن مجتمعنا وأمتنا كلَّ فتنة ومكروه.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٨.

لماذا نستبشر برمضان؟[١]

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين جعل الصيام جنة للصائمين، وجعل شهر رمضان طريقًا إلى الجنة، أحمده تعالى يسر مواسم الخيرات للراغبين، وعظّم أجور هذه الأمة بأيام وليالي محدودة، فحازوا قصب السبق على الأمم أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قضى بحكمته بالموت على أناسي وعمَّر آخرين، والميِّت المغبون حقًّا من عاش حياة البهائم وكان نصيبه التفريط حين يُشمر العاملون.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل من صلى وصام وزكى وقام، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آل محمد المؤمنين وارض اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اتقوا الله معاشر المسلمين واعلموا أن الصيام وسيلة للتقوى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٢].

إخوة الإسلام! ينتظر المسلمون الصادقون شهر الصيام بشوق وفرحة، ويسأل العارفون ربَّهم أن يبلغهم إياه ويعينهم على المسارعة في الخيرات، والتخفف من السيئات.

وما بالهم لا يفرحون ورمضان رحمة من الله لعباده مهداة، ونعمة كبرى يقدِّرها

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ٢٨/٨/١٤١٦هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

حقَّ قدرها أولو الأحلام والنّهى.

لماذا لا تنشرح لك الصدور يا رمضان وفيك للفقراء فرصة، وللمساكين بلغة وللمسافرين رخصة، وللمرضى شفاء وصحة، وللمذنبين توبة، وللمبتلين عافية، وللمهتدين مغنم ووفرة.

ولم لا تنشرح الصدور بمقدم شهر الخيرات والمساواة، وتلاوة القرآن وكثرة الصدقات؟

لماذا وأيامُك مشرقة بالضياء والنور، ولياليك تُعطَّر بترتيل الكتاب المنزل، وتُطهر الأرضُ بدموع الرُّكع السُّجد.

وفي كل ليلة تعانق السماء دعوات تصل الخلق بخالقها، فتحيا القلوب بعد مواتها.. وتصحُّ الأجساد إثر عللها.

ولماذا لا تنشرح صدور المؤمنين في رمضان وفي كل ليلة تعتق أنفس استوجبت دخول النار، وتفتح أبواب الجنان ويكثر روَّاد الريّان؟ لماذا لا يغتبط العقلاء بالصيام، والجبارُ جل جلاله يقول: «**كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، وخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك**»(١).

وهل تظنُّ لربِّك الكريم إلا خيرًا، وتأمل كيف فهم العلماء كرم الكريم، سُئل سفيان بن عيينة عن قوله: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي**»، فقال رحمه الله: إذا كان يوم القيامة يُحاسب الله ﷻ عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم

---

(١) متفق عليه.

الجنة[١].

وقال أيضًا: لأن الصوم هو الصبر، يصبر الإنسان عن المطعم والمشرب والمنكح، وثواب الصبر ليس له حساب، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

ألا ما أحوجك إلى الصوم يا أخا الإسلام في يوم تزلُّ فيه الأقدام، ويُنصب فيه الميزان، ويدقق الحساب، فافرح بالصيام وقدره حق قدره، وحافظ عليه من الثلم والنقصان.

عباد الله! «في الصيام تنجلي عند الصائمين القوى الإيمانية والعزائم التعبدية، يدعون ما يشتهون ويصبرون على ما يشتهون في الصيام يتجلى في نفوس أهل الإيمان الانقياد لأوامر الله، وهجر الرغائب والمشتهيات، يدعون الرغائب حاضرة لموعد غيب لم يروه، إنه قياد للشهوات وليس انقيادًا لها.

في النفوس - معاشر المسلمين نوازع شهوة وهوى، وفي الصدور دوافع غضبٍ وانتقام، وفي الحياة تقلّب في السراء والضراء، وفي دروب العمر خطوب ومشاق، ولا يدافع ذلك إلا بالصبر والمصابرة ولا يتحمل العناء إلا بصدق المنهج وحسن المراقبة».

وهذه وتلك سرٌ من أسرار الصيام لمن عقل ووعى، وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظٍّ عظيم[٣].

أيها المسلم والمسلمة كيف لا نستبشر بشهر رمضان، وفيه فرصه للشفاعة يوم لا

(١) شرح السنة للبغوي ٦/ ٢٢٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٥ ط (المصدر السابق ٦/ ٢٢٤).

(٣) توجيهات وذكرى/ ابن حميد/ ٢١١.

يُعْني مولى عن مولى شيئًا ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[١]، أتدري كيف تكون هذه الشفاعة؟ إنها في الصيام وتلاوة القرآن، يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ، إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن أي ربِّ منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيُشفَّعان**»[٢].

ولم لا يستبشر الصائمون برمضان وأبواب السماء تُفتح للسائلين ويستجيب الله للداعين الصادقين بشكل عام، كما قال تعالى إثر آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣].

ولشهر رمضان على الخصوص دعوة مستجابة، كما روى الإمام أحمد بسند جيد عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لكل مسلم دعوة مستجابة يدعو بها في رمضان، وللصائم عند فطره دعوة لا ترد**»[٤].

ولماذا لا يفرح المسلمون بشهر رمضان وهو سبب لمغفرة الذنوب، وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وكيف لا يغتبط المسلم ويسعد بالصيام وهو طريق إلى عدم الظمأ في يوم يساق فيه المجرمون إلى جهنم وردًا، ويلجم الناسَ العرقُ إلجامًا، وهم في تلك

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٢) أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم عن ابن عمرو، صحيح الجامع الصغير ٣/ ٢٦٨.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٨٦.

(٤) انظر دروس رمضان، للشيخ: سلمان العودة.

اللحظات أحوج ما يكونون إلى شربة ماء، أجل لقد صحّ الخبر عن المعصوم عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**للصائمين بابٌ في الجنة يقال له الريَّان، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخل آخرهم أُغلق، من دخل فيه شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا**»(١).

أمة القرآن وفضائل الصوم، ومناقب رمضان كثيرة ليس هذا مجال حصرها، وإنما أردت التنبيه على شيء منها وتسمعون الكثير، ولكن هذه الفضائل وغيرها لشهر الصيام لا بد لاكتمال الأجر فيها، وتحقيق المقصود منها من مراعاة أمرين هامين جاءت نصوص الشرع بإيضاحهما، ويقعُ الخطأ كثيرًا فيهما.

الأمر الأول: الإيمان والاحتساب، قال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

قال العلماء: النيةُ شرط في وقوع الأعمال قربة، والمراد بالإيمان الاعتقاد بحقِّ فرضية صومه، وبالاحتساب طلبُ الثواب من الله تعالى، وقال الخطابي: احتسابًا أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه، طيبةً نفسه بذلك، غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه(٣).

فصوموا أيها المسلمون وأنتم مؤمنون محتسبون، ولا يكن الصيام عندكم مجرد عادةٍ، أو مجاراة للآخرين، وليس يخفاكم أن تبييت النية من الليل شرطٌ للصيام

(١) رواه النسائي وغيره بسند صحيح (صحيح الجامع الصغير ٥/ ٤١) وانظر الرواية باختلاف يسير في شرح السنة ٦/ ٢٢ وحسن إسناده المحقق.

(٢) رواه البخاري، الفتح ٤/ ١١٥ باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا.

(٣) الفتح: ٤/ ١١٥.

الواجب، أما صيامُ النفل فلا يستدعي تبييت النية قبل الفجر[(١)].

الأمر الثاني: حفظ الصيام من الرفث وقول الزور، وتلك وربي آفة والسعيد من حفظ صيامه عنها، يقول عليه الصلاة والسلام: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[(٢)].

إنها التربية المتكاملة بالصيام، وإنه المفهوم الخاطئ للصيام يصححه الإسلام، وكيف يعد نفسه صائمًا من لم يدع قولا الزور والعمل به؟

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتعبد من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول»[(٣)].

الصائم الصادق يصوم لسانه عن الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور، ويصوم سمعه عن الغنا والخنا والفجور، وتصوم عينُه عن النظرة المحرمة والصائم الصادق لا ينعقد قلبه على إثم أو خطيئة أو غلٍّ وحقد للمسلمين، والصائم الصادق لا يظلم ولا يحقر، ولا يغش ولا يفجر.

ويا تعاسة وحرمان من فاتت عليه هذه المعاني العظيمة في الصيام والقيام، فكان حاله كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ربَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر**»[(٤)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ

---

(١) انظر للمزيد: شرح السنة ٦/ ٢٦٩.

(٢) انظر: الفتح ٤/١١٦.

(٣) الفتح ٤/١١٧.

(٤) رواه أحمد والبيهقي والحاكم والدارمي وابن ماجه بسند قوي (شرح السنة للبغوي ٦/ ٢٧٤).

مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١].

اللهم انفعنا بهدي القرآن، وتوجيهات المصطفى ﷺ.



(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، منَّ على عباده بمواسم الخيرات ليغفر لهم الذنوب ويكفر عنهم السيئات، ويضاعف لهم الثواب ويرفع لهم الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة يوم ألقاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أبان للأمة طريق النجاة وحذرها عن أسباب الهلكات فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى كلِّ من بعثه الله بشيرًا ونذيرًا.

عباد الله! هناك عدد من الأمور تدعو الحاجة إلى بيانها لاستقبال شهر رمضان- بلغنا الله إياه وأعاننا فيه على فعل الخيرات واجتناب السيئات، ومن هذه الأمور:

أولًا: أن نستقبله بعزيمة صادقة على فعل الخيرات، وتوبة صادقة يكفِّر الله بها السيئات، وفي رمضان عون بإذن الله على هذا وذاك لمن صدق الجهاد ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(١)].

ثانيًا: ألا نستقبله بصوم يوم أو يومين قبله، قال عليه الصلاة والسلام: «**ولا تصلوا رمضان بيوم من شعبان**»[(٢)].

وفي الحديث المتفق على صحته قال ﷺ: «**لا تقدَّموا شهر ومضان بصيام يومٍ ولا يومين إلا رجل كان يصومُ صومًا فليصمه**»[(٣)].

ثالثا: والإقبال على الله في بداية الشهر ظاهرة تلفت نظر المتأمل، وهي مؤشر لأصالة الخير في النفوس يُسَرَّ لها المسلم ويستبشر، ولكن الانجفال بعد ذلك

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٢) شرح السنة ٦/ ٢٣٢.

(٣) انظر المصدر السابق ٦/ ٢٣٧.

والتقهقر علامة الردى، وهو انتصار للشيطان في معركة الشهوات ومردته مصفدون فكيف بمقاومته إذا فُكت الأغلال وأطلق المصفدون إنه مظهر يحزن القلب له وحُق للعين أن تدمع- فإياك إياك يا أخا الإسلام أن تكون من هذا الصنف فتُحرم.

رابعًا: والعُمرة في رمضان مكسب ولها مزيّة وقد قال النبيُّ ﷺ لامرأة من الأنصار: «**ما منعك أن تحجي معنا؟**» قالت: لم يكن لنا إلا ناضحان، فحج أبو ولدها وابنها على ناضح وترك لنا ناضحًا ننضح عليه، قال: «**فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة**»(١). وفي حديث آخر صحَّ سنده: «**عمرة في رمضان كحجة معي**»(٢)، وهذا لا شك فضل عظيم وثواب كبير فكيف إذا انضاف إليه فضل الصلاة ما شاء الله في المسجد الحرام، والصلاة فيه عن مائةّ ألف صلاة، كما صحّ بذلك الحديث، وهكذا مضاعفة الذكر وتلاوة القرآن وأنواع الطاعات.

ولكن البلية كلَّ البلية فيمن يذهبون لهذا العمل الخيّر ويضيعون أبناءهم وبناتهم وأهليهم ومن ولاَّهم الله عليه، وسواء كان هذا الضياع في تركهم حين السفر بلا رقيب أو حسيب، أو اصطحابهم إلى البقاع الطاهرة دون العناية بهم، فيتسكعون في الشوارع والأسواق وتفتن النساء الرجال بزينتهن وتبرجهن، ويؤذي الشباب النساء بمضايقتهن أو الاعتداء عليهن.. مصيبة أيها المسلم أن تكون في عداد الراكعين الساجدين في المسجد الحرام، وأهلُ بيتك يفتنون الناس ويؤذونهم، ألا فانتبهوا معاشر المسلمين لهذا المزلق الخطر، واهتموا بأبنائكم وبناتكم وإخوانكم وأخواتكم في حال سفركم أو إقامتكم رغِّبوهم في الخير وحذروهم من الشرِّ،

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس (انظر صحيح البخاري مع الفتح ٣/ ٦٠٣).
(٢) صحيح الجامع الصغير ٤/ ٥٤.

استصحبوهم معكم واسألوا عنهم حين يغيبون عن أنظاركم.

خامسًا: أما الذين يكثرون الأسفار والإنفاق وعليهم ديون للخلق وحقوق، فيكفي أن يذكَّر هؤلاء بقول النبي ﷺ: «**يغفر للشهيد كلُّ ذنب إلا الدَّين**»[١]، وفي الحديث الآخر: «**والذي نفسي بيده لو أن رجلًا قُتل في سبيل الله ثم أحيي، ثم قتل ثم أحيي، ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يُقضى عنه دينه**»[٢]، ألا فتخففوا من حقوق الخلق، وأدوا الحقوق إلى أهلها تسعدوا في محياكم ومماتكم.

سادسًا: وحقُّ الله أحق «**فمن مات وعليه صوم صام عنه وليُّه**» كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن أختي ماتت وعليها صوم شهرين متتابعين، وفي رواية: وعليها صوم شهر- قال: «**أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضينه؟**» قالت: نعم، قال: «**فحق الله أحق**»[٤].

ويتأكد هذا أكثر في حقِّ صيام النذر الذي أوجبه الإنسان على نفسه ولم يف به، أو في الفرض الذي تمكن فيه من القضاء فلم يقض حتى مات، قال البغوي رحمه الله: «واتفق عامة أهل العلم على أنه إذا أفطر بعذر أو سفر أو مرض، ثم لم يُفرط في القضاء بأن دام عذره حتى مات لا شيء عليه، غير قتادة، فإنه قال: يُطعم عنه»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -يرحمه الله-: «إذا اتصل به المرض ولم يمكنه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي بسند حسن، تنبيه هام للشيخ العلوان ١٤١٥هـ.

(٣) متفق عليه انظر: شرح السنة ٦/ ٣٢٤.

(٤) متفق عليه وانظر: شرح السنة للبغوي ٦/ ٣٢٥.

(٥) شرح السنة ٦/ ٣٢٧.

القضاء، فليس على ورثته إلا الإطعام عنه..»[١].

سابعًا: ومن أصبح جنبًا من جماع أو احتلام صام ذلك اليوم ولا شيء عليه، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه يصبح جنبًا من جماع ثم يصوم ذلك اليوم[٢].

ثامنًا: «**ومن أكل أو شرب ناسيًا، فليتمَّ صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**» كما قال النبي ﷺ[٣].

تاسعًا: «**ومن ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمدًا فليقض**»، كذا قال المصطفى ﷺ[٤].

عاشرًا: والسواك سُنة للصائم في أول النهار وآخره «رأيت النبي ﷺ ما لا أحصي يتسوك وهو صائم»[٥]، ثم قال البغوي: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم لم يروا بأسًا بالسواك للصائم أول النهار وآخره، إلا أن قومًا كرهوا له أن يستاك بالعود الرَّطب[٦].

إخوة الإسلام.. بادروا بعمل الصالحات واستعينوا بالصبر والصلاة، وأكثروا من الذكر وتلاوة القرآن، وسابقوا إلى الصدقات، وتحسسوا حاجة إخوانكم المسلمين، فرمضان شهر البِّر والإحسان والمواساة، أسأل الله أن يهلَّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، وأن يجعله هلال رشد وخير، وأن يجعله عونًا على إصلاح أحوال المسلمين وجمع كلمتهم على الحق والدين، هذا وصلوا وسلموا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الفتاوى ٢٥/٢٩٦.
(٢) متفق عليه شرح السنة ٦/ ٢٧٩.
(٣) متفق عليه، السابق ٦/ ٢٩١.
(٤) صححه ابن حبان والحاكم (السابق ٦/ ٢٩٣).
(٥) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن.
(٦) شرح السنة ٦/ ٢٩٨.

١- صراط الله
٢- طرق الضلال(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا، وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الإنسان وعلمه البيان، وابتلاه بسلوك طريق الحقِّ وحذَّره من طرق الضلال، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٢).

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ما فتئ يبين للأمة طريق الخير والهدى، ويحذرها من طريق الغواية، فأبصرت بنور الله بعد الضلالة والعمى اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء، وارض اللهم عن صحابته الذين ما فتئوا يسألونه عن الخير متزودين وعن الشرِّ مخافة الفتنة في الدين، حتى بقي الناسُ على محجة بيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واخشوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون- ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا.

أيها المسلمون وإذا اتضحت لنا معالم الصراط المستقيم وأسواره وستوره المرخاة ودعاته -كما في حديث النواس السابق- فإن حديث اليوم عن مخالفة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ١٤١٧/٨/١٧هـ.
(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٢، ٣.

الصراط المستقيم وسُبل الضلال، ونماذج لأصحاب الجحيم.

عباد الله! وكم هو عظيم كتاب الله، وكم هي موقظة أمثال القرآن، وفيه من أمثال قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال -في تفسير هذه الآية- هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى هدى الله ﷻ، كمثل رجلٍ ضلَّ عن طريق تائهًا، إذ ناداه منادٍ يا فلان ابن فلان هلمَّ إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه، يا فلان هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق، وهذه الداعية التي تدعو في البرِّية من الغيلان، يقول مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله، فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت. فيستقبل الندامة والهلكة[2].

ألا ما أشدَّ الحيرة وأعظم الظلمة لمن تاه عن صراط الله المستقيم فاحتوشته شياطين الإنس أو الجن، فاجتالته وأبعدته عن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

أيها المؤمنون! إذا كان الفرق كبيرًا بين الأحياء والأموات حِسًّا فكذلك الفرق بين الأحياء والأموات معنًى، تلك حياة العلم والإيمان، وهذه موتة الجهل والكفر والعصيان، ولقد فرّق الله بينهما في محكم التنزيل فقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤١.

لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(١)]. إنها حياة القلوب أو موتها - وإنها أنوار الإيمان أو ظلمات الكفر..

قال العارفون: فالقلب الحيُّ المستنير هو الذي عقل عن الله، وأذعن وفهم عنه وانقاد لتوحيده، ومتابعة ما بُعث به رسول الله ﷺ، والقلب الميتُ المظلم الذي لم يعقل عن الله ولا انقاد لما بُعث به رسول الله ﷺ، ولهذا يصف سبحانه هذا القرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مستولية على جميع جهاتهم فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مظلمة وأقوالهم مظلمة وأحوالهم كلُّها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة، فإذا قسمت الأنوار دون الجسر للعبور عليهم بقوا في الظلمات، ومدخلهم في النار مظلم[(٢)].

إخوة الإيمان! هل علمتم أن الله خلق الخلق أولا في ظلمة فمن أراد الله له الهداية أسبغ عليه من نوره، ومن أراد به الشقاوة بقيت الظلمة ملازمة له، فقد روى الإمام أحمد وابن حبان والحاكم وصححاه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلّ، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله**»[(٣)].

أيها المسلمون! ولا تغرنكم الأنوار المصطنعة للخارجين عن طاعة

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية- لابن القيم ص ٣٩.

(٣) المسند ٢/ ١٧٦، ١٩٧، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٣٤).

الرسول ﷺ، فالحقُّ أنهم يتقلبون في ظلماتٍ وإن لم يحسوا بها، بل لقد قيل: إنهم يتقلبون في عشر ظلمات: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة، وظلمة في دار القرار، فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاث[١].

وفي التنزيل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ﴾[٢].

وفيه أيضا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[٣].

أما المؤمنون، أما المتابعون لهدي الرسول ﷺ فالنور يحيط بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وفي محياهم وبعد مماتهم، وإن خيِّل للآخرين أنهم في ظلمات وضيق، ولئن غاب هذا النور عن بعض من يراهم في الدنيا فهو مكشوف غدًا أمام الخليقة كلها ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]، وتبقى بعد ذلك الدعوة لمن شاء أن يؤتى هذا النور مرهونة بالتقوى والإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل

---

(١) اجتماع الجيوش- لابن القيم ٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) سورة النور، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٨.

لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

قال ابن القيم رحمه الله: وفي قوله تعالى: ﴿تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ نكتة بديعة وهي: أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما يمشون بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدمًا عن قدم على صراط الله فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه[٢].

أيها المؤمنون! احذروا سبل الشيطان، فسبيل الله واحد مستقيم، وسبل الشيطان متفرقة معوجة، خط رسول الله ﷺ خطًّا بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**»، ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: «**وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[٣].

قال المفسرون: إنما وحّد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها[٤].

عباد الله! عصمني الله وإياكم والمسلمين من فتن الأهواء، وحفظنا من الابتداع في الدين، أو الانخداع بالمضلين والمنافقين ودونكم هذا الأثر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه -أعلم الناس بالحلال والحرام- فاعقلوه، قال معاذ يوما: إن وراءكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والعبد والحر والصغير والكبير فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٢) اجتماع الجيوش ٤٤.

(٣) رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وصححه. انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٥.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٧.

وما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع، فإنما ابتدع ضلالة وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق. قال الراوي: قلت لمعاذ: وما تدري رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق يقول كلمة الحق. قال: بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال ما هذه؟ ولا يثنينك ذلك عنه فإنه لعله يراجع وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[2]. نفعني الله وإياكم بهدي القرآن.



(١) أخرجه أبو داود، وإسناده صحيح (جامع الأصول ١٠/ ٤٣، ٤٤).
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خيرةُ الخلق أجمعين، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر النبيين.

أيها المسلمون! كما هدى الله المؤمنين لصراطه المستقيم، فقد أضلَّ عنه اليهود والنصارى ومن سارَ على سنتهم واتبع ملتهم، والموفق من وفقه الله لاتباع الحقِّ والهدى.

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم، وجئت بغير أَمان ولا كتاب، فلما دفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قبل ذلك يقول: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي، حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادةً، فجلس عليها وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**ما يُفرُّكَ؟ أيفرُّك أن تقول لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله سوى الله؟**». قال: قلت: لا، ثم تكلم ساعة، ثم قال: «**إنما يفرك أن تقول: الله أكبر، وتعلمُ شيئًا أكبر من الله؟**» قال: قلت: لا، قال: «**فإن اليهود مغضوبٌ عليهم، وإن النصارى ضُلّال**»، قال: قلتُ: فإني حنيفٌ مسلم، قال: فرأيت وجهه منبسطًا فرحًا..[1].

عباد الله! سببُ الغضب على هؤلاء وضلال أولئك، أن اليهود مقصِّرون عن الحق، والنصارى غالون فيه، فكفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحقَّ ولا يتبعونه عملا أو لا قولا ولا عملا، وكفر النصارى من جهة

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب (الاقتضاء ١/ ٦٥).

عملهم بلا علم فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

أيها المسلم! هذان الصنفان لأصحاب الجحيم نموذجان للبعد عن الصراط المستقيم، وسلوكهما يؤدي إلى سلوك السُّبل المعوجة، أعني: عدم العمل بما يُعلم، أو العمل دون علم بما يعمل، ولهذا جاوز السلف هذا الانحراف لغير اليهود والنصارى لمن شابههم في مسالكهم، فقالوا: إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبَّادنا ففيه شبهٌ من النصارى(١).

وآيات الكتاب المبين تركز كثيرًا على حسد اليهود وبُخلهم ليس بالمال فقط بل بالعلم -وهو أهم- وهو المقصود الأكبر بالبخل في آية النساء ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وقد وصفهم الله بكتمان العلم في غير آية تارة بخلًا به، وتارة اعتياضًا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفًا أن يُحتج عليهم بما أظهروه منه(٢).

وإذا كانت تلك مصيبة، فالأعظم منها أن تصاب الأمة المسلمة بما أصيبت به الأمم الأخرى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -يرحمه الله-: «وهذا قد يبتلى به طوائف من المنتسبين للعلم، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلًا به، وكراهة لأن ينال غيرهم من الفضل ما نالوا، وتارة اعتياضًا عنه برئاسة أو مال، فيخاف من إظهاره انتفاء رئاسته أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه، وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل».

---

(١) ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم (٦٧، ٦٨).

(٢) الاقتضاء ١/ ٧٢.

وبكل حال فليس هذا من منهج العلماء الربانيين، قال عبد الرحمن ابن مهدي- يرحمه الله- وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم[١].

أيها المسلمون! في سياق الخير حذر النبي ﷺ من اتباع سنن هؤلاء فقال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضبٍّ لدخلتموه**». قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «**فَمَن؟**»[٢].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**». فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ قال: «**ومن الناس إلا أولئك**»[٣].

قال ابن تيمية -يرحمه الله-، فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى -وهم أهل الكتاب- ومضاهاةٌ لفارس والروم وهم الأعاجم.

أيها المؤمنون! إذا كان الله قدر وهو أعلم وأحكم، وأخبر النبيُّ ﷺ ووقع كما أخبر بتفرق الأمة واتباع سنن السابقين فقد اقتضت مشيئة الله وأخبر الرسول ﷺ عن ربِّه ببقاء طائفة ثابتة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة -كما في الحديث المتفق على صحته- وأخبر عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة**»[٤].

ويظل الخير في هذه الأمة يتنامى وغرس الخيرية يتتابع، وقد جاء عن النبي ﷺ:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٧٣، ٧٤.

(٢) متفق عليه.

(٣) كتاب الاعتصام من الصحيح ح ٧٣١٩.

(٤) رواه الترمذي وغيره بسند صحيح (صحيح الجامع ح ١٨٤٤).

«مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى آخره خيرٌ أم أوّلهُ»(١).

وورد في حديث آخر: «**إن الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعته**»(٢).

أيها المسلمون! كما تُحذر طرائق اليهود والنصارى، وفارس والروم -لمن أراد سلوك الصراط المستقيم، والبعد عن أصحاب الجحيم- فينبغي الحذر من صنف آخر هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، ولكنهم دعاة على أبواب جهنم، كشف شرورهم حذيفة ﷺ وهو يسأل رسول الله ﷺ عن الشرِّ مخافة أن يدركه، في وقت كان الناس فيه يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، ويقول: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشرٍّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**»، قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**»، قلت: وما دَخَنَه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر**»، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم: دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**». فقلت: يا رسول الله فما ترى؟ وفي رواية: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم؟**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلَّها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(٣).

اللهم اعصمنا من الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن، واسلك بنا صراطك

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه ورواه أحمد في مسنده، وهو حديث حسن صحيح بطرقه (جامع الأصول ٩/ ٢٥١).

(٢) رواه ابن ماجه، وأحمد بنحوه. انظر: تعليق محقق الاقتضاء لابن تيمية ١/ ٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، (جامع الأصول ١٠/ ٤٥).

المستقيم، وارفع درجاتنا في المهديين، ووفقنا لمخالفة أصحاب الجحيم، ولا تخزنا يوم يبعثون، واجعلنا من ورثة جنة النعيم.. هذا وصلوا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الإيدز .. الشبح المخيف(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آله المؤمنين، وارض اللهم عن أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأما بعد: فأوصي نفسي وإياكم معاشر المسلمين بتقوى الله، فتلك وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

أيها المسلمون.. قضت سنة الله تعالى أن الأمم لا تفنى ولا تُدمَّر والديار تُنهى، إلا حين تسقط الهمم، وتستسلم الشعوب لشهواتها، فتتحول الأهداف من مثل عليا إلى شهوات دنيئة، فتسود فيها الرذائل وتنتشر الفواحش، وتفتك بها الأمراض الخبيثة، فلا تلبث أن تتلاشى وتضمحل، وتصيبها السنة الإلهية في التدمير ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾(٢).

ولقد قصَّ الله علينا من أنباء السابقين ما فيه عظة وزجر للآخرين، ونشهد اليوم من أحوال الزائغين التائهين ما يؤكد العبرة عبر القرون. أجل لقد حاق العذاب

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ١٨/ ٧/ ١٤١٧هـ.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

الأليم بقوم لوط عليه السلام حينما انحرفت فطرُهم، وانتكست أخلاقهم وشاع المنكر في ناديهم، فتحولت قراهم إلى خراب بلقع، وجعل الله عاليها سافلها وأمطر على أصحابها حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد.

إنها الفاحشة المستقذرة، والاستجابة لدواعي الشهوة، تُهتك بها أستار الحلال ويُستمرأ بها الحرام.. تُجلب بها النقم خرابًا في البلاد، وفسادًا وأمراضًا مستعصية في العباد.

ولا يقل الزنا أثرًا وخطرًا.. فبه تختلط الأنساب، وتُهتك الأعراض، وتقتل الذرية، ويهلك الحرث والنسل، عارُه يهدم البيوت، ويسوّد الوجوه، ينْزع ثوب الجاه مهما اتسع، ويخفض عالي الذكر مهما علا.. نسأل الله السلامة لنا ولإخواننا المسلمين.

بالزنا يكثر اللقطاء، ويتقلص العفاف، وتسودُ الفوضى، وتنتشر الأمراض المخيفة، وتُحطم أسوار البيوت المنيعة، وتروج الفاحشة، وتنزع عن مرتكبيه الفضيلة، حرمه الله على المؤمنين وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ وفي آية أخرى قرينًا للشرك في سفالة المنزلة والعقوبة والجزاء ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[(٢)]. وحرمه رسول الله ﷺ وحذر من عقوبته فقال: «**ما ظهر في قوم الربا**

(١) سورة النور، الآية: ٣.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله»[١].

أيها المسلمون .. يقال هذا وأكثر بمناسبة اليوم العالمي لمواجهة مرض الإيدز، والمصادف للعشرين من هذا الشهر (رجب).

إنه الشبح المخيف والمرض المرعب واللوحة السوداء لحضارة الرجل الأبيض إنه ثمرة الانحراف الخلقي ونتيجة الزهد في القيم، وهو نموذج مشين لأي حضارة لا يرعاها الإسلام ولا يتولى دفتها المسلمون.

أجل لقد بلغ الغرب مبلغا من التطور والتقنية المادية وبلغ حدا لا يجارى في الصناعة والتقدم التكنولوجي، ولكنه أفلس في قيادة العالم في المضمار الحضاري بمفهومه الصحيح برعاية القيم،واعتبار الخُلق والمحافظة على الطهر والعفاف.

إن انتشار مرض الإيدز وإعلان العجز عن مقاومته مؤشر لهذا الإفلاس الحضاري ومانع من القيادة الراشدة لركب سفينة العالم.

إخوة الإسلام.. مرض الإيدز أو نقص المناعة المكتسبة، هو وباء آت من فساد الأخلاق، وإن الطريق الوحيد الذي يسلكه فيروس هذا المرض نحو جسم الإنسان يمر عبر بوابةٍ واحدة فقط هي: بوابة الرذيلة والفساد[٢].

وعلى الرغم من مرور حوالي خمسة عشر عامًا على اكتشاف هذا المرض، إلا أن العلم الحديث بكل إمكاناته التقنية ما زال يقف قاصرًا معلنًا عجز كلِّ محاولاته التي لم تتوقف طوال السنوات الماضية أمام علاج هذا المرض -بل إن خيبة الأمل في التعامل مع هذا الفيروس قد تعددت إلى عدم التوصل إلى لقاح «أي تطعيم» ضد

---

(١) رواه أحمد بسند حسن (صحيح الجامع الصغير ١٤٦/٥).

(٢) مجلة المجتمع.

هذا المرض- ولسان حال الأطباء العاجزين عن الوقاية أو العلاج يقول: إن نتيجة الإصابة بهذا المرض هي: الوفاة وحتى إشعار آخر(١).

عباد الله وتُشير الإحصاءات -من بلاد هذا الداء- أن نسبة **٧٣%** (ثلاث وسبعين بالمائة) من جميع حالات الإيدز المعروفة هي للمخنثين أي الشاذين جنسيًّا، وأن خمسة عشر إلى سبعة عشر بالمائة من الحالات هي لمدمني المخدرات، وعشرة بالمائة ناتجة عن عمليات نقل الدم الملوث، وأسباب أخرى لا زالت مجهولة.

وخلاصة القول.. والمرعب في هذا المرض أنه مهلك لمن هم في زهرة الشباب واكتمال القوة، إذ إن خمسة وتسعين بالمائة من جميع حالات الإيدز هي إصابات في الذكور الذين تتراوح أعمارهم ما بين خمس وعشرين، وخمس وأربعين سنة، وهؤلاء هم النشطون جنسيًّا، أو مدمنو المخدرات.

وتشير الإحصاءات والتقارير أن النساء لم تسلم من هذا المرض الخبيث، وأن ثمانين بالمائة من المصابات هنَّ في سنِّ الإنجاب، ما بين الثالثة عشر، والتاسعة والثلاثين عامًا -في الولايات المتحدة- ولقد أصبح الإيدز في تلك البلاد السبب التاسع المؤدي للموت عند الأطفال، وإذا سلم طفل المصابة بالإيدز أصبح البعض منهم حاملا للمرض إلى غيره.

وحول انتشار هذا المرض قيل: إن هذا الفيروس المتناهي في الصغر قد أصاب أكثر من ربع مليون شخص فيما يقرب من اثنتين وخمسين ومائة دولة، في حين أن ما يقرب من عشرة ملايين شخص حاملون لهذا الفيروس ولا يظهر عليهم، وهم

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٢٢٤، ٢٤/٦/١٤١٧ ص٦٢.

الأشدُّ خطورة على المجتمعات التي يعيشون فيها.

والمفزع لهذا العالم الموبوء أن أرقام منظمة الصحة العالمية تشير إلى أن المجموع التراكمي لحالات الإيدز قد يتضاعف أكثر من عشرين مرة منذ بدأ التبليغ عن حالات الإيدز عام واحد وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد[١].

أيها المؤمنون! لا غرابة بعد هذا وبعد سيل التقارير وزيادة الإحصاءات. أن يصاب العالم بالذعر والخوف من انتشار هذا المرض والإصابة به، وأن يكون الإيدز هو الشاغل الأول لوزارة الصحة في أمريكا، كما صرحت بذلك وزيرة الصحة عام ثلاثة وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد، وأن تخصص الحكومة الأمريكية أربعة وعشرين مليون دولارا للأبحاث المتعلقة بهذا المرض، ثم تضيف إليه اثني عشر مليونًا أخرى كما ذكرته مجلة التايمز في نشرة خاصة بالإيدز.

أجل لقد بلغ الرعب بالقوم نهايته، وقد نشرت إحدى مجلاتهم خبر وفاة امرأة أمريكية بلغت من العمر خمسة وخمسين عامًا وقد أصيبت بالإيدز، فرفض الحانوتي الذي يجهز الموتى للدفن أن يستلمها، أما الطبيب فقد قام بإحراق قفازاته وأدواته وثيابه التي استعملها أثناء التشريح[٢].

أرأيتم كيف حل الرعب فيهم.. إنها العقوبة المعجلة في الدنيا، وهي واحدة من ضرائب الفساد الخلقي - وعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى، أما الإسلام فتحذيره من هذه المفاسد لا يخفى.. وهاكم حديثًا محذرًا من أحاديث المصطفى ﷺ. وهو شاهد على النبوة وأنه لا ينطق عن الهوى، يقول عليه الصلاة والسلام محذرًا متعوذًا «**يا معشر المهاجرين: خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن**

---

(١) مجلة المجتمع ٦٣.

(٢) الأمراض الجنسية، سيف الدين حسين ص١٠١.

تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..»[(١)].

اللهم احفظنا واحفظ أمتنا، وأنزل بلاءك وعقابك على أعدائنا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[(٢)].



(١) الحديث رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر بسند صحيح، صحيح الجامع ٦/٣٠٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ٣٣-٣٥.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، أمر بالعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يمهل ولا يهمل، وإذا أخذ فإن أخذه أليم شديد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، مثال الطهر والعفاف، وفي بيته نموذج يحتذى للبيوت المسلمة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١).

اللهم صل وسلم عليه وعلى إخوانه، وأزواجه، وآله المؤمنين.

أما بعد.. إخوة الإسلام! فليس يخفى أن هذا العالم المضطرب لم يصل إلى ما وصل إليه من تدني في القيم وفساد في الأخلاق فجأة.. ولا مصادفة. بل كان نتيجة تراكمات من الفساد والانحراف عن منهج الله.. وتغليب الشهوة... وتهييج الغرائز ووأد الكرامة والحياء.. وإشاعة الفاحشة، وترويج المخدرات، ونشر المسلسلات، وإطلاق عنان الحرية المزعومة، حتى عمَّ البلاء وانتشر الوباء، والخوف قائمٌ من تصديره خارج منطقة الداء.

ونحن معاشر المسلمين مطالبون بحماية أنفسنا ومجتمعاتنا من هذا الوباء أو غيره من الأوبئة الأخرى.

والحماية لا تكون بمجرد العلاج إذا وقع الداء وتفشى المرض، وإنما تستلزم الوقاية أولا.. والوقاية خير من العلاج وأجدى. إن علينا بشكل عام ألا نفكر في

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

دخول النفق المظلم الذي دخله هؤلاء، ونحن نرى بأم أعيننا كيف كان المنتهى.. وأن ننظر إلى دعوات التقليد البلهاء على أنها صوت من أصوات السفهاء، وعلى العقلاء أن يأطروهم على الحقِّ أطرًا.

علينا أن ندرك مسئوليتنا تجاه الناشئة، ونجنبهم مواطن الردى، إن التربية الجادة للشباب، وتوفير المحاضن الصالحة، وابتكار البرامج المفيدة، كلٌّ ذلك يُسهم في إصلاح المسيرة، ويجنب أمة الإسلام ما وقعت فيه الأمم الأخرى.

ويا ويح أمةٍ يغرق شبابها بالمخدرات، ويُفتنون بما تعرضه الشاشات من زُبالات.

ويح أمةٍ يتعلق شبابها برخيص الفن، وتكون الرياضة همَّه الأول والأخير..

إن توفر الصورة الهابطة عند الشباب عن طريق المجلة أو الشاشة أسلوب من أساليب الإثارة والإغراء، وهو وأدٌ للكرامة واستهلاك للحياء، وربما كان في النهاية طريقًا للفاحشة، وإن إغراق الشباب بسيل المسلسلات الفاتنة والمعتمدة أساسًا على إثارة الغرائز، هو انتحار للقيم، وخطوات في طريق تفريغ طاقات الشباب بما يضر ولا ينفع.

وإن سفر الشباب للخارج دون حسيب أو رقيب، ودون تنظيم يحقق المصالح ويمنع المفاسد هو رميٌ لهؤلاء الشباب في أتون معركة قلَّ أن يخرج أحدٌ منها دون أن يُصاب بشيء من لهيبها، إنها مخاطرة مع هؤلاء الفتية في مجتمعات تكره المسلمين من جانب ويتوفر فيها من الإغراءات والإباحية ما يُثير الغرائز ويخاطب الشهوات.. ومن يرضى لفلذات الأكباد أن يكونوا ضحايا للفساد، أو يكونوا نقلة فيروسات الدمار لبني الإسلام.

ليس من المنطق السليم أن نطالب الشباب بالعفة والطهر ونحن نواصل

إغراءهم، ونهيئ لهم من الوسائل ما يثير غرائزهم، لا بد أن نُسهم جميعًا في حمايتهم، ونشارك في تربيتهم.

إن بقاء الشباب دون عمل، أو المغالاة معه في المهر. كل ذلك ربما أسهم في دفع أصحاب الأنفس الضعيفة إلى اقتراف المحرمات والوقوع في حمأة الرذيلة.

عباد الله! أما المرأة فهي وسيلة للفتنة إذا لم تُصن وتحترم، وهل كانت فتنة بني إسرائيل إلا في النساء، وفي هذه الأمة حذر المصطفى ﷺ من الفتنة بهن فقال: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضرَّ على الرجال من النساء**»[1]، ألا فاستوصوا بالنساء خيرًا، امنعوا إماء الله عن التعرض للبلاء، وتنبهوا للدعوات المحمومة التي تريد بهنَّ وبمجتمعهن الشرور والأذى، فما لنا نسمع أحيانًا دعوات للاختلاط بين الذكر والأنثى ولو كانت في الصفوف الأولى؟ ويرتفع الصوت حينًا للمطالبة بقيادة المرأة للسيارة علنًا، ثم تحشد الأقلام للمطالبة ببطاقة المرأة، ثم يتوسع الكاتبون بالمطالبة بإيجاد فرص كثيرة لعمل المرأة ولو أدى ذلك إلى الاختلاط، بل ولو لم يتوفر من الفرص الوظيفية ما يكفي الذكور؟ وهل يرضى عاقلٌ حرّ كريم أن تعمل ابنته أو أخته أو زوجته في مجتمع الأصل في نزلائه من الرجال؟ إنها خطوات ومقدمات لها ما بعدها، فلنتق الله ولنتعاون جميعًا على البرِّ والتقوى، ولنحمي مجتمعنا من أسباب الأمراض التي حلت في الأمم من حولنا.. إنها مسئولية الآباء والمربين، والعلماء والأمراء، ورجالات الفكر والإعلاميين.

يا قوم ألا نفيق على صُراخات المتأوهين.. ألا يكفينا واعظًا ما حلَّ بالآخرين، أين نحن من هدي السماء، وكتاب الله فينا يتلى صباح مساء، وفيه ما يقطع دابر

---

(١) متفق عليه (رياض الصالحين ١٤٦).

الفتن لمن أبصر واهتدى، وقد قيل لخير بيوتات النساء ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾(١).

يا قوم أيخفى ما يريده العلمانيون وهم يرون المرأة بابًا مشرعًا لإيجاد الخلل والفساد في هذا المجتمع الآمن الخيّر؟ وهل ننخدع بأساليب النفاق والمنافقين في دعاوى الإصلاح والتحضر-فيما يزعمون- والله أعلم بما يبيتون..

ونسأل الله أن يكشفهم كما كشف أسلافهم ﴿۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾(٢).

اللهم احفظ علينا أمننا وإيماننا.



(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٣٢، ٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٦٠- ٦٢.

اختيار الرفيق[1]

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين، خلق فسوى، وقدّر فهدى، وله الحمدُ في الآخرة والأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده مقاليد السماوات والأرض، وما من دابة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها.

إخوة الإيمان.. كتب أخٌ ناصحٌ إلى أخ له في الله يقول: إن الدنيا حُلُمٌ والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن في أضغاث أحلام.. من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضلَّ، ومن حلم غنم، ومن علم عمل، فإن زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك.

هكذا -إخوة الإيمان- يكون الخليل الناصح، وبمثل هذا النوع من القرناء فليستمسك فيهم -بعد الله- عزاء عند المصيبة، وتسرية حين الكروب والشدة، وسلوةٌ وفائدة حين اللقاء والصحبة.

إخوة الإيمان.. قد جاء في القرآن والسنة ذكرُ القرين والرفيق والخليل مصحوبًا ذلك بتوجيهات نافعة، وإشارات تربوية هامة، وإذا كان المرء في هذه الحياة لا بد له من صاحب يتحدث معه يشكو له ويسليه وينصح له.. فشأنُ اختيار الصاحب من الأهمية بمكان.. ولابد من الاجتهاد في اختيار من تحب وتخالل.. فالمرءُ على دين خليله.. والمرء مع من أحب.. وكلٌّ قرين بالمقارن يقتدي؟ والصاحب

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ٤/ ٢/ ١٤١٩هـ.

ساحب. قال أهل العلم: ولا ينبغي للمرء أن يهمل اختيار من يصلح للصحبة؛ لأن للصحبة تأثيرها البالغ على المرء، ورسول الله ﷺ يقول: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[١]. ويحدد العلماء الخصال التي ينبغي توفرها في الصاحب، ويقول ابن الجوزي: ينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلًا، حسن الخلق، غير فاسقٍ، ولا مبتدع، ولا حريص على الدنيا..[٢].

قالوا: ومن اجتمعت فيه تلك الخصال فإن صحبته لا يُنتفع بها في الدنيا فحسب، بل ينتفع بها في الآخرة وعلى هذا يُحمل كلام بعض السلف: (استكثروا من الإخوان، فإن لكلِّ مؤمن شفاعة يوم القيامة)[٣].

يا أخا الإسلام ومما يزيدك استمساكًا بالقرين الخيِّر والصاحب الصدوق.. أنك قد ترى أثره وذوده عنك في أشدّ أوقات الحرج.. وهل أعزُّ وأغلى من أخ لك لم تلده أمُّك يكون سببًا في الشفاعة لك وإنقاذك من النار.. وقد جاء في الصحيحين إثبات شفاعة المؤمنين.. «**فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون..**»[٤].

وجاء في حديث آخر كيف يجادل المؤمنون عن إخوانٍ لهم وقعوا في النار، قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا خلّص الله المؤمنين من النار وأمنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا، أشدَّ مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال يقولون: ربنا إخواننا كانوا يُصلون معنا،**

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٤٦) (٣/ ٩١٧).

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص(٩١، ٩٢).

(٣) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله، عبد العزيز مصطفى ١٤٥.

(٤) البخاري ٧٤٣٩، ومسلم ٣٠٢.

ويصومون معنا، ويحجون معنا، فأدخلتهم النار! فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم، فمنهم من أخذته النارُ إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونه»[١].

أيها الشاب قل لي من تصادق أقل لك من أنت؟ أيها الرجلُ صاحب الأشد تذكّر من صاحبت في الصبا وستجدُ شيئًا من أثره عليك الآن وعلى نوع الأثر فاختر رفيق الغد، أيها الشيخ الشمط اختر لنفسك خير الأصحاب في خريف العمر.. فالأعمال بالخواتيم.

عباد الله! كم ضل من ضل بسبب قرين فاسد أو مجموعة من القرناء الأشرار، وكم أنقذ الله بقرناء الخير من كان على شفا جرف هار فأنقذه الله بهم من النار، وانتقل من حالٍ إلى حال، فأبصر بعد العمى، واهتدى بعد الضلالة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وتلك واحدة من آثار الرفقة الصالحة. ولهم آثار أخرى أبان عنها العلماء، وهذا عمر رضي الله عنه وهو يعدد شيئًا من آثارهم ويقول: عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، وابن القيم ينقل عن العلماء ست خصال ومنافع تستفاد من مجالسة الصالحين وهي:

أنها تنقل من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الطوية إلى النصيحة[٢].

أيها المسلمون! من قرأ كتاب الله وتدبره وجد فيه بلسمًا شافيًا، ودعوة

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ح ٥١، ١/١٦.

(٢) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله ص١٤٦.

لمصاحبة الأخيار، والحذر من الأشرار يقول تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[١].

وإذا كانت هذه دعوة وتحذيرًا في الدنيا.. فالأمر في الآخرة أشد وأدهى، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[٢].

عباد الله! ما أعظم الفتن في اختيار الخليل بين فئتين، قال الله عنهما: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

وكيف يزهد في اختيار الرفقة الصالحة من يسمع نبيَّ الهدى والرحمة يقول: «**إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله ﷻ**». قالوا: يا رسول الله مَنْ هم؟ قال: «**هم قومٌ تحابُّوا بروح الله على غير أرحامٍ بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**».

ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤].

يا أخا الإسلام! إن من البلاء والفتنة والخيبة والخسران أن تتخذ لك في الدنيا

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧- ٢٩.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٦٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦٢. والحديث رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في المشكاة (٥٠١٢) ٣/ ١٣٩٦.

قرينًا سيئًا.. وخِلًا فاسدًا، إن هممت بأمر خير ثبطك.. وإن تباطأت عن أمر سوء، أو استحييت من عمل منكر.. سارع بك وشجعك وسوّل لك ومنّاك، يُبعدك عن مجتمع الأخيار.. يُحسن لك الجلوس على موائد الشرِّ والانضمام لقافلة الأشرار، لا تأمن غدرهم، ولا تسرُّ إذا رُؤيت معهم، وإنها لنعمة ومنة أن يهديك الله لرفقة صالحة، إن وجدوا فيك خيرًا شجعوك، وإن وجدوا عليك عيبًا نصحوك وستروك، تأمن سريرتهم، وتُعجبك علانيتُهم، وتستلذ بحلو منطقهم، وتستفيد من أطايب كلامهم.. وتفخر إذا رأيت نفسك أو رآك غيرُك معهم. واختر لنفسك ما تشاء واعلم أن اختيارك لقرين السوء دليل بُعدك على ذكر الله وطاعته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾[1].



(١) سورة الزخرف، الآيات: ٣٦- ٣٨.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، يسَّر من شاء لليسرى، وجعل نصيب آخرين العسرى، وهو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يمتحن الناس في هذه الدنيا وعنده يوم القيامة الجزاء الأوفى.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله نظر ربُّه في قلوب الرجال فوجد قلبه أزكاها وأتقاها فاختاره لرسالته، ونظر في قلوب الرجال من بعده فوجد قلوب الصحابة الهدى والتقى فاختارهم أصحابًا له.. وبهم يقتدى.. اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى سائر النبيين والمرسلين.

أيها المسلمون! إذا كانت القلوب تموت بمصاحبة الأشرار، أو تُصاب بالعلل الكبرى، فإن في مصاحبة الأخيار دواءً للقلوب وحياةً لها، وقد نقل النووي رحمه الله عن الزاهد العابد إبراهيم الخواص أنه قال: دواءُ القلب خمسة .. وذكر منها: مجالسة الصالحين[1].

أيها المسلم! قد تستهويك رفقة الأخيار لما جاء في فضلها وآثارها، ولكنك قد تجد من نفسك تثاقلًا أو حياءً، أو حواجز نفسية ووهمية عن اللقاء بالخيِّرين والانبساط إليهم، فجاهد نفسك في البداية تجدها منقادة لك في النهاية.. واعلم أن العتبة الأولى لقربك من الخير وأهله كثرة صلتك بالله، واستدامتك لطاعته وإخلاصُك في عبوديته.. وهجرُ الفساد والانقطاع عن مجتمع الفاسدين.. فتلك عون لك بإذن الله على الانخراط في سلك الخيرين، والفرار من مجتمع البطالين.

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص٤٦، عن أسباب العشرة ١٤٨.

أيها الأخيار.. وإذا جاءكم المرءُ مقبلًا على الخير ملتمسًا طرق النجاة صادقًا في عزمه، مخلصًا في ظاهره، فإياكم أن تكفهروا في وجهه، ولو رأيتم عليه بقايا من آثار المعاصي، أو لوثات فكرية من بقايا الماضي.. فحقٌّ من وضع رجله في الطريق الصحيح أن يُقابل بالودِّ والترحاب، وحق على من استغاث بأهل الخير أن يغيثوه ويقفوا معه، إن من الخطأ أن ينغلق أهل الخير على أنفسهم، أو تكون الريبةُ هي الأصل في تعاملهم.. والمسلم -وإن كان مطلوبًا أن يكون كيِّسًا فطنًا- ليس بالخب ولا الخبُّ يخدعه، فالأصل أن يتعامل بالظاهر ويدع البواطن لعلاَّم الغيوب.. ومن رام خداع الناس فسيكشفه الله، والمنافقون حين ظنوا أنهم يخادعون الله والذين آمنوا، قال الله عنهم: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

يا أيها التائب والراغب في مجتمع الخيرين، إياك أن تتخذ من الخطأ الصادر من أي بشر كان سبيلًا للانتكاس مرةً أخرى، ووسيلة لإقناع النفس بسلامة ما أنت عليه أولًا.. فأخطاء الناس لا تحسب على الإسلام ولا يُلام الإسلام إذا ما جهل أبناؤه، فكن متنبهًا لهذا الأمر جيدًا، وفرق بين ما يأمر به الإسلام والأخطاء التي يمارسها المسلمون.

وإذا انغلق أمامك طريق فاسلك طريقًا آخر، وإذا لم تجد الراحة عند شخص أو أشخاص فابحث عن آخرين.. وهكذا والمهم ألا تعود إلى النار بعد أن أَنقذك الله منها، وإلى مجتمع السافلين وقرناء السوء بعد إذ نجاك الله منهم.

يا أخا الإيمان! نصيحتي لك أن تفرَّ من المجذوم في هذه الحياة فرارك من الأسد، ولا تسلم فكرك للآخرين يقودونك حيث شاءوا، ويوقعون بك من مصائب الدنيا ما يظل خزيه يلاحقك ما حييت.. والفضيحة على رءوس الأشهاد أنكى وأخزى.. وهذا كتاب الله يقُص عليك حوارًا معبرًا عن أثر القرين، إلا من حمى

الله ووقى، يقول تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[1].

إن القرناء يستلبون عقول من يقارنون، ويوجهونهم حيث يشاءون، فمن وفق لقرين صالح فليحمد الله ولا يغترّ ولا يستكبر.. ومن بُلي بقرين سوءٍ فليسارع بالخلاص قبل أن يستفحل الداءُ ويصعب الدواء.

وكم هو مشهد مؤثر وكاشفٌ لتلاوم قرناء السوء، وكلّ يتهم صاحبه وقد قضي الأمر، واشترك الجميع في الذل والخزي، اسمع إلى مجادلتهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

اللهم إنا نسألك خير الأصحاب، ونعوذ بك من الأشرار، اللهم احشرنا مع المتقين الأبرار، اللهم أنلنا شفاعتهم، وبلغنا منازلهم بحبهم وإن قصرت أعمالنا عنهم.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٥١- ٥٧.

(٢) سورة سبأ، الآيات: ٣١- ٣٣.

اليقين(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين، خلق فسوى، وقدّر فهدى، وله الحمدُ في الآخرة والأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده مقاليد السماوات والأرض، وما من دابة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها، وما في السماء موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد أو راكع لله. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بعثه الله على حين فترة من الرسل، فأحيا الله به القلوب بعد موتها، وجدد به الملة الحنيفية بعد مزاحمة الشرك والوثنية لها.

اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣).

وبعد إخوة الإيمان فلله الحمدُ والمنّة إذ يسر للحجاج حجهم وأعانهم على قضاء مناسكهم، فعاد من عاد منهم سالمًا غانمًا إن شاء الله، واختار لبعضهم

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ٢١/ ١٢/ ١٤١٨ هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

الرحيل عن هذه الدار قبل إتمام حجِّهم، أو قبل أن يصلوا إلى أهليهم، والله يحكم ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة من أمرهم، ونسأل الله أن يتقبل من الحجاج حجتهم ويمتعهم متاعًا حسنًا، وأن يغفر للموتى ويُجزل مثوبتهم، ويجبر مصابهم وأهلهم. وكذلك تكون الحياةُ الدنيا وكذلك يفعل الله ما يشاء بالأحياء، وحكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1].

ولله الحمد والمنة إذ أفاء على الحجاج وغير الحجاج من بركات عشر ذي الحجة ومتعهم حتى عاشوا يوم العيد وأيام التشريق وهي أيام عظيمة فاضلة.

ولك الحمد ربّنا إذ جعلت الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس وأمنًا، فعبدوك آمنين مطمئنين، اللهم زد بيتك تعظيمًا وتشريفًا، وأجزل المثوبة لكل من ساهم في أمن الحجاج والمعتمرين، وطهر بيت الله للطائفين والعاكفين والركع السجود، اللهم ومن أراد بيتك أو حجاجه وعماره أو المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميرًا عليه يا رب العالمين.

اللهم عظم للعاملين أجورهم، ولا تحرم المقصرين فضلك، واجعلهم فيما يستقبلون من أيامهم خيرًا مما مضى من أعمارهم. واختم بالصالحات أعمالهم، ولا تضلهم بعد إذ هديتهم، فما أسوأ الحور بعد الكور، والضلالة بعد الهدى، ومن يُضلل الله فما له من هاد.

أيها المسلمون! من فضل الله علينا أن المسلم ينتقل من عبادة إلى عبادة ومن موسم للخيرات إلى آخر، وهذه العبادات منها ما يتكرر كلَّ عام، ومنها ما يتكرر

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١١.

كلَّ شهر، ومنها ما يتكرر كلَّ أسبوع، ومنها ما يلازم المسلم كل يوم، بل ربما تكرر في اليوم خمس مرات أو أزيد، ولو شاء المرءُ لعبد ربه مع كل نفس يخرج، قائمًا وقاعدًا وعلى جنب.. فالصلاة والصيام والذكر وتلاوة القرآن والصلة والإحسان، ونحوها من العبادات لا تحد بزمان أو مكان، أو هيئة محدودة للإنسان.

يا أخا الإسلام.. وكما تتعاظم العبادة في الأزمنة والأمكنة الفاضلة -فثمة أمر آخر يتعاظم فيه أجرُ العبادة، ويحتاج العباد إلى معرفته والعمل به- إنه تعظيم أمر الله في النفوس واستشعار لذة العبادة من خلال اليقين والإخلاص والمتابعة لهدي الرسول ﷺ.

أجل إن العبادة يتعاظم أجرُها بقدر ما يوجد في قلب العابد من عبودية وإخلاص وتعظيم لأمر الله، ويقين لا يخالطه شك. فما معنى اليقين؟ وما أثره؟ وبم يُحصل عليه؟ وما مظاهر ضعفه؟

قال العالمون: اليقينُ طمأنينة القلب، واستقرارُ العلم فيه، ولهذا قالوا: ينتظم من اليقين أمران: علمُ القلب، وعملُ القلب، فإن العبد قد يعلم علمًا جازمًا بأمر، ومع هذا يكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم، كعلم العبد أن الله رب كلِّ شيء ومليكُه، ولا خالق غيره، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكلُ عليه (فيكون صاحبه من الموقنين) وقد لا يصحبه العملُ بذلك، إما لغفلة القلب من هذا العلم، وإما للخواطر التي تسنح في القلب كالاعتماد على الأسباب.. وإما لغير ذلك فلا يكون صاحبه مطمئنًا ولا مستيقنًا[1].

(١) فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٢٩).

يا أخا الإيمان! وإذا أردت أن تتبين أثر الإخلاص واليقين في الأعمال فتأمل حديث صاحب البطاقة، فقد روى الترمذي وحسنه، والنسائي وابن حبان والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا: «**يُصاح برجلٍ من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشر له تسعة وتسعون سجلًا، كلُّ سجل منها مد البصر، ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيقال: أفلك عذرٌ أو حسنة؟ فيهاب الرجلُ، فيقول: لا، فيقال: بلى، إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلاتُ في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**»[1].

قال ابن تيمية معلقًا على هذا الحديث: (والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجهٍ يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله به كبائر كما في حديث البطاقة.

ثم ذكر ابن تيمية حديث البغي التي سقت كلبًا فغفر الله لها. والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فغفر الله له، ثم قال: فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغُفر لها، وإلا فليس كلُّ بغي سقت كلبًا يُغفر لها، فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإجلال..)[2] اهـ.

ويقول تلميذه ابن القيم ﷺ: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما من التفاضل

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٦/ ٣٤٣، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد ص٤٦.

(٢) منهاج السنة ٦/ ٢١٨.

كما بين السماء والأرض، قال: وتأمل حديث البطاقة وكيف ثقلت بتسعة وتسعين سجلًا كلُّ سجل مدّ البصر، فلا يُعذب صاحبُها، ومعلوم أن كلَّ موحدٍ له هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه[١].

أيها المسلمون! في مقابل هذا فقد يعمل الإنسان أعمالًا عظيمة في ذاتها، ولا يقبلها الله منه، بل ربما تعرض للوعيد الشديد وكان مصيره النار بسبب فعلها، وذلك لخلوها من الصدق والإخلاص واليقين، كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من يُقضى يوم القيامة، وأحدُهم قاتل الكفار حتى قتل، والآخر تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، والثالث: كان ينفق ماله في وجوه الخير.. ويوم القيامة يُسحب على وجهه حتى يُلقى في النار.. لأن العمل لم يمكن خالصًا، بل كان للرياء والسمعة، ونيل الشهرة، وحتى يقال: جريء، وعالم، ومنفق. وقد قيل ذلك في الدنيا، أما في الآخرة فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان له خالصًا.

كما قال تعالى لنبيه وللمؤمنين: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[٢].

ألا فعظموا ربكم، وأخلصوا له عبادتكم، واستيقنوا لقاء ربكم، واحذروا الآخرة، وارجوا رحمة الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣].

---

(١) فتح المجيد ٤٦، ٤٧.
(٢) سورة الزمر، الآيتان ٢، ٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، فاضل بين الناس في أعمالهم وإيمانهم، فمنهم المسارعون للخيرات، والمكثرون من عمل الصالحات، وهم آمنون مستيقنون، ومنهم الظالمون لأنفسهم المعرضون عن ذكر ربهم، وهم في ريبهم يترددون.

أحمده تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كلَّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

عباد الله! منزلة اليقين من الإيمان كما قال ابن مسعود رضي الله عنه (اليقين الإيمان كلُّه، والصبر نصف الإيمان). ولليقين أثرٌ كبيرٌ في الإيمان بالقضاء والقدر.

كما قال ابنُ عباس رضي الله عنهما يرفعه: «فإن استطعت أن تعمل بالرضى في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»، وفي رواية: قلت: يا رسول الله كيف أصنع باليقين؟ قال: «**أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»[١].

أيها المسلمون! لمنزلة اليقين وحاجة الناس إليه جاء في الحديث المشهور: «سلوا الله اليقين والعافية فما أعطي أحد بعد اليقين شيئًا خيرًا من العافية، فسلوهما الله»[٢].

أما أهل اليقين فهم الأئمة والقادة، وهم أهل الصبر والهداية إذا ابتلوا ثبتوا، وإذا أذنبوا استغفروا، ويشكرون على السراء، ويصبرون على البلاء، لا يخشون إلا الله، ولا يرجون أحدًا سواه، خصهم الله بالذكر في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً

---

(١) فتح المجيد ص ٣٠٥.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٣/ ٣٣٠.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١].

وأثنى عليهم وما يتقلبون فيه من نعمة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

يا أخا الإيمان! إن قلت: إذا كانت هذه بعض مزايا وقدر أهل اليقين، فكيف السبيل إلى تحصيل اليقين؟

فالجواب كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء:

أحدها: تدبر القرآن،

والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق،

والثالث: العمل بموجب العلم، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣].

عباد الله! إذا كان في كتاب الله من الآيات ما يدعو للإيمان واليقين من أخبار الوعد والوعيد، وقصص الماضين، وأخبار الهالكين، وسُبل نجاة المؤمنين، وما تضمنته آياته من آيات في الأنفس والآفاق.

فإن في صفحةِ كون الله المفتوح ما يدعو كذلك للإيمان واليقين، فسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات خلق وأمواج، وجبال ذات جُدد بيض

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣، ١٧٤.

(٣) الفتاوى ٣/ ٣٣٠، ٣٣١.

وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سُود، ومخلوقات تختلف أشكالها وأحجامها وهيئاتها، وكلها خلق من ماء فمنها ما يمشي على بطنه، ومنها ما يمشي على رجلين، ومنها ما يمشي على أربع، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير، بل لو أبصر المرء في ذات نفسه وتأمل قدرة الله في خلقه لزاد إيمانه وامتلأ قلبه يقينًا بخالقه.

ألا ما أحوج الأمة المسلمة بأفرادها وقادتها إلى مزيد الإيمان واليقين ترتفع به من كبوتها.. وتستنقذ به نفسها والأمم من حولها من هاوية الحيرة والضلال والشك والريب، وتسير بالإيمان واليقين تفتح مغاليق القلوب بإذن الله، وتنشر دين الله الحقَّ في أصقاع المعمورة، وكذلك كان أسلافنا قممًا عالية في الإيمان واليقين، ومن طريف ما يُروى في الإيمان واليقين، أن المسلمين حين افتتحوا مصر جاء أهلُها إلى عمرو بن العاص وكان أميرًا لها حين دخل بؤونة من أشهر العجم، فقالوا: أيها الأمير: إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يجري إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحُلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا بؤونة والنيلُ لا يجري حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا، فألقها في النيل، فلما قدم كتابُه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإنك إن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجري، وإن كان الله الواحدُ القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك. قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت

وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة، وقد قطع الله تلك السُّنة عن أهل مصر إلى ذلك اليوم[١].

أيها المسلمون! من مظاهر ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، وإن الله بحكمته جعل والروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط.

هكذا ورد في حديث عن أبي سعيد، والحديث وإن أعله العلماء وضعفوه، فمعناه صحيح، كما قال المحققون[٢].

اللهم إنّا نسألك اليقين والعافية، ونعوذ بك من الشكّ والتسخط والهم والحزن.

اللهم إنا نسألك إيمانًا يباشر قلوبنا، ويقينًا يلازمنا ما أبقيتنا حتى تتوفانا وأنت راضٍ عنا. وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب السنة له، وعنه نقله ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾. انظر: تفسير ابن كثير، ٣/ ٧٦٧.

(٢) فتح المجيد ص٣٠٥ بتحقيق ومراجعة ابن باز.

العشر الأخير وفضل التهجد والدعاء(١)

الخطبة الأولى:

الحمد لله ربِّ العالمين، خلق فسوى، وقدّر فهدى، وله الحمدُ في الآخرة والأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده مقاليد السماوات والأرض، وما من دابة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اتقوا الله معاشر المسلمين وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، ولباسُ التقوى خير وأبقى، واصدقوا مع ربكم في العلانية وما يخفى، فإن ذلك من علائم التقوى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

عباد الله! بشراكم اليوم حيث تدركوا ليالي العشر الأخير من رمضان، وهي شامة العام، وغرّة في جبين الزمان، يقدرها حقَّ قدرها العالمون العابدون، ويتهاون بشأنها ويفرط في مغانمها الجاهلون العاجزون، إنها الموسمُ يتنافس فيها المتنافسون، وإنها التجارةُ المنجية من عذاب الله لمن وفقه الله، إنها فرصٌ تبتلى فيها الهمم، ويتبين فيها مريدو الآخرة، والمتعلقون بالدنيا.

إنها الفرصة الأخيرة في الشهر تحلُّ لتكون العزاء لمن فرّط في أول الشهر، أو التاج الخاتم لمن أصلح ووفّى فيما مضى. أجل لقد كان خيرُ البرية محمد ﷺ يجتهد في هذه العشر فوق ما يجتهدُ في غيرها، وقد روى الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أم

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ١٤١٦/٩/٢٠هـ، وأعيدت في ١٤١٧/٩/٢٢هـ دون الثانية.

المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»[(١)]. كان يحيي الليل، ويوقظ أهله، ويشد مئزره، وهو الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بال أقوام تثقلهم الذنوبُ، ويحتاجون إلى رحمة علام الغيوب، ثم هم يُفرّطون، وعن مواسم الخيرات يتأخرون؟! إنها النفوس الأمارة بالسوء تقعد بأصحابها حين تكون المغانم، وإنها الهمم الضعيفة تستثقل القيام في أيام وليالي معدودة..

أين نحن من قومٍ ديدنهم القيام طوال العام، وسيماهم التضرع والتجافي عن المضاجع في رمضان وغير رمضان، بل كانوا يتلذذون بالقيام ويسعدون وهم يناجون الملك العلام، يقول أحدهم: لولا قيام الليل ما أحب البقاء في الدنيا.

وقال عاصم بن أبي النجود -يرحمه الله-: أدركت أقوامًا كانوا يتخذون هذا الليل جملًا[(٢)].

أولئك الذين أثنى الله عليهم ووعدهم، وربك لا يخلف الميعاد، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[(٣)]، ذلك واقعهم، أما جزاؤهم، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٤)].

أهل التجافي في جنح الظلام هم أهلُ التقوى والمتقون في جناتٍ وعيون، أحسنوا في الدنيا فأحسن الله إليهم في الآخرة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨٣٢ ح ١١٧٥.

(٢) المختار للحديث في رمضان ٧٦.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٧.

ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١].

قيام الليل هدي محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[٢].

وهو هدي خيار الأمة معه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ﴾[٣].

وقيام الليل مفخرة لأهله، وامتدح الشعراء به أهله، وهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يمدح رسول الله ﷺ ويقول:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذ انشق معروف من الصبح ساطع

يبيت يُجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وذكروا المتقاعس أو المتباطئ فيه فقالوا:

أمامك يا نومانُ دارُ سعادة ... يطول الثوى فيها ودارُ شقاء

خُلقت لإحدى الغايتين فلا تنم ... وكن بين خوفٍ منهما ورجاء[٤]

«نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»[٥].

هكذا كان النبيُّ ﷺ يدعو أصحابه لقيام الليل ويرغبهم فيه، ولقد وضع ﷺ الزرع في منبته، فاستجاب الرجال للنداء، وأجابوا الدعوة والداعي، وكانوا رهبانًا

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١٥- ١٨.
(٢) سورة المزمل، الآيات: ١- ٤.
(٣) سورة المزمل، الآيات: ٢٠.
(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ١٠٠.
(٥) رواه أحمد، متفق عليه، صحيح الجامع الصغير ٦/ ٣١.

بالليل فرسانًا بالنهار، تتجافى جنوبهم عن المضاجع فلا تجف لهم دمعة، ولا تقعد بهم الدنايا عن طلب المنازل العليّة.

قيام الليل أيها المسلمون من أبواب الخير، عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**ألا أدلُّك على أبواب الخير؟ الصومُ جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجل من جوف الليل**» قال؟ ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْلَمُونَ﴾[1].

عباد الله! وفي فضل التجافي ذكر ابن المبارك -يرحمه الله- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحامدون لله على كل حال، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثانية: ستعلمون من أصحاب الكرم، ليقُم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾. قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة.. الحديث[2].

أَيها المسلمون! حريٌّ بنا أن نجاهد أنفسنا على قيام الليل وهذا بعض فضله، وأن نتخذ من رمضان فرصة للقيام في سائر العام، وإن قصرت بكم الهمم في بعض الشهور والأيام عن قيام الليل والناس نيام، فدونكم هذه الليالي الفاضلة فلا تغلبنكم أنفسكم، ولا يصدنكم الشيطان عنها، فهي والله العز في الدنيا، والمغنم في الآخرة. وإليكم واحدًا من بشاراتها وثوابها، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلّى بالليل والناس نيام**»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. انظر: تفسير القرطبي ١٤/ ١٠٠.
(٢) ذكره الثعلبي مرفوعًا عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها (تفسير القرطبي ١٤/ ١٠٢).
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني: صحيح الترغيب ١/ ٢٥٤.

تأملوا عباد الله الليل إذا سجى، وادعوا ربكم خوفًا وطمعًا وسبحوه بكرة وأصيلا، واستمتعوا بالقرآن إذ يتلى، ولا يكن همكم نهاية الصلاة إذ تقضى، ولا يكن حديثكم ومحل اهتمامكم أقصّر الإمام في الصلاة أم وفّى، فإنّ من قام لله قانتًا واحتسب الأجر على الله قائمًا وراكعًا وساجدًا، تشاغل بذكر مولاه، وبكى على خطيئته وخاف ربَّه ورجاه، واستشعر اللذة في حال قيامه أو ركوعه أو دعاه.

أيها المسلمون! ليالي العشر مغنم يستحق التهنئة والبشرى، وفيها ليلة خير من ألف شهر كما أنزل العليُّ الأعلى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1].

وتأمل يا أخا الإسلام كم في هذه الليلة من فضائل ومزايا، ففيها أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، والعمل فيها لمن وفقه الله وقبله خير من العمل في ألف شهر، وتلك رحمة من رحمات الله بهذه الأمة التي تقلّ أعمارها عن أعمار الأمم قبلها، فأعطيت هذه الليلة لتعويض قصر أعمارها.

وفيها يكثر تنزل الملائكة، وهم يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، والله أخبر عن بركة هذه الليلة فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[2]. ووصفت بأنها سلام أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو أذى كما قال مجاهد رحمه الله[3].

أو يكثر فيها السلامة من العقاب والعذاب بما يقوم به العبدُ من طاعة

(١) سورة القدر.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٣١.

الله ﷺ[1]، وفي ليلة القدر يُفرق كلُّ أمرٍ حكيم، وهو ما يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة من أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق.

وفوق ذلك كلِّه، فمن قامها إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه كما في الحديث المتفق على صحته.

فهل ترضى أيها اللبيبُ أن تفوّت على نفسك هذه الفرصة، وأنت تضمنها في ليالٍ عشر، ألا ما أحوجني وإياك والمسلمين إلى فضل ربِّنا فهذه نفحات جوده تغشانا.

وما أحوجنا إلى مغفرة الذنوب التي أثقلت كواهلنا، وفي هذه الليالي فرصة للتخفف والتوبة والاستغفار فما أحرانا، ولا يفوتنك الاستغفار بالأسحار فهو سيما المتقين وزاد إلى جنة النعيم ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

ولي ولك حوائج في الآخرة والأولى.. وفي جنح الظلام يسمع الدعاء، ولنا جميعًا معاشر المسلمين هموم ومآسي، وليس إلا الله يرفع عنا الضراء، فلنبتهل إليه ولنصدق المسألة لنا ولإخواننا والجنة جميعًا مبتغانا، ونسأل الله ليلًا ونهارًا أن يرزقنا إياها وقيام الليل عامة، وإحياء ليال العشر خاصة طريق إلى الجنة، إذا صحت النوايا وخلصت الأعمال لله جلّ وعلا، وأذن الربُّ بالقبول - وربنا رؤوف رحيم يعطي الجزيل، ويتجاوز عن التقصير، فهل نلج الباب ونفعل الأسباب؟

إنها دعوة للمسابقة للخيرات، وتذكير ببعض الفضائل والمكرمات، ومن تذكر فإنما يتذكر لنفسه، ومن عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها. أعوذ بالله من

---

(١) المجالس لابن عثيمين ١٠٥، المختار ٢٣٧.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٨.

الشيطان الرجيم ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا﴾[1].

اللهم انفعنا بالقرآن ووفقنا لصالح الأعمال، وأعنا على الصيام والقيام وتقبل منا يا كريم يا منان.. أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.



(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، أوحى إلى عبده فيما أوحى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[(١)]. قال ابن جرير رحمه الله: هي الصلاة بالليل من أي وقت صلى.

وأنزل على نبيه فيما أنزل ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[(٢)]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وفيما أنزل عليه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[(٣)]، قال القرطبي: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

إخوة الإيمان! في الهزيع الأخير من الليل يُستجاب الدعاء، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله: «**إن الله يُمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر، هل من تائب، هل من سائل، هل من داع، حتى ينفجر الفجر**»[(٤)].

وفي الدعاء يجاب المضطر، ويكشف السوء، وتستمر الحياة على وجه الأرض: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[(٥)]. قال المفسرون: ينبه تعالى أنه المدعو عند

---

(١) سورة ق، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) سورة الشرح، الآيتان: ٧، ٨.

(٤) رواه مسلم ج ٧٥٨/ ١٧٢.

(٥) سورة النمل، الآية: ٦٢.

الشدائد، والمرجو عند النوازل[١].

أمة الإسلام! كم في المسلمين من شدة، وكم تحيط بهم من نازلة وليس لهم إلاّ الله يرفع عنهم الضرَّ، ويكشف ما بهم من كرب، فهل يا ترى يستفيد المسلمون من هذه الليالي الفاضلة فيرفعون أكف الضراعة لجلاء الغمة، وإزالة أسباب التشرذم والفرقة، لقد عادت غربة الدين في أنحاء واسعة من بلاد المسلمين، وأصبح الغيورون على دين الله غرباء، وأصبحت نُخب العلمانيين تصدِّر للناس من المفاهيم الملوثة ما تشاء، وحلت في ديار المسلمين الفتن والشحناء، وغاب صوتُ الحقِّ أو كاد، لمخالفته الهوى، فإلى الله المشتكى، وفي قصص القرآن سلوة وعزاء ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾[٢]

احرصوا على الدعاء معاشر المسلمين، وادعوا دعاء المضطر إلى الله الموقن بالإجابة، مستحضرين آداب الدعاء، ومتفطنين لأسباب القبول، وموانع الإجابة، ومتحرين لأوقات سماع الدعاء، وقد سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبة**»[٣].

إخوة الإيمان! وها هنا يحسن التنبيه على خطأ يقع فيه بعض الداعين أئمة كانوا أو مأمومين، ألا وهو الاعتداء في الدعاء، وذلك برفع الأصوات، أو بالدعاء بغير المأثور من الدعوات، أو بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٦١٢.

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٥، ٦.

(٣) رواه الترمذي وحسنه (رياض الصالحين/ ٤٧٥).

المحرمات، أو المستحيلات كالتخليد في الدنيا، أو الاطلاع على الغيب، أو غير ذلك من صور الاعتداء التي تذهب بالخشوع وتفقد الاقتداء بهدي المرسلين، والله يقول مادحًا لأوليائه وأصفيائه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[١]، وينهى عن الاعتداء في الدعاء ويقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٢].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام جزل طيب في إخفاء الدعاء وعدم الاعتداء فيه، وقد ذكر له فوائد عديدة وأحصى منها عشرًا هي باختصار:

أولها: أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.

ثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم، فإذا كانت الملوك لا ترفع الأصوات عندها، فملك الملوك أحرى.

وثالثها: أنه أبلغُ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبُّه ومقصوده.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه.

وسادسها: وهو من النكت البديعة جدًّا أنه دال على قرب صاحبه للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنى الله على زكريا بقوله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ فلما استحضر القلب قرب الله ﷻ، وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله للصحابة: «**أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**».

وسابعها: أنه ادعى لدوام الطلب واللسان، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته.

وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات؛ لأنه إذا أخفى لم يدر به أحد بخلاف إذا جهر فطرت له الأرواح البشرية، ولابد فأفسدت عليه دعاءه بخلاف إذا أسر.

وتاسعها: أن أعظم النعمة الإقبال والتعبد، ولكل نعمة حاسد على قدرها، ولا نعمة أعظم من هذه وبالإسرار يسلم من حسد الحاسدين بإخفاء هذه النعمة التي منحه الله إياها.

وعاشرها: أن الدعاء هو ذكرٌ للمدعو ﷻ، متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه فهو ذكرٌ وزيادة.. وإذا كان ذلك كذلك فالله قال في شأن الذكر ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ والتمسكن والانكسار هو روح الذكر والدعاء.

ومن رام المزيد والتفصيل فليرجع للفتاوى في جزئها الخامس عشر[1].

أيها الصائمون! ثمة سُنَّة نبوية يحسن التذكير بها هذه الأيام، إنها الاعتكاف، وحقيقتها لزوم مسجد لطاعة الله والانقطاع عن الدنيا وعلائقها، والإقبال على الله وقصر القلب عليه وحده دون سواه، والتبتل إليه وسؤاله ورجاؤه.

قال الإمام الزهري رحمه الله: عجبًا للمسلمين تركوا الاعتكاف مع أن النبي ﷺ ما

(١) الفتاوى ١٥/ ١٥- ٢٢.

تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله ﷺ.

أجل لقد اعتكف النبي ﷺ في العشر الأول من رمضان، ثم العشر الأواسط يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأواخر فداوم على اعتكافها، عجبًا لمن يبحثون عن سنة المصطفى ﷺ ثم هم لا يكترثون بسنة الاعتكاف ولو حينًا من الدهر، وعجبًا لمن يبحثون عن الخير مظانه ثم هم يقصرون عن سنة الاعتكاف ويعللون أنفسهم بالمشاغل وارتباطات الحياة، وهل يبلغون معشار ما لدى النبيِّ ﷺ من مهام ومسئوليات، ومع ذلك داوم على الاعتكاف حتى لقي الله، بل لقد اعتكف أزواجه من بعده، اقتداء بسنته كما ثبت في الحديث المتفق على صحته، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة مستحاضة من أزواجه فكانت ترى الحمرة والصفرة، فربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي» قال الشيخ الألباني: وفي هذه الأحاديث دليل على جواز اعتكاف النساء ولا شك أن ذلك مقيد بإذن أوليائهن لذلك، وأمن الفتنة والخلوة مع الرجال للأدلة الكثيرة في ذلك، والقاعدة الفقهية: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

فإذا كان الأمر واردًا بالنسبة للنساء -مع توفر الشروط وانتفاء الموانع- فما بال الرجال يزهدون في هذه السنة الثابتة.

إن في الانقطاع عن الدنيا لذة وراحة، وفي الخلوة برب العالمين أنس وطمأنينة يحس بهما من انقطع في معتكفه مخلصًا لربه، وما أحوج النفوس لترويضها على الخير، وتربيتها على البرِّ والتقوى، وما أحوج الأمة إلى دعوات مخلصة يعلمُ الله صدق الداعين بها فيبلغ بها عنان السماء ويستجيب لأصحابها، كم فينا من أدواء، وكم في أمتنا من جرح يثعب دمًا، وسل أرض البوسنة والشيشان، وطوّف بكشمير

وبورما وبلاد الأفغان، وفي القرن الأفريقي أحداث ومآس تترى، وطغيان الصهاينة المتعدين في أرض الإسراء ليس يخفى.

أيها المسلمون! ليس يُجدي التلاوم شيئًا، ولن يغير الله ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا، ومصيبة عظمى أن يستسلم المسلمون لواقعهم ويستشعروا إلى الأبد هزيمة الأعداء، أو يصابوا بالإحباط، فيظنوا فوات الفرص كلها، وقد وعد الله باليسر بعد العسرى، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا، فهل يستثمر المسلمون هذه الأيام والليالي الفاضلة باستصلاح أحوالهم والتضرع لخالقهم، أم ترانا ننوح على أمتنا ونحن جزءٌ من هذا الواقع المتردي.. اللهم أصلح أحوالنا واجمع شمل أمتنا، واكفنا شرِّ أعدائنا.. هذا وصلوا وسلموا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



هم العدو: العدو الخفي(١)
كثرتهم وخطرهم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

إخوة الإيمان! لقد تحدث القرآن الكريم عن طوائف من الأعداء ليحذر المسلمون صنيعهم، ولتتقوا شرورهم، ولتستبين سبيل المجرمين، لكنه خصَّ بالعداوة قومًا، وحذّر وأنذر واستوعب الحديث فئة اندست قديمًا.. ولا تزال تندس بين صفوف المؤمنين حديثًا خداعًا وكذبًا وتزويرًا.

قال الله فيهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٢)، وحذّر النبي ﷺ منهم، واشتدّ خوفه على أمته منهم فقال: **«أخوف ما أخاف على أمتي كلُّ منافق عليم اللسان»**(٣).

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة الموافق ٢٤/ ١/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل وغيره بسند صحيح (صحيح الجامع الصغير ١/ ١٢٧).

والحديث أيها المسلمون عن النفاق والمنافقين حديث يبدأ ولا ينتهي، كيف لا وقد جاء الحديث عنهم في أكثر من نصف سور القرآن المدنية، إذ ورد الحديث عنهم في سبع عشرة سورة مدنية من ثلاثين سورة، واستغرق ما يقرب من ثلاثمائة وأربعين آية من كتاب الله العزيز[١]، حتى قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم[٢].

إخوة الإيمان! بلية الإسلام بالمنافقين شديدة جدًّا؛ لأنهم منسوبون إليه وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كلِّ قالب يظن الجاهل أنه علمٌ وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد، فلله كم من معقل للإسلام هدموه، وكم من حصن له قلعوا أساسه وخربوه، وكم من علم له قد طمسوه، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه، وكم ضربوا بمعاول الشّبه في أصول غراسه ليقلعوها، فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبليَّة، ولا يزال يطرقه من شُبَهِهم سريَّة بعد سريّة، ويزعمون بذلك أنهم مصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٣]، كذلك قال العارفون في وصفهم[٤].

أيها المسلمون تُصاب الأمة في مقتلها إذا أتيت من قبل أبنائها، وينجح الأعداء ويتبجحون إن استطاعوا أن يوظفوا من أبناء المسلمين من يحارب الإسلام وقيمه، ويشكك في الانتماء له، ويسخر من المنتسبين له، والمصيبة أعظم حين يمتطى الدين في سبيل تشويه سمعة المتدينين.

---

(١) حديث الإفك، عبد الحليم العبد اللطيف، ٤٠، ٤١.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢.

(٤) المصدر السابق: ١/ ٣٧٧.

وما أصعب الحياة حين يبدأ الناس يتوجسون من حولهم خيفة، وحينها تكون الريبة محلَّ الثقة، ويحلُّ الشك محل اليقين، وما ذاك من أخلاق الإسلام ولا من سمات مجتمع المسلمين، ولكنها بلية النفاق وآثار المنافقين.

عباد الله! أعداء الأمة الإسلامية كثر، ولكنَّ حصر العداوة بالمنافقين في قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ يُراد به إثبات الأولوية والأحقية للمنافقين في هذا الوصف ولا يراد منه أنه لا عدوَّ لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوًّا من الكفار المجاهرين بكفرهم، فإن الحرب مع أولئك ساعة أو أيامًا ثم تنقضي، ويعقبها النصر والظفر. وهؤلاء -يعني المنافقين- معكم في الديار والمنازل، صباحا ومساءً، يدلّون العدوَّ على العورات، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر، ولا يمكن بل يصعب مناجزتهم[1].

قاتل الله المنافقين، وأبعد النفاق عن مجتمعات المسلمين، وكم يعصر الفؤاد أن تتعامل مع شخص وأنت تظنه من الأخيار، فإذا به سبع كاشر وهو في دخيلته من الأشرار، بلية وسوء طوية، ودناءة أن يتظاهر المرء بالصلاح والتقى خداعًا ونفاقًا، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، ويح المنافقين يظنون أنهم يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.. وخابوا وخسروا وإن زعموا الإصلاح فهم مفسدون بشهادة العليم الخبير: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[2].

ومهما تطاولوا على أهل الإيمان، ورموهم بالسفاهة أو غيرها من رديء الألفاظ

---

(١) بتصرف عن طريق الهجرتين، لابن القيم ص ٤٠٢- ٤٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١١، ١٢.

فهم أهلُ السفاهة بشهادة القرآن ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[(١)].

أيها المسلمون! لا يغترُّ المؤمنون بنصح المنافقين وإن زعموا، ولا يغير من واقعهم شيئًا وإن علوا المنابر وباسم الإسلام تحدثوا.. وعن قضاياه أحيانًا نافحوا، والله أعلم بما يكتمون. ولله درُّ المؤمنين السابقين حين أسكتوا زعيمهم الأول وعن حقيقته كشفوا، فقد روى ابن إسحاق في السيرة قال حدثني الزهري قال: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة -مرجعه من أحد- وكان لعبد الله بن أُبي -زعيم المنافقين- مقام يقومه كلَّ جمعة لا يُنكر، شرفًا له من نفسه ومن قومه، وكان فيهم شريفًا إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس: هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله به، وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس، حتى إذا صنع ابن أبيّ يوم أُحد ما صنع -يعني مرجعه بثلث الجيش- قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي عدوَّ الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلتُ بَجْرًا: أي أمرًا عظيمًا. إلخ الرواية[(٢)].

عباد الله.. ما أكثر المنافقين وهم الأقلون، وما أجبرهم وهم الأذلون، وما أجهلهم وهم المتعالمون، وما أغرّهم بالله إذ هم بعظمته جاهلون ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[(٣)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣.

(٢) انظر السيرة لابن هشام ٢/ ١٠٥، وتفسير ابن كثير ٨/ ١٥٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٦، المدارج ١/ ٣٨٤.

لا يرتفع بهم شأن الإسلام مهما قالوا، ولا يزداد بهم الصفُّ الإسلامي إلا ضعفًا وخبالًا مهما كثروا ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(١).

البلية بهم عامة، وسوادهم ينتشر في أوساط المتعلمين والعامة، والأمر أدهى وأمر حين يتوفرون في صفوف النخب، ويحسبون على أهل العلم والديانة، وبتقرير كثرتهم قال المتقدمون.

قال الحسن البصري -يرحمه الله-: لولا المنافقون لاستوحشتم في الطرقات (يعني لكثرتهم)(٢).

وسمع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رجلًا يقول: اللهم أهلك المنافقين، فقال: يا ابن أخي: لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك(٣).

أيها المسلمون! لكثرة المنافقين وسهولة الانخداع بهم يجهل حالهم كثير من الناس، بل لقد خفي بعضهم على رسول الهدى ﷺ وأوحى الله إليه فيما أوحى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾(٤).

قال الإمام الذهبي رحمه الله: فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فبالأولى أن يخفى حالُ جماعةٍ من المنافقين

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ٢/ ٦٩٨، عن النفاق والمنافقون، د. عبد العزيز العبد اللطيف، مقال في مجلة البيان، عدد ١٠٩ رمضان سنة ١٤١٧هـ.

(٣) المدارج ١/ ٣٨٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

الفارغين عن دين الإسلام بعده ﷺ على العلماء من أمته[١].

وإذا خفي ذلك على العلماء كان خفاؤه على العامة والدهماء من باب أولى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[٢].



(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٣.

(٢) سورة محمد، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، يعلم السرَّ وأخفى، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته ولا يظلم ربُّك أحدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ومع كمال رسالته وحسن خلقه لم يسلم من أذى المنافقين حتى اتهموه في عرضه وآذوا أهله فبرأه الله مما قالوا، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين.

أيُّها المسلمون! حركة النفاق بدأت بعد انتصار الإسلام في معركة بدر، وحينها شرَّق المنافقون بالإسلام ولم يكن بإمكانهم مواجهته صراحة، وليس لديهم الاستعداد للدخول فيه عن قناعة وطواعية، فاختاروا طريق النفاق وبئس الخيار وكفاهم خزيًا وعارًا أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، واستمرت هذه النبتة الخبيثة عبر تاريخ الإسلام تختلف أسماؤها ومسمياتها ووسائلها وتتفق في أهدافها وغاياتها، أما بواعث النفاق فهي أغراض نفسية، ومطامع دنيوية، وحب للشهوات، وتفضيل مراد النفس على مراد الله، فهذه الأشياء تمنع أهلها من قبول الحقِّ وتحملهم على معاداة أهله، وإبطان السوء، وكراهية الحقِّ، والتربص بالمؤمنين الدوائر[(١)].

والمنافقون -كما قال العالمون- عُشّاق زعامة، وعبيدُ مصالح، لا يُقصِّرون في امتطاء كلِّ مركب يضمن لهم السيادة والقيادة، ومن أجل هذا يؤمنون أوّل النهار ويكفرون آخره.. ويخاطبون كلَّ إنسان بالأسلوب الذي يحبه ويرضاه ﴿وَإِذَا لَقُوا

---

(١) د. عبد الحليم العبد اللطيف، حديث الإفك ص٣٩.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾(١).

البنيان الذي يقام بهم أوهى من بيت العنكبوت، والآمال التي تعلَّق عليهم تتلاشى كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يعتد بهم في الخطوب، ولا يعتمد عليهم حين الشدائد، وإذا كانوا لا يتمالكون أنفسهم حين الفزع ويحسبون كلَّ صيحة عليهم، وإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت، فأنى لهم أن يسعفوا من ركن إليهم أحوج ما يكون إليهم، وحريٌّ بمن رام التعامل معهم أن يقرأ شيئًا من صفاتهم في كتاب الله المعجز، ولا ينبئك مثل خبير.

إخوة الإسلام.. وهاكم أركان النفاق الأربعة كما يصورها ابن القيم- يرحمه الله- إذ يقول: زرع النفاق ينبت على ساقيتين، ساقية الكذب، وساقية الرياء، ومخرجهما من عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة، فإذا تمت هذه الأركان الأربعة استحكم نبات النفاق وبنيانُه.

ولكنه بمدارج السيول على شفا جُرُفٍ هارٍ، فإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر، وكشف المستور، وبعثر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور، تبين حينئذ لمن كانت بضاعته النفاق: أن حواصله التي حصَّلها كانت كالسراب ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾(٢).

إخوة الإيمان! وزعُ النفاق، ونماذج المنافقين كما وجدت في عهد النبوة استمرت في العصور الإسلامية، فهي موجودة في زماننا هذا، ولا يكاد يخلو منها

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤، (عبد الرحمن الدوسري رحمه الله، النفاق وآثاره ومفاهيمه ١١٢).
(٢) سورة النور، الآية: ٣٩. انظر: مدارج السالكين ١/ ٣٨٩.

عصر أو مصر، لا ينكر ذلك إلا جاهل أو مكابر، بل لقد نص العالمون أن النفاق بعد عهد النبوة أشرُّ وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: المنافقون الذين فيكم شرّ من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: إن أولئك كانوا يُسرُّون نفاقهم، وإن هؤلاء يعلنون(١).

وذلك يدعونا جميعًا للحذر من النفاق والخوف على أنفسنا منه، وليس لأحدٍ أن يزكي نفسه بعد اتهام خيار الأمة لأنفسهم وخشيتهم من النفاق، ففي صحيح البخاري معلقًا قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمدٍ ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه..(٢).

تالله لقد قطع خوفُ النفاق قلوب السابقين الأولين، لعلمهم لدقِّهِ وجِلِّه، وتفاصيله وجُمَله، ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين، قال عمرُ بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: يا حذيفة نشدتك بالله هل سمَّاني لك رسول الله ﷺ فيهم؟ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحد(٣).

يا عبد الله كيف تأمن على نفسك وقد خاف هؤلاء، وكيف تزكيها وقد اتهمها من هو خيرٌ منك، إن من علائم الإيمان أن يتهم المرء نفسه، قال الحسن البصري رحمه الله: ما خاف النفاق إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق(٤).

إخوة الإيمان! لشدة خوف السلف من النفاق كانوا يتعوذون بالله منه في الصلاة، فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه إذا فرغ بعد التشهد -في الصلاة- يتعوذ بالله من

(١) الفريابي: صفة المنافق ٥٣، عن: عبد العزيز العبد اللطيف، مجلة البيان ٢٣.
(٢) انظر الفتح ١/ ١١١، وبه تعليق وتوضيح من ابن حجر.
(٣) ابن القيم: مدارج السالكين ١/ ٣٨٨.
(٤) أخرجه البخاري تعليقًا.

النفاق ويكثر التعوذ منه، فقال له أحدهم: ومالك يا أبا الدرداء - أنت والنفاق؟ قال: دعنا عنك، فوالله إن الرجل ليُقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيُخلع منه(١).

هذه وتلك مدعاة للحديث عن النفاق، إذ مع ضعف الإيمان في هذه الأزمان، وغلبة الهوى والجهل تجدُ الأمن من النفاق والغفلة عنه ولمزيد البيان والتحذير، سأقف في الجمعة القادمة -إن شاء الله- على سمات المنافقين وصفاتهم كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

اللهم علمنا ما ينفعنا، اللهم أعذنا من النفاق، وطهِّر بلاد المسلمين من المنافقين. هذا وصلوا.



(١) أخرجه الفريابي: صفة المنافق ص٦٩، وصحح إسناده الذهبي: السير ٦/ ٣٨٢.

هم العدوُّ
صفاتهم وملامحهم[(١)]

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين كتب العزة له ولرسوله وللمؤمنين، وجعل الذِّلة والصغار لأعدائه من الكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله جاهد الكفار والمنافقين حتى نصره الله عليهم، وليس لأمته أن يتخلفوا عن سنته، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[(٢)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٣)].

﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[(٤)].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ١/ ٢/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

عباد الله! وقد سبق بداية الحديث عن المنافقين وخطرهم وكثرتهم وبلية الإسلام بهم، ومحنة المسلمين معهم، وانخداع البعض بهم، وخوف المؤمنين على أنفسهم من النفاق لخفائه وتشعبه، ووعدت في هذه الخطبة بالحديث عن سماتهم وصفاتهم في الكتاب والسنة. والحديث عن صفات المنافقين وعلاماتهم يكشف لنا طرفًا من إعجاز القرآن الكريم حين فضح السابقين منهم رغم خفائهم وتسترهم بنفاقهم.

وبقيت آيات القرآن وستبقى هادية لمعرفة المنافقين في كل زمان ومكان لمن تأمل ونظر بنور الله، ولا يزال المؤمنون يدركون عظمة القرآن ودقة تعبيره كلما أطلَّ النفاق برأسه، وبرزت طوائف من المنافقين، نعم أيها المسلمون ليست ظاهرة النفاق مرحلة مرَّت في التاريخ وانتهت.. كلا وقد سمعتم قول صاحب سرِّ المنافقين حذيفة ﷺ وهو يقول: المنافقون الذين فيكم شرٌّ من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

ويقول الإمام مالك ﷺ: النفاق في عهد رسول الله ﷺ هو الزندقة فينا اليوم، وإذا توسع مصطلح النفاق وتعددت مسميات المنافقين في عهد الإمام مالك ﷺ، أمكن أن يطلق على المنافقين أكثر من مسمى في هذا الزمان إذا توفرت فيهم سيما المنافقين[١].

ويقول ابن تيمية ﷺ: والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة[٢].

وكذلك قال ابن القيم ﷺ معللا ذكرهم في القرآن حيث قال: واعلم أنه كلما انقرض منهم طوائف خلفهم أمثالهم، فذكر أوصافهم لأوليائه ليكونوا منها على حذر..[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ١٩٩، حديث الإفك ١٠٣.

(٢) الفتاوى ٧/ ٢١٢.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٨٦.

عباد الله! إذا تقرر محنة الإسلام والمسلمين بالمنافقين قديما وحديثا كان لا بد من بيان سماتهم والتعرف على علاماتهم حتى يحذر المسلمون شرورهم ولا يتورطوا بشيء من خلال النفاق وصفات المنافقين على أن حصر جميع صفاتهم والإحاطة بكل علاماتهم ومواقفهم أمر يصعب ويطول وحسبي الإشارة إلى شيء منها.

إخوة الإيمان! أما وصف جوارح المنافقين، فأسماع قلوبهم قد أثقلها الوقر فهي لا تسمع منادي الإيمان، وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى فهي لا تبصر حقائق القرآن، وألسنتهم بها خرس عن الحق فهم به لا ينطقون ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[1].

لقد حكم القرآن بكذب ألسنتهم ومرض قلوبهم وجاءت السنة ببيان قلوبهم المنكوسة، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**القلوب أربعة** . . » فذكر منها القلب المنكوس وهو قلب المنافق - لأنه عرف الحقّ ثم أنكره[4].

والمنافقون مع كذبهم يخلفون الميعاد، ويخونون الأمانة، ويغدرون حين يعاهدون، ويفجرون حين الخصومة، كذلك ثبت عن رسول الهدى ﷺ علاماتهم،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨، انظر ابن القيم، المدارج ١/ ٣٨٠.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٤) رواه أحمد بسند جيد حسن. كما ذكر ابن كثير في تفسيره ١/ ٥٦.

وجاء في بعض الروايات: «**وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم**»(١).

أيها المسلمون! من علامات المنافقين التكاسل عن الطاعات والمراءات حين يؤدون الواجبات، ومن المحكَّات التي تكشفهم الصلوات المكتوبة إذ هي أعظم شعيرة في الدين وثاني أركان الإسلام بعد الشهادتين، والله يقول عن المنافقين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾(٣).

فالقيام للصلاة من قبلهم بكسل، ولولا مراءات الناس ما قاموا، ولذا تراهم لا يذكرون الله فيها إلا قليلًا، وينكشف المنافقون أكثر في صلاتي العشاء والفجر - حيث تقلُّ الرقابة وتثقل عليهم الطاعة: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوًا**».

يؤخرون الصلاة عن وقتها، وينقرونها نقر الغراب، ويلتفتون فيها التفات الثعلب، وقلَّ ما يشهدون الصلاة مع جماعة المسلمين، ألا فاحذر أيها المسلم مشابهة المنافقين، وأخرج نفسك من دائرة النفاق، وإذا كان هذا شأنهم في الصلاة فلا تسأل عن حالهم في الصيام، أما في الزكاة والصدقات، فقد شهد القرآن ببخلهم وقبض أيديهم، وقال فيما قال عنهم: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾(٤).

عباد الله! حين يتفق العقلاء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمانة بقاء

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

وصلاح للمجتمع، فيه تحيا الفضيلة وتُرعى، وتحاصر الرذيلة وتُستنكر، ينتكس المنافقون في فهمهم، وتراهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، لا فرق في ذلك بين الرجال والنساء، يشتركون في السمة والأداء، كما يشتركون في العقوبة والجزاء.

قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾[(٢)].

ويبلغ بهم الانتكاس غايته وهم يحسبون الفساد إصلاحًا ويشترون الضلالة بالهدى، وتلك تجارة غير رابحة، وما أولئك بالمهتدين. أجل إن المنافقين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولا يتورعون في التهم الباطلة، وإن قومًا تطاولوا في تهمهم على مقام بيوت الأنبياء عليهم السلام، لن يتورعوا في إلصاق التهم زورًا وبهتانًا على غيرهم من باب أولى.

ولو أن كلَّ ذئب عوى ألقمته حجرًا   لأصبح الصخر مثقالًا بدينار

أيها المسلمون! تاريخ المنافقين حافل بالسخرية بالدين والاستهزاء واللمز بالمتدينين، وتلك طامة كبرى كشف القرآن فيها دخيلة المنافقين وحكم بكفرهم عليها رب العالمين حتى وإن اعتذروا فيها ظاهرًا أمام المسلمين ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾[(٣)].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٣.
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

وكشف عورهم مرة أخرى بالسخرية بالمتطوعين من المؤمنين ووعدهم العذاب الأليم فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(١)].

تُرى أيضيق المستهزئون اللاحقون بالدين والمتدينين على قوارع القرآن بأسلافهم السابقين، أم تُراهم -لشدة جُرمهم- لا ينتفعون بواعظ القرآن وإن سمعوه، كما طُبع على قلوب من سبقهم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾[(٢)]. ويح المنافقين وهم يظنون أنهم يخدعون أهل الإيمان بادعاء الإيمان، ويصرحون لشياطينهم بصدق المودة: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

عباد الله! من سيما المنافقين أن ولاءهم للكافرين وإن عاشوا بين ظهراني المسلمين، وقلوبهم مع أعداء الدين، وإن كانوا بألسنتهم وأجسامهم وعدادهم في المسلمين، يخشون الدوائر فيسارعون للولاء والمودة للكافرين، ويسيئون الظن بأمتهم فيرتمون في أحضان أعدائهم ويزعمون إبقاء أيادٍ عند الكافرين تحسبًا لظفرهم بالمسلمين ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[(٣)].

والمنافقون حين الوقيعة أشدُّ خوفًا وأعظم هلعًا، تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت، وودّ المنافقون إذا حلَّ بالمسلمين عدوّ أنهم بعيدون عن مواقع النزال،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٢.

أشتاتٌ في البواديْ القفار من بعد يتخذون الأخبار ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

أيُستكثر بهؤلاء من قلة؟ أم يُتقوى بهم من ضعف؟ كلا.. إنهم معوِّقون ومخلفون ومفتونون ومبطئون، ولا يأتون البأس إلا قليلا: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[2]. إنهم جسم غريب في الأمة، وهم نشاز في أمانيهم ومشاعرهم تجاه أهل الملة فإن أصاب المسلمين عافية ونصر وظهور ساءهم ذلك وغمهم، وإن أصابهم ابتلاء وامتحان يمحص الله به ذنوبهم ويكفر به عن سيئاتهم أفرحهم ذلك وسرهم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[3]. نفعني الله وإياكم بهدي القرآن.



(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين أغاث قلوب المؤمنين بالإيمان، فكان بها مثل السراج يُزهر، وكان كالبقلة يمدها بالماء الطيب، ونكس قلوب المنافقين فكان النفاق فيها كمثل القرحة يمدها القيح والدم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولئن كان ذهاب نور العينين يسمى عمى، فأشدُّ منه أن تعمى القلوب التي في الصدور، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ما فتئ يجاهد المنافقين حتى أظهره الله عليهم، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

أيها المسلمون! من سيما المنافقين وعلاماتهم أنهم يكرهون التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ باطنًا وإن زعموا أن الإيمان بهما ظاهرًا ويميلون إلى حكم الطاغوت وإن لم يقولوا به جهارًا، ولربما ألصقوا التهم الباطلة بمن يدعون إلى الكتاب والسنة مخادعة وتنفيرًا، ولربما خرجت على فلتات ألسنتهم كلماتُ الإطراء للكافرين زورًا وبهتانًا؟

ويح المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[1].

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦١.

(٢) سورة النور، الآيات: ٤٧-٥٠.

عباد الله! سياسة التجويع عند المنافقين منهج وطريقة ابتدعوها، وهم يقصدون منها إضعاف انتماء المؤمنين لدينهم وإبعادهم عن هدي نبيهم، وغاب عنهم أن خزائن السماوات والأرض بيد الله، وذلك من قلة فقههم كما حكى الله عنهم ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾(١).

والمنافقون أصحاب مصالح وهوى ليس لهم قرار واضح ولا قاعدة ثابتة، فتراهم مع المؤمنين تارة، ومع الكافرين تارة أخرى ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾(٢).

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

وما أصعب التأرجح والتذبذب على نفسية الكبار، ولكنها نفسية المنافقين الدنيَّة وسلوكياتهم الهابطة ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى**

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤١.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٧٢، ٧٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٣.

هذه مرة وإلى هذه مرة»[١]. والشاة العائرة -كما في النهاية- هي المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع[٢].

فلا يغرنكم ولاؤهم المتردد فهم مع من غلب، حتى وإن مدحوا ظاهرا لتحقيق مصالح ومطامع من يرجون، فهم يتكلمون بخلافه حين يَخْلون، وذلك ضرب من ضروب النفاق.

أخرج البخاري في «صحيحه» عن زيد بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال ناسٌ لابن عمر: إنا لندخل إلى سلطاننا أو أمرائنا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم به إذا خرجنا من عندهم، فقال: كُنَّا نعدُّ هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ[٣].

ولا يغرركم حديثهم عن الإسلام وهم كاذبون، وبأحكامه لا يعملون، سئل حذيفة رضي الله عنه ما النفاق؟ فقال: أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به[٤].

ألم يقيموا في المدينة مسجدًا قرب مسجد قباء، زعموا أنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فهدمه رسول الله ﷺ وسماه الله مسجد الضرار، وأوحى إلى عبده أن عملهم هذا كفرٌ وتفريق بين المؤمنين، وإن حلفوا أنهم ما أرادوا به إلا الحسنى فهم كاذبون ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٥].

(١) أخرجه مسلم والنسائي (جامع الأصول ١١/ ٥٧١).
(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٣٢٨.
(٣) البخاري ١٣/ ١٤٩ في الأحكام، باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك، جامع الأصول ١١/ ٥٧١.
(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٣.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٧، وانظر تفسير ابن كثير على هذه الآية.

إخوة الإسلام.. هذه بعض صفات القوم، وتلك بعض ملامحهم وأماراتهم ومن رام المزيد فكتاب الله حافل بذكر صفاتهم وفضائحهم، وسنة المصطفى ﷺ وسيرته زاخرة بكثيرٍ من مواقفهم وعدوانهم وحيلهم.

وخلاصة القول فإذا رأيت من يسخر بالدين ويستهزئ بالمتدين، ويقول بالمنكر ويضيق بالمعروف، ويصدُّ من يقر بالتحاكم لكتاب الله، ويدندن حول أحكام الطواغيت، يوالون الكافرين ويتبرمون من المسلمين الصادقين، يضيقون بالخير يحصل للمسلمين وتفرحهم المصيبة تحل بهم، يتكلم بالإسلام ولا يعمل به، يتكاسل عن أداء الواجباب، ويرائي الناس حين يؤدي شيئًا من الطاعات، يتحدث ويكذب، ويعد ويخلف، ويخون حين يؤتمن، يظن الفساد إصلاحًا ويزعم بإشاعة المنكر أنه يسعى للمجتمع إصلاحًا متذبذبون في ولائهم، كاذبون في نصحهم، منافقون في طاعاتهم.

إذا رأيت هؤلاء فاعلم أنهم أهل نفاق وعدادهم في المنافقين، وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون، فلن نجيز لوحة كتب عليها المنافقون، ولن تجد من يرضى أن يوصم بالنفاق ولو كان من شرار الخليقة لكنها الأعمال تكشفهم والسمات تميزهم.

وإيضاح ذلك، والموقف من المنافقين بشكل عام يحتاج إلى حديث آخر، أعان الله ويسر، وسدد وكفى، ووقانا شرَّ الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم طهّر ألسنتنا من الكذب وقول الزور، وأعيننا من الخيانة والفجور، وقلوبنا من الشكِّ والشرك والنفاق، اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تخزنا يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، هذا وصلوا.

هم العدو
(أنواع النفاق والموقف من المنافقين)(١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٣).

اتقوا الله عباد الله واخشوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفّى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

أيها المسلمون أستكمل اليوم حديثًا بدأته عن خطر النفاق والمنافقين وكثرتهم، والحذر من الانخداع بهم، وأبرز ملامح المنافقين وصفاتهم، وليس يخفى أنك لن تجد لوحة كتب عليها (المنافقون)، ولن تجد من يرضى أن يُوصم بالنفاق أو يُعد

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة الموافق ٨/ ٢/ ١٤١٨هـ.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٩.

في المنافقين، ولو كان من شرار الخليقة وكبار المستهزئين والمناوئين للدين والمتدينين الصادقين.. لكنها الأعمال تكشف أهل النفاق.

ولحنُ القول يحدد هوية المنافقين، والله يقول وهو أصدق القائلين ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -يرحمه الله-: «فمعرفة المنافقين في لحن القول ثابتة مُقسم عليها، لكن هذا يكون إذا تكلموا، وأما معرفتهم بالسيما فهو موقوف على مشيئة الله»[٢].

عباد الله! النفاق كلُّه شرٌّ وبليّة، ولكنه نوعان كما قال ابن كثير: اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار (وهو الذي يُظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر) وعملي وهو منْ أكبر الذنوب (وهو التلبس بشيء من علامات المنافقين كالكذب في الحديث، والخُلف في الوعد، ونحوها)[٣].

والنفاق أكبر وأصغر -كما قال ابن تيمية- كالكفر، نفاق دون نفاق، ولهذا كثيرًا ما يقال: كفرٌ ينقل عن الملة، وكفرٌ لا ينقل عن الملة، ونفاق أكبر، ونفاق أصغر.. كما يؤكد شيخ الإسلام أن المنافقين ليسوا بدرجة واحدة ويقول: لم يكن المتهمون بالنفاق نوعا واحدا، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم من فيه إيمان ونفاق، وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق[٤].

إخوة الإسلام! ذلك مؤشر على كثرة النفاق وتعدد شعبه حتى إنه ليُداخل أهل

(١) سورة محمد، الآية: ٣٠.
(٢) الفتاوى ١٧/ ١١٨.
(٣) انظر ابن كثير في التفسير مختصرًا ١/ ٧٢.
(٤) الفتاوى ٧/ ٥٢٣، ٥٢٤.

الإيمان في حال ضعفهم، ويكون تهمة تُوجه إليهم، ألم يقل عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في شأن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه: «دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق». وذلك حين كاتب حاطب المشركين بمكة ببعض أخبار الرسول ﷺ؟

وحين احتملت سعد بن عبادة رضي الله عنه الحمية وانتصر لابن أبيّ في قصة الإفك، قال له أسيد بن حضير رضي الله عنه: إنما أنت منافق تجادل عن المنافقين.

وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدُّخشم: منافق، وإن كان قال ذلك لِما رأى فيه من نوع معاشرة ومودةٍ للمنافقين[١].

أيها المؤمنون! هذا يدعو إلى الحذر من النفاق صغيره وكبيره، دقِّه وجلّه، العملي منه والاعتقادي، فقد يؤول النفاق الأصغر بصاحبه إلى النفاق الأكبر، وفي هذا يقول ابنُ رجب رحمه الله: «والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريدُ الكفر فكما يُخشى على من أصرَّ على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت، كذلك يُخشى على من أصرَّ على النفاق أن يُسلب الإيمان فيصير منافقًا خالصا»[٢].

أيها المسلمون! إذا كان الرياءُ أحد شعب النفاق، وهو شرك أصغر، وهو كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أخفى من دبيب النمل**». حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: وكيف ننجوا منه وهو أخفى من دبيب النمل؟ فقال ﷺ: «**ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقِّه وجلِّه؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»[٣].

---

(١) الفتاوى ٧/ ٥٢٣.
(٢) جامع العلوم والحكم، ٢/ ٤٩٢.
(٣) رواه أبو حاتم في صحيحه وغيره (الفتاوى ٧/ ٥٢٤).

فإن الكذب كذلك أحدُ شعب النفاق، وهو يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا، وهكذا بقية شعب النفاق العملية، قد نتساهل بها أحيانًا وهي طريق إلى الضلال والنفاق الأكبر، ألا فليحذر العاقل من شعب النفاق كلِّها، ويتهم نفسه كما اتهم السابقون أنفسهم، وليطيب أعماله كما طيبها السابقون، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، ومن راءى راءى الله به، ومن سمّع سمّع الله به، واحذروا ذا الوجهين فهم شرارُ الخلق كما قال عليه الصلاة والسلام: «**تجدون شرَّ الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**».

وهذا الصنيعُ إن كان في عرف المتأخرين دهاءً ولباقة ومرونةً، فهو في عرف السابقين كذبٌ ونفاق وخيانة.

قال القرطبي: «إنما كان ذو الوجهين شرَّ الناس لأن حاله حالُ المنافق، إذ هو متعلقٌ بالباطل وبالكذب مدخلٌ للفساد بين الناس، وقال النووي -يرحمه الله-: هو الذي يأتي كلَّ طائفةٍ بما يُرضيها، فيُظهر لها أنه منها، ومخالفٌ لضدها، وصنيعه نفاق، ومحض كذب»[١].

إخوة الإسلام! مع كثرة النفاق وتشعب خصاله، وأهمية الحذر من الوقوع في شيء من ذلك، فأنبه إلى أمرين قد يُظنان من النفاق وليسا كذلك: الأمر الأول: ما يعرض للقلب -أحيانًا- من ضعفٍ وغفلة وتغير واشتغال بالأهل والولد والمال بعد سماع الذكر والخشوع والإنابة، وهذا ما عرض للصحابة وخشوا أن يكون نفاقًا، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس نفاقًا، ففي صحيح مسلم عن حنظلة الأسيدي أنه مرَّ

---

(١) انظر: الفتح لابن حجر ١٠/ ٤٧٥، مجلة البيان ٢٦/٩/١٤١٧.

بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله؟ ما تقول؟ قال: نكون عند رسول الله ﷺ يُذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا فقال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وأخبره حنظلة بحاله فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فُرُشكم وفي طرِقكم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً**»[١].

إن الإسلام دين واقعي لا يُحرم التمتع بملاذ الدنيا، ولا يمنع من إيناس الناس في حدود ما أحل الله، ولا يعدُّ هذه الغفلة من النفاق ما دامت سريرة الإنسان وعلانيتة طيبة سليمة على حدٍّ سواء.

أيها المسلمون! أما الأمر الثاني الذي لا يُعد من النفاق فهو المداراة (والمداراة من أخلاق المؤمنين وهى خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة). ولا سيما مع من بهم فسق أو نفوز عن الحق، فتأليف قلوبهم، والتلطف لهم في المعاملة والانبساط إليهم، والإنكار عليهم بلطف. كل ذلك لا يُعد نفاقًا لكنه أسلوب من أساليب الدعوة، ونوع راقٍ في أدب المعاملة.

أما المداهنة فهي المنهي عنه، وهى من خصال المنافقين وشعب النفاق، وهي مجاراة الكافر أو الفاسقّ في باطلهم والانبساط معهم والرضا بحالهم دون الإنكار عليهم، والمداهنة باختصار: تركُ الدين لصلاح الدنيا[٢].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ٦٧.

(٢) انظر: الفتح لابن حجر ١٠/ ٥٢٨، ٤٥٤.

وإذا علم الفرقُ بين المداراة والمداهنة أمكن العمل بهذه والحذر من تلك، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1].



(١) سورة النساء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، وهو العليم الخبير بالمنافقين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين والمبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم على سائر أنبياء الله والمرسلين.

أما بعدُ: في نهاية الحديث عن المنافقين يرد السؤال المهم: وما الموقف الشرعيُّ من المنافقين؟ والمتأمل في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وسيرته، وسير أصحابه، يجدُ الإجابة عن الموقف المشروع من المنافقين في الأمور التالية:

أولا: الحذر من المنافقين، قال الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾. ولم لا يكون الحذر من المنافقين وهم يظهرون ما لا يبطنون، ويُسرون ما لا يعلنون، ولربما تحدثوا باسم الدين، وقد يُغترّ بهم فيُحسبون من الناصحين، والله أعلم بما يكتمون، وما أجمل ما نقله القرطبي في الحذر منهم، قال القرطبي رحمه الله: والمعنى احذر أن تثق بقولهم، أو تميل إلى كلامهم واحذر مما يلتهم لأعدائك، وتخذيلهم لأصحابك[1].

ثانيا: ومع الحذر من المنافقين لا بد من كشف خُططهم وفضح أساليبهم، فالمنافقون جُبناء لا يجرأون بالتصريح بما يريدون، بل هم أصحاب حيل، وأرباب مكر وخديعة، وأصحاب ظواهر لا بواطن، فلربما سعوا إلى التدمير باسم التطوير، ولربما سعوا في الأرض فسادًا. هم يزعمون أنهم مصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٦.

ثالثًا: مجاهدتهم والغلظة عليهم امتثالا لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: الخطاب للنبي ﷺ، وتدخل فيه أمته من بعده.. ثم نقل عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، مجاهدة المنافقين باللسان، وشدة الزجر والتغليظ، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا فبألسنتكم، فإن لم تستطيعوا! إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا(١).

أما الغلظة مع المنافقين -فهي كما حكاها المفسرون- نقيض الرأفة، وهي شدةُ القلب على إحلال الأمر بصاحبة، وليس ذلك في اللسان، واعتبر القرطبي هذه المجاهدة والغلظة مع المنافقين والكفار آخر تشريع حيث قال: وهذه الآية نسخت كلَّ شيء من العفو والصلح والصفح(٢).

رابعا: عدم موالاة المنافقين واتخاذهم بطانة للمؤمنين والحكمة ظاهرة في النص القرآني، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٣). ولا أظن الآية تحتاج إلى تعليق.

خامسا: عدم الدفاع أو المجادلة عنهم، كما أوحى الله إلى نبيه ﷺ فيهم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ

---

(١) تفسير القرطبي ٨/ ٢٠٤، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٧.

(٢) تفسير القرطبي ٨/ ٢٠٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾(١).

سادسا: تحقيرهم وعدم تسويدهم، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تقولوا للمنافق (سيد) فإنه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم ﷻ**»(٢).

سابعًا: وعظ المنافقين وتذكيرهم برقابة الله، قال تعالى: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا**﴾(٣).

أيها المسلمون! كفى بالقرآن واعظًا، ولو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعًا من خشية الله، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(٤).

ألا ما أحرى المنافقين أن يتعظوا بالقرآن، ويتذكروا رقابة الملك الديان، ولئن خفيت حيلهم على الخلق في الحياة الدنيا، فسينكشفون غدا، يوم تُبلى السرائر، ولا تخفى منهم ومن غيرهم خافية، هناك يُختم على الأفواه وتشهد الجوارح في هذا الموقف الرهيب أيُّ صاحبٍ ينقذ؟ وأيُّ جهد مهما كان يُسعف من عذاب الله؟

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٠٥، ١٠٧.

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح (صحيح الجامع الصغير ٦/ ١٧٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣١.

وأيُّ جسدٍ يُطيق الصبر على النار ولو لحظة من الزمان فكيف بقوم خُلدوا في الدرك الأسفل من النار؟

إن باب التوبة مفتوح، وتثريب النفس ومراجعة الحساب اليوم أهون وأسلم من وقوعها في الحرج والعذاب غدًا، وليست أيام الدنيا بالنسبة للآخرة شيئًا. أما إن تطاول المنافقون وتجبروا ومردوا في نفاقهم فإن سنة الله في الأولين ماضية في الآخرين، وسيسلط الله عليهم أهل الإيمان ويقهرونهم تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(١).

اللهم أنِر بصائرنا، وألهمنا رشدَنا، واحفظ علينا دِيننا، ولا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.



(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٦٠-٦٢.

فهرس خطب الجزء الخامس

• زلزلة الساعة ٥
الخطبة الأولى: ٥
الخطبة الثانية: ١٠
• وقفات في شهر الله المحرم ١٥
الخطبة الأولى: ١٥
الخطبة الثانية: ٢١
• ذكرى العيد ٢٥
الخطبة الثانية: ٣٠
• المسلمون والإدالة عليهم ٣٣
الخطبة الأولى: ٣٣
الخطبة الثانية: ٣٩
• من معاني الإسراء والمعراج ٤٣
الخطبة الأولى: ٤٣
الخطبة الثانية: ٤٩
• الواقع المرُّ ٥٣
الخطبة الأولى: ٥٣
الخطبة الثانية: ٥٨
• في أعقاب شهر الصيام ٦١
الخطبة الأولى: ٦١
الخطبة الثانية: ٦٧
• بناء الأسرة المسلمة ٧٢
الخطبة الأولى: ٧٢
الخطبة الثانية: ٧٨
• مخاطر تهدد الأسرة ٨٣
الخطبة الثانية: ٨٩

● أيام العشر وأحكام العيد والأضاحي ٩٥
الخطبة الأولى: ٩٥
الخطبة الثانية: ١٠١
● مقاصد السفر في الإسلام ١٠٦
الخطبة الأولى: ١٠٦
الخطبة الثانية: ١١٢
● وباء المُسكرات والمخدرات (تاريخ وتحذير) ١١٦
الخطبة الأولى: ١١٦
الخطبة الثانية: ١٢١
● (٢) وباء المسكرات والمخدرات ١٢٥
الخطبة الأولى: ١٢٥
الخطبة الثانية: ١٣٠
● ١٠ ملاحظات في أيام الامتحانات ١٣٤
الخطبة الأولى: ١٣٤
الخطبة الثانية: ١٣٨
● المحاسبة على مستوى المجتمع والأمة ١٤٢
الخطبة الأولى: ١٤٢
الخطبة الثانية: ١٤٨
● البيوت الوهمية ١٥٢
الخطبة الأولى: ١٥٢
الخطبة الثانية: ١٥٧
● عِبَرٌ من قصصِ السابقين (١) المهاجر الطيار ١٦٤
الخطبة الأولى: ١٦٤
الخطبة الثانية: ١٦٩
● عِبَرٌ من قصص السابقين (٢) المهاجر الدائم ١٧٣
الخطبة الأولى: ١٧٣
الخطبة الثانية: ١٧٩

● مَثَل الإسلام ١٨٣
الخطبة الأولى: ١٨٣
الخطبة الثانية: ١٨٩
● العمالة الوافدة حقوقها وواجباتها ١٩٣
الخطبة الأولى: ١٩٣
الخطبة الثانية: ١٩٨
● الوفاء بالعهود ٢٠١
الخطبة الأولى: ٢٠١
الخطبة الثانية: ٢٠٦
● (٢) حسن الوفاء وقضاء الحقوق ٢١٠
الخطبة الأولى: ٢١٠
الخطبة الثانية: ٢١٥
● (١) من مظاهر الإسراف في حياتنا ٢١٩
الخطبة الأولى: ٢١٩
الخطبة الثانية: ٢٢٤
● (٢) من مظاهر الإسراف في حياتنا ٢٢٨
الخطبة الأولى: ٢٢٨
الخطبة الثانية: ٢٣٤
● مَنْ المغتصبون ٢٣٩
الخطبة الأولى: ٢٣٩
الخطبة الثانية: ٢٤٤
● هل من مدَّكِر؟ ٢٤٩
الخطبة الأولى: ٢٤٩
الخطبة الثانية: ٢٥٥
● الشباب والإجازة ٢٦٠
الخطبة الأولى: ٢٦٠
الخطبة الثانية: ٢٦٥

• لماذا نستبشر برمضان؟ ٢٧٠
الخطبة الأولى: ٢٧٠
الخطبة الثانية: ٢٧٧
• ١- صراط الله ٢- طرق الضلال ٢٨١
الخطبة الأولى: ٢٨١
الخطبة الثانية: ٢٨٧
• الإيدز .. الشبح المخيف ٢٩٢
الخطبة الأولى: ٢٩٢
الخطبة الثانية: ٢٩٨
• اختيار الرفيق ٣٠٢
الخطبة الأولى: ٣٠٢
الخطبة الثانية: ٣٠٧
• اليقين ٣١٠
الخطبة الأولى: ٣١٠
الخطبة الثانية: ٣١٥
• العشر الأخير وفضل التهجد والدعاء ٣١٩
الخطبة الأولى: ٣١٩
الخطبة الثانية: ٣٢٦
• هم العدو: العدو الخفي .. كثرتهم وخطرهم ٣٣٢
الخطبة الأولى: ٣٣٢
الخطبة الثانية: ٣٣٨
• هم العدوُّ .. صفاتهم وملامحهم ٣٤٢
الخطبة الأولى: ٣٤٢
الخطبة الثانية: ٣٤٩
• هم العدو .. (أنواع النفاق والموقف من المنافقين) ٣٥٣
الخطبة الأولى: ٣٥٣
الخطبة الثانية: ٣٥٩